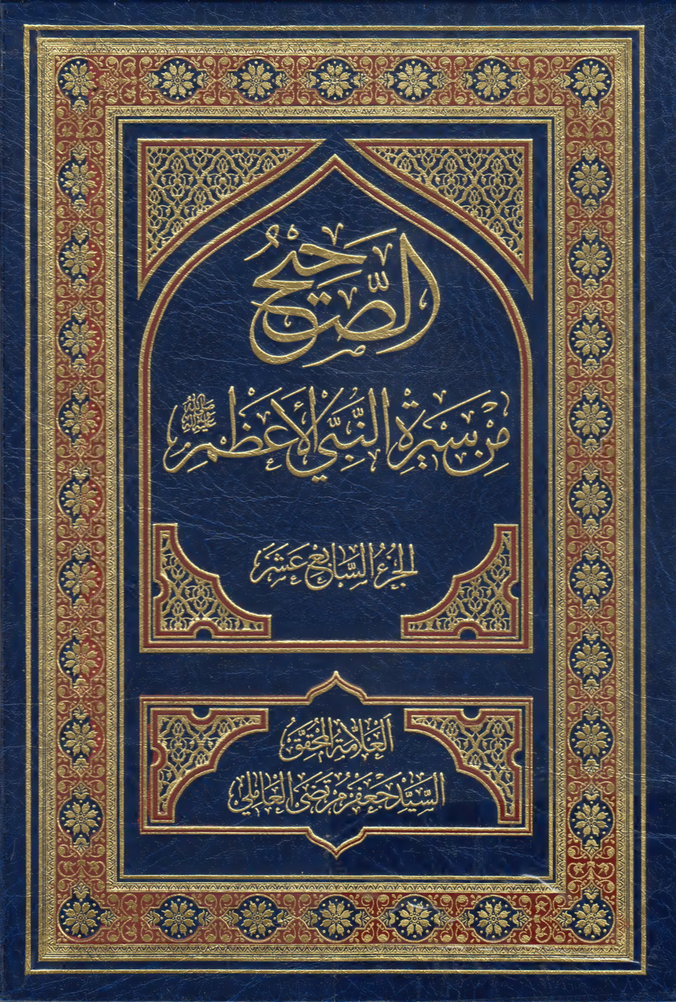

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء السابع عشر
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء السابع عشر

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ

(الجزء السابع عشر)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ـ٧٧٤٠٥٢٣ـ ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٧١ /فاكس: ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٧١ /ص.ب ٣٧١٨٥/ ٤٤٦٨

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ـ١ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

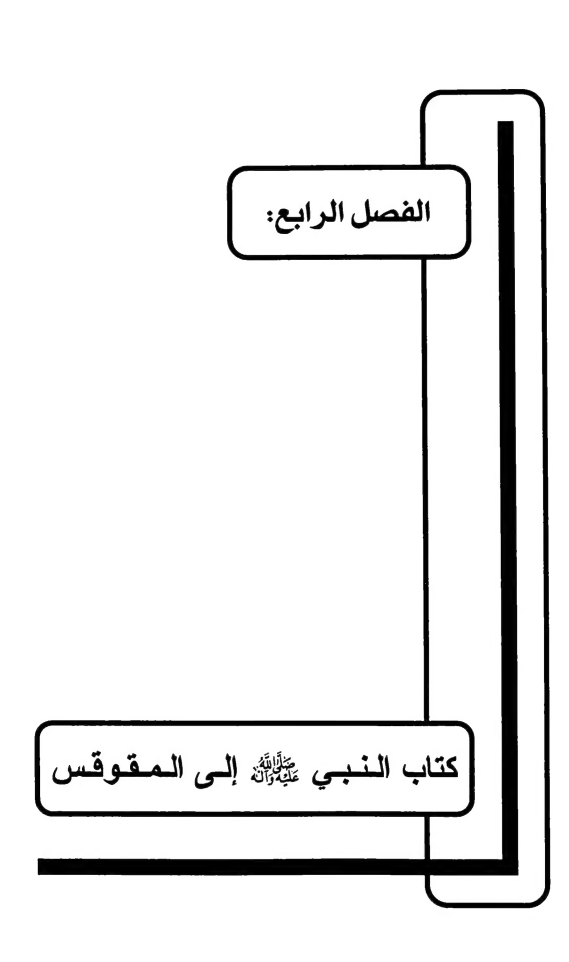
http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

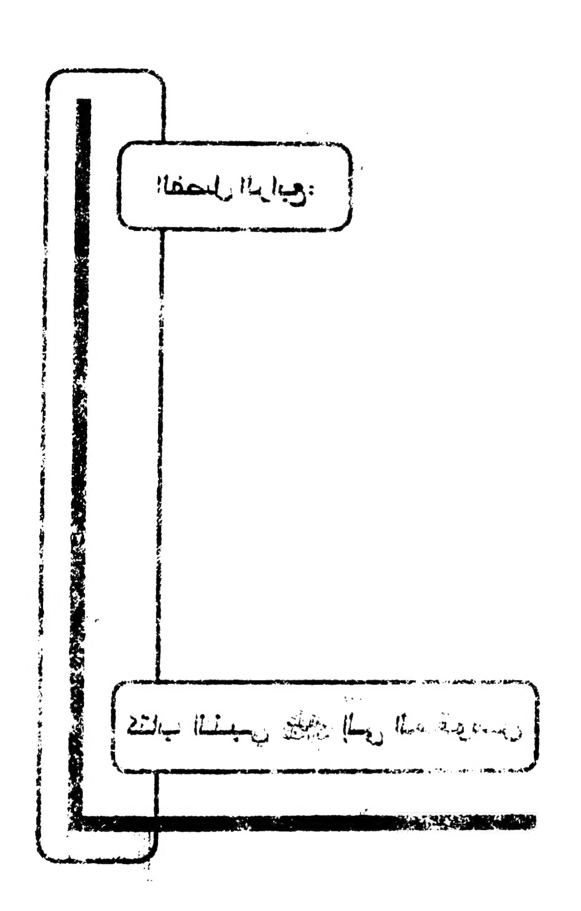
ISBN: 978 - 964 - 493 - 189 - 5





الفصل الرابع:

كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى المقوقس



كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى المقوقس، عظيم القبط:

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد..

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، [وأسلم] يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط و **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**»[1].

---

(١) مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي ج٢ ص٤١٧ عن المصادر التالية، مع التذكير بأنه اعتمد على الطبعات المتوفرة لديه: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٠ وسيرة زيني دحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٧٠ وإعلام السائلين ص١٩ ورسالات نبوية ص٢٧٨ وأعيان الشيعة ج٢ ص١٤٢ وفي (ط أخرى) ج٢ ص٢٤٤ وجمهرة رسائل العرب، عن صبح الأعشى ج٦ ص ٣٧٨ وعن خطط المقريزي ج١ ص٢٩ وعن حسن المحاضرة ج١ ص٤٢ وعن المواهب اللدنية للقسطلاني ج٣ ص٣٩٧ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٠٤ عن فتوح مصر (ط ليدن) ص٤٦ =

= وعن مجلة الهلال (عدد أكتوبر سنة ١٩٠٤م) وصبح الأعشى ج٦ ص٣٥٨ ـ ٣٦٦ وزاد المعاد لابن القيم ج٣ ص٦١ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٤٢١.

وراجع: الإصابة ج٣ ص٥٣١ ودائرة المعارف لوجدي ج٩ ص٣١٧ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص٣٤٧ وفتوح مصر لابن عبد الحكم ص٤٦ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٧ ولغت نامه دهخدا (فارسي) ج٤٣ ص٩٥٥ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٦٤ والمصباح المضيء ج٢ ص١٢٩ والوثائق السياسية: ١٠٥/ ٤٩ عن فتوح مصر لابن عبد الحكم ص٤٦ وعن مفيد العلوم للقزويني والبيهقي والمنفلوطي ومنشآت السلاطين لفريدون بك.

وأشار إليه: الطبري ج٣ ص٦٤٥ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢١٠ واليعقوبي ج٢ ص٦٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ وحياة الصحابة ج١ ص١١٧ والتنبيه والإشراف ص٢٢٧ والبحار ج٢٠ ص٢٨٣ والطبقات ج٢ ق١ ص٨٦ و ج٢ ق١ ص١٦ و ١٧ وج١ ق٣ ص٨٠ وابن هشام ج٤ ص٢٥٤ وثقات ابن حبان ج٢ ص٥ ـ ٧ وفقه السيرة ص٣٨٧ والأموال لأبي عبيد ص٣٦٧ وحياة الحيوان للدميري ج٢ ص٣٢٨ وكنز العمال ج١٠ ص٣٩٩ والمعجم الكبير للطبراني ج٤ ص١٥ والإصابة ج١ ص٣٠٠ في ترجمة حاطب، وج٣ ص٥٣٠ في ترجمة المقوقس، والإستيعاب (هامش الإصابة) ج١ ص٣٥٠ وأسد الغابة ج١ ص٣٦٣ والوثائق السياسية: ١٣٥/ ٤٩ وعن الوفاء لابن الجوزي ص٧١٧ وانظر كايتاني ج٦ ص٤٩ واشپرنكر ج٣ ص٢٦٥ و ٢٦٧ ومجلة ژورنال آزياتيك (باريس سنة ١٩١٧م) ص٤٨٢ ـ ٤٩٨ ومجلة إسلامك ريفيو لاكتشاف أصل المكتوب في كنيسة قرب اخميم في صعيد مصر إلى آخر ما ذكره من المجلات. وراجع أيضاً: أنساب الأشراف تحقيق محمد حميد الله ص٤٤٨ والمنتظم ج٥ ص٦٩ وج٣ ص٢٧٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٥ ص٦٦٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٣١.

قصة هذه الرسالة:

قال العلامة الأحمدي رحمه الله:

قالوا: كتب «صلى الله عليه وآله» في ذلك اليوم (الذي كتب فيه إلى الملوك) إلى المقوقس، عظيم القبط، وكان نصرانياً مع حاطب ابن أبي بلتعة[1].

---

(١) مكاتيب الرسول ج١ ص١٣ وج٢ ص٤٢١ عن: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨١ وزيني دحلان هامش الحلبية ج٣ ص٧٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٩٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ وحياة الصحابة ج١ ص١١٧ و ١١٨ والإصابة ج٣ ص٥٣٠ و ٥٣١ وأسد الغابة ١ ص٣٦٢ وقاموس الرجال ج٣ ص٤٢ وحياة الصحابة ج١ ص١١٧ وزاد المعاد ج٣ ص٦١ والتراتيب ج١ ص١٨٣ و ١٨٦ وكنز العمال ج١٠ ص٣٩٩ والمنتظم ج٥ ص٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٤٢ والبحار ج٢٠ ص٣٨٢ وج٢٢ ص٢٥٠ وعن فتح الباري ج٨ ص٩٧ وتحفة الأحوذي ج٧ ص٤١٥ والآحاد والمثاني ج١ ص٤٤٦ ونصب الراية ج٤ ص٤٩٠ وج٦ ص٥٦٣ والطبقات الكبرى ج١ ص١٣٤ و ٢٦٠ وتاريخ خليفة بن خياط ص٤٧ و ٥٢ و ٦٢ والثقات ج٢ ص٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٣٥ وج٣٤ ص٢٨٠ وكتاب المحبر ص٧٦ وتهذيب الكمال ج١ ص١٩٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣٠٧ والتنبيه والإشراف ص٢٢٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٥١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٢٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٢١ و ٣٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٤٣ و ٤٤٥ و ٥١٤ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٨.

فجاء حاطب بالكتاب حتى دخل مصر فلم يجد المقوقس هناك، فذهب إلى الإسكندرية، فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينة، وحاذى مجلسه، وأشار بالكتاب إليه، فلما رآه المقوقس أمر بإحضاره بين يديه، فلما جيء به نظر إلى الكتاب، وفضه، وقرأه.

وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه، وأخرجه من بلده إلى غيرها أن يسلِّط عليهم، فاستعار (فاستعاد) منه الكلام ثم سكت.

فقال له حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه، فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى، حتى رفعه الله إليه؟

قال: أحسنت، أنت حكيم من عند حكيم.

الرسول ﷺ عند المقوقس:

ثم قال له حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه الرب الأعلى (يعني فرعون)، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام إلا كبشارة عيسى بمحمد «صلى الله عليه وآله»، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن

دين المسيح، بل نأمرك به.

فقال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة، بإخراج الخبء، والإخبار بالنجوى، وسأنظر، ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جاريته(١).

الرسول ﷺ مع الملك في السر:

وأرسل المقوقس يوماً إلى حاطب فقال: أسألك عن ثلاث.

فقال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: إلى ما يدعو محمد؟

قلت: إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم ـ إلى أن قال ـ: فوصفته فأوجزت.

قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلما تفارقه، وبين كتفيه

---

(١) مكاتيب الرسول ج١ ص١٨٩ وج٢ ص٤٢٢ عن زيني دحلان ج٣ ص٧٠ والحلبية ج٣ ص٢٨١ والطبقات ج٢ ق١ ص١٧ وفتوح مصر لابن عبد الحكم ص٤٦ وزاد المعاد ج٣ ص٦١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٧ والدلائل للبيهقي ج٤ ص٣٩٦ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٨٣ والروض الأنف ج٣ ص٢٤٩ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٩ ونصب الراية للزيعلي ج٦ ص٥٦٤.

خاتم النبوة، يركب الحمار[1]، ويلبس الشملة، ويجتزي بالتمرات والِكسَر، ولا يبالي من لاقى من عم أو ابن عم.

ثم قال المقوقس: هذه صفته، وكنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه بالشام، وهناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج في أرض العرب، في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتباعه، وأنا أضن بملكي أن أفارقه.

وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً، ولا أحب أن تعلم بمحادثتي إياك[2].

كتاب المقوقس إلى رسول الله ﷺ:

ثم دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية، فكتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»[3]:

---

(١) لعلها تصحيف كلمة (الجمل) فإن راكب الحمار هو عيسى، وراكب الجمل هو نبينا «صلى الله عليه وآله». والنجاشي ـ كما سيأتي ـ قال: وإن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٣ عن: الإصابة ج٣ ص٥٣٠ في ترجمة المقوقس وزيني دحلان ج٣ ص٧٣ والحلبية ج٣ ص٢٨٣ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٧. وراجع: موسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٦٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٣ وقال: نقل كتاب المقوقس في نشأة الدولة الإسلامية: ٣٠٥ كما يلي: «باسمك اللهم» «من المقوقس إلى محمد: أما بعد فقد =

«بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله، من المقوقس، عظيم القبط:

سلام عليك.

أما بعد..

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي.

وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك»[1].

= بلغني كتابك وقرأته وفهمت ما فيه. أنت تقول: إن الله تعالى أرسلك رسولاً وفضلك تفضيلاً، وأنزل عليك قرآناً مبيناً، فكشفنا يا محمد في علمنا عن خبرك، فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله، وأصدق من تكلم بالصدق، ولولا أني ملكت عظيماً لكنت أول من سار إليك لعلمي أنك خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، وإمام المتقين» وهكذا نقله محمد حميد الله بالرقم ٥١ من فتوح مصر للواقدي: ١٠ وصبح الأعشى ج٦ ص٤٦٧.

(١) قال في مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٣ و٤٢٤ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨١ وسيرة دحلان بهامش الحلبية ج٣ ص٧١ والإصابة ج٣ ص٥٣١ وصبح الأعشى ج٦ ص١٣٦ و٤٦٧ وحياة الحيوان ج٢ ص٣٢٨ والمنتظم ج٣ ص٢٧٤ و ٢٧٥ وفتوح مصر لابن عبد الحكم ص٤٧ وزاد المعاد ج٣ ص٦١ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٧ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٠٥ عن الواقدي والقلقشندي.

وراجع: رسالات نبوية ص٢٨٠ والبحار ج٢٠ ص٣٨٣ والوثائق السياسية: ١٣٦ / ٥٠ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢٩٢ ومفيد العلوم ومبيد الهموم للقزويني =

هدايا المقوقس إلى النبي ﷺ:

أرسل الملك إلى النبي «صلى الله عليه وآله» هدايا كثيرة، ذكرها المحدثون والمؤرخون، ونحن نذكرها إجمالاً:

١ ـ أهدى المقوقس إليه «صلى الله عليه وآله» جارية اسمها مارية، أم إبراهيم «عليه السلام»، ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

= ص٨ ومنشآت السلاطين ج١ ص٣٣ ونصب الراية ج١١ ص٢ والوفاء لابن الجوزي ص٧١٧ وقابل الأموال لأبي عبيد ص٦٣٢ والطبقات ج٢ ق١ ص١٦ و ١٧ وشرح الزرقاني للمواهب ج٢ ص٣٤٩ والأموال لابن زنجويه، وانظر كايتاني ج٦ ص٤٩ واشپرنكر ج٣ ص٢٦٥ و ٢٦٧.

وراجع: موسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٦٤ و ٦٦٥ وعن عيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٩.

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٤ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨١ وزيني دحلان ج٣ ص٧١ والإصابة ج٣ ص٥٣١ وج٤ ص٣٣٥ و ٤٠٤ والإستيعاب (هامش الإصابة) ج١ ص٤٦ وج٤ ص٣٢٩ و ٤١١ والطبقات ج٢ ق١ ص١٧ والطبري ج٢ ص٦٤٩ والكامل ج٢ ص٢١٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ وتاج العروس ج٣ ص٤ وج٤ ص١٨٢ وج١٠ ص٣٤١ في المقوقس، وحياة الصحابة ج١ ص١١٧ وزاد المعاد ج٣ ص٦١ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٧ و ١٨٢ والدلائل للبيهقي ج٤ ص٣٩٥ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٨ والأموال لأبي عبيد ص٣٦٧ والبحار ج٢٠ ص٣٨٣ وج٢٢ ص٢٦٣ وعن ج٧٦ ص١٠٥ وكنز العمال ج١٠ ص٣٩٩.

وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١٥ ونصب الراية ج٤ ص٤٩٠ وأسد الغابة ج٥ ص٥٤٣ وإعلام الورى ج١ ص١٨٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٥.

٢ ـ جارية أخرى اسمها: سيرين أخت مارية[1].
٣ ـ جارية أخرى اسمها: قيسر، أو قيس، وهي أخت مارية أيضاً[2].
٤ ـ جارية أخرى سوداء، اسمها: بريرة[3].
وفي الطبري والكامل والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ والبحار ج٢٠ ص٣٨٣ أنه أهدى أربع جوار من دون أن يسميهن.

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٤ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨١ ودحلان ج٣ ص٧١ والإصابة ج٣ ص٥٣١ وج٤ ص٣٣٥ و ٣٣٩ و ٤٠٤ والإستيعاب (هامش الإصابة) ج١ ص٤٦ وج٤ ص٣٢٩ و ٤١٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ وتاج العروس ج٣ ص٤ وج٤ ص٢٢٠ في المقوقس، وحياة الصحابة ج١ ص١١٧ وزاد المعاد ج٣ ص٦١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٧ و ١٨٢ والدلائل لأبي نعيم ج٤ ص٣٦٥ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٨ والبحار ج٢٠ ص٣٨٣ وكنز العمال ج١٠ ص٣٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٣٦ وعن المعجم الكبير ج٢٤ ص٣٠٦ وعن الطبقات الكبرى ج١ ص١٣٤ و ١٣٥ وج٥ ص٢٦٦ وج٨ ص٢١٢ و ٢١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٣٦ وج٤ ص٣٠٧ وج٣٤ ص٢٩٢ وأسد الغابة ج٢ ص٦ وج٣ ص٢٨٥ وج٤ ص٢٦٨ وج٥ ص٤٨٥ و ٥٤٣ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٤٩ والمنتخب في ذيل المذيل ص١٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤١٣.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٥ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨٢ ودحلان ج٣ ص٧١ وتأريخ الخميس ج٢ ص١٨٢ وكنز العمال ج١٠ ص٣٩٩.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٥ عن: الحلبية ص٣ ص٢٨٢ ودحلان ج٣ ص٧١ وتأريخ الخميس ج٢ ص١٨٢.

٥ ـ غلاماً خصياً أسود، اسمه: مأبور (وفي الطبقات شيرين)[1].

٦ ـ بغلة شهباء، وهي دلدل[2].

٧ ـ حماراً أشهب يقال له: يعفور[3].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٥ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨٢ ودحلان ج٣ ص٧١ والإصابة ج٦ ص١٣ والإستيعاب ج٤ ص٣٢٩ و ٤١١ و ٤١٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٤ ص٣١١ وج٧ ص٨٦ وج٥ ص٣٥٠ و ٣٢٤ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٨ و ١٨٢ والمستدرك ج٤ ص٣٨.

وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٥ وج٤ ص٦٤٨ و ٦٠٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٦٦ عن المناقب ج٢ ص٢٢٥.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٥ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨١ و ٢٨٢ ودحلان ج٣ ص٧١ والإصابة ج٣ ص٥٣١ وج٤ ص٣٣٥ و ٤٠٤ والطبقات ج٢ ق١ ص١٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ وتاج العروس في المقوقس، وحياة الصحابة ج١ ص١١٧ وزاد المعاد ج٣ ص٦١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٧ و ١٨٢ والدلائل للبيهقي ج٤ ص٣٩٥ والأموال ص٣٦٧ والبحار ج٢٠ ص٣٨٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٤ ص١٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٤٦ والبحار ج١٦ ص١٠٨ و ١٢٦ وعن فتح الباري ج٣ ص٢٧٣ وفيض القدير ج٥ ص٢٢٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٣٢ و ٤١٠ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٤٠٣.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٥ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨١ ودحلان ج٣ ص٧١ والإصابة ج٣ ص٥٣١ وج٤ ص٣٣٥ و ٤٠٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٨ والبحار ج٢٠ ص٣٨٣.

وقيل: اسمه عفير[١].

قال الدياربكري، وقيل: وألف دينار وعشرين ثوباً[٢].

وقال الدميري: وألف مثقال ذهباً[٣].

٨ ـ فرساً وهو اللزاز[٤].

٩ ـ وأهدى إليه عسلاً من عسل نبها (بكسر الباء الموحدة قرية من قرى مصر)[٥].

١٠ ـ وأهدى إليه مكحلة، ومربعة يوضع فيها المكحلة، وقارورة دهن، والمقص (وهو المقراض) والمسواك، والمشط، ومرآة.

وقيل: أهدى أيضاً عمائم وقباطي، وطيباً، وعوداً، ومسكاً، مع ألف

---

(١) البحار ج٦١ ص١٩٥ عن البيهقي. قالوا: أما يعفور فأهداه للنبي «صلى الله عليه وآله» فورة بن عمر الجذامي في منصرف النبي «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع. راجع: البحار ج٦١ ص١٩٥ والطبقات الكبرى ج١ ص٤٩١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٢١ وسيأتي: زعمهم: أنه «صلى الله عليه وآله» أصاب هذا الحمار في خيبر.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٨٢.

(٣) حياة الحيوان ج٢ ص٣٢٨.

(٤) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٥ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨٢ ودحلان ج٣ ص٧١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٩.

(٥) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٦ عن: الحلبية ج٣ ص٢٨٢ ودحلان ج٣ ص٧٢ والإصابة ج٣ ص٥٣١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٨ وحياة الحيوان ج٢ ص٣٢٨.

مثقال من ذهب، مع قدح من قوارير[1].

وزاد في البداية والنهاية: خفين ساذجين أسودين.

١١ ـ وقال بعض: إنه أرسل مع الهدايا طبيباً يداوي مرضى المسلمين، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «ارجع إلى أهلك، فإنا قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»[2].

إلى هنا انتهى ما نقلناه عن كتاب العلامة الأحمدي رحمه الله[3].

عليك إثم القبط:

ولا يختلف كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المقوقس عن كتابه لكسرى، وقيصر، إلا من حيث إنه حمَّله إثم القبط الذين كان المقوقس يحكمهم، إن لم يؤمن، ولم يفسح لهم المجال للتعرف على الإسلام، ولا أعانهم، ولا يسَّر لهم أمر الإيمان به..

بل يكون عزوفه عن الإيمان بالإسلام من أسباب انصرافهم عن هذا الأمر، وزهدهم فيه، هذا إن لم يمنعهم من ذلك بالقسر، والقهر، أو بإلقاء الشبهات، وإشاعة الأباطيل ضد الإسلام وأهله..

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٦ عن: الحلبية ج٣ ص٣٨١ و ٣٨٢ ودحلان ج٣ ص٧١ و ٧٢ والإصابة ج١ ص٥٣١ وج٤ ص٣٣٥ و ٤٠٤ وتاج العروس في المقوقس، وحياة الصحابة ج١ ص١١٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٨ والدلائل للبيهقي ج٤ ص٣٦٥ وحياة الحيوان ج٢ ص٣٢٨.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٦ عن: الحلبية ج٣ ص٣٨٣ ودحلان ج٣ ص٧٢.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢١ ـ ٤٢٦.

الحرص على الملك:

وليس في قولنا هنا أية غضاضة: إن المقوقس أيضاً كان مثل هرقل، لا يرغب بانتشار الإيمان بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين الأقوام الذين يحكمهم، حرصاً منه على ملكه ـ بزعمه ـ وعلى نفوذ كلمته في تلك الأقوام، وعدم الرغبة في إفساح المجال لمشاركة أحد له في ذلك.. وما ذلك إلا لأنه يعلم أن الطاعة للدين ولأهله أقوى وأعمق من الطاعة لأهل الدنيا.. فإن الطاعة لأهل الدين تأتي طوعية، وباندفاع ذاتي، وبتحريك وجداني، ورضا قلبي، وأنس وسرور واغتباط روحي..

أما طاعة الناس لملوكهم، فإنما تكون طمعاً في الدنيا، ورهبة من سطوتهم بهم. وشتان ما بين هذه الطاعة وتلك.

ولهذا حرص المقوقس على إبعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ودعوته عن قومه برفق، وأناة، ولم يجازف بإعلان الخصومة والعناد، لكي لا يكون هذا الاحتكاك من موجبات إثارة فضول الناس لمعرفة أقوال هذا النبي الكريم، وتتبُّع سيرته وأفعاله، واستلهام مواقفه.. وذلك لأنه يعلم بأن ذلك سينتهي إلى قبولهم ـ ولو بصورة تدريجية ـ لهذا الدين، شاء أم أبى، ولسوف تهتز الأرض تحت قدمي كل معاند وجاحد، مهما طغى وبغى، وتكون النتيجة ـ من ثم ـ هي نفس النتيجة التي واجهها أهل مكة مع هذا النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»..

شبهات المقوقس، لماذا؟!:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن أول سؤال طرحه المقوقس على

حاطب ابن أبي بلتعة قد تضمن شبهة ربما لا يلتفت أكثر الناس العادين إلى حلّها، وهي ليس فقط تكفي لإثارة الشك في نبوة صاحب هذه الدعوة التي تعرض عليهم لأول مرة، وإنما هي تكفي لترجيح جانب النفي، وصرف النظر عن أي تفكير فيها..

وقد جاءت إجابة حاطب ابن أبي بلتعة على هذه الشبهة قوية وقاطعة، ومعبرة عن مستواه الثقافي، الذي فاجأ المقوقس، الذي كان يعلم: أن حاطباً مجرد حامل كتاب، وليس معروفاً بالفضل والعلم بين أصحاب محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما هو من الناس العاديين في ذلك المجتمع الناشئ، الذي أسسه «صلى الله عليه وآله»..

وهذه الإجابات من شأنها أن تعطي الانطباع الذي لم يكن المقوقس يرغب في أن يراه في قومه تجاه هذا الشخص ومن أرسله في هذا الوقت الحساس بالذات..

ونحن لا نشك في أنه قد ندم على هذه الإثارة التي أراد لها أن تكون اختباراً لحاطب، وتحصيناً لرعيته عن التفكير في الدعوة المعروضة عليهم، والتي يحمل لهم حاطب كتاب صاحبها..

دور الدعاء في دعوة الأنبياء عليهم السلام:

والذي نريد لفت النظر إليه هنا هو: أن المقوقس حين سجل اعتراضه الآنف الذكر لم يكن يجهل بل كان يتجاهل: حقيقة دور الدعاء في حياة الأنبياء. أي أنه كان يعلم أن الدعاء لا توكل إليه مهمات كهذه في حياتهم «عليهم السلام».

بل دور الدعاء هو: توثيق الصلة بالله سبحانه، وإنشاء العلاقة الوجدانية والروحية به تعالى..

وقد يستجيب الله تعالى دعاء الداعين، ولكن بشروط أهمها أن لا تترك هذه الاستجابة أي أثر سلبي على الداعي نفسه من جهة..

وأن لا تكون سبباً في الإخلال بحقوق الآخرين من جهة أخرى..

ومنها حق الاختيار لهم، وحق الممارسة والتصرف فيما يختارونه؛ لأن الاستجابة للدعاء إذا كانت تؤثر على اختيار الناس، وتسلبهم القدرة عليه، فإنها تدخل في دائرة العدوان عليهم، والظلم لهم. ونقض السنة الإلهية القائمة، والتي تقضي بحفظ ذلك لهم، ليصح اعتبارها مناطاً للعقوبة والمثوبة، وللسعادة والشقاء.

فإذا كانت المخالفة تستتبع الدعاء من النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يسلطه الله عز وجل على من يخالفه، بحيث يفقد ذلك المخالف قدرته بهذا القهر، ويتلاشى اختياره بهذا التسليط، فذلك يعني أن يصبح إيمان هذا الشخص مولوداً قسرياً، نشأ وترعرع تحت وطأة الخوف، واستيلاء الرعب، وهذا هو الإكراه في الدين، الذي نفاه القرآن، حيث ينتفي معه دور العقل والفكر، والتأمل والتدبر المأمور به، والذي يطلب أن يرتكز الإيمان إليه، ويعتمد عليه..

وإنما يطلب الأنبياء «عليهم السلام» من ربهم إهلاك قوم بأعيانهم؛ حين يبادر أولئك الأقوام باختيارهم إلى فعل ما استحقوا به نزول العذاب عليهم، ومعاجلتهم بالعقوبة التي هي نتيجة أعمالهم.

هدايا المقوقس:

وغني عن القول: إن لا فائدة من كل تلك الهدايا التي أرسلها المقوقس إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنها هدايا تفيده كشخص في حياته الخاصة، ولا تفيد دعوته في شيء، بل هو أراد أن يماطل بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن يدفعه عن التعرض بدعوته لأهل مملكته، مع علمه المسبق أيضاً: أن دعوته «صلى الله عليه وآله» ستصل إليهم، وسيدخلون في دين الله أفواجاً، تماماً كما علم بذلك قيصر، وصرح به..

ولكنه آثر أن يستمتع بزهرة الحياة الدنيا، ولو إلى حين، ورضي بأن يكون سبباً في إبقاء قومه في ضلالتهم، وأن يبوء ـ من ثم ـ بإثمهم..

القبط لا تطاوعه:

وقد صرح المقوقس ـ كما فعل قيصر ـ: بأن القبط لا تطاوعه في اتباع رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأنه يضن بمُلْكِه أن يفارقه..

وهو كاذب في قوله هذا جزماً، فإنه ـ كما أشار إليه كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ هو الذي يبوء بإثم القبط؛ لأنه يمنعهم من التعرف على دعوته «صلى الله عليه وآله»، بما يلقيه إليهم من شبهات، ويمارسه ضدهم من قهر واضطهاد، وإرهاب، واستضعاف لهم.

كما أنه يمنع رسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من القيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه فيهم..

وحين ادَّعى المقوقس أن القبط لا يطيعونه. هل جرب ذلك معهم بالأساليب الحكيمة؟! وبالتدبير السليم والذكي؟! أم أن هذا هو قرار

الأهواء، والمصالح، والرغبات الشخصية، الذي يريد التسويق له بهذه الطريقة الظالمة واللا إنسانية؟!

وهل أفسح المجال لدعاة الإسلام، لكي يمارسوا دورهم في هذا السبيل؟!

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم:

وبينما نرى المقوقس يرسل بالهدايا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويعترف بالنبوة له، حيث يقول:

«وجدت معه آلة النبوة، بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى» ونحو ذلك.

فإنه يقول: إنه يضن بملكه أن يفارقه..

فإنه إذا كان محمد «صلى الله عليه وآله» نبياً، فعليه أن ينقاد له، ويستجيب لدعوته، وليس له أن يمتنع عليه، ويعصيه، ويؤثر الاحتفاظ بملكه على طاعته، والانقياد له..

بل إن هذه المداراة الظاهرة من ملك مصر للنبي «صلى الله عليه وآله»، وإرساله الهدايا له. والبدء بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم باسم رسول الله في رسائله له «صلى الله عليه وآله»، حيث قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم: لمحمد بن عبد الله، من المقوقس، عظيم القبط: سلام عليك..»

وكذلك الحال بالنسبة لقيصر، حين كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«..إلى أحمد رسول الله، الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم:
وفيه يقول: «وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم».

إن هذه المداراة البالغة من هذين الرجلين، تدل على أنهما كانا على يقين من صحة نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولكنهما يحاولان التملص من مسؤوليات هذا الإيمان، والتخلص من تبعاته، فيلقيان بالمسؤولية على عاتق شعوبهما: الروم والقبط، وأن هذه الشعوب هي التي تأبى الإيمان، وبذلك يكون هذان الرجلان ـ بزعمهما ـ غير مسؤولين تجاهه «صلى الله عليه وآله»، وغير ملزمين بالطاعة..

مع أن هذا كلام فارغ، فإنه لو صح أن قومهما قد رفضوا الإيمان ـ وقد تقدم أن هذا غير صحيح أيضاً ـ فإن ذلك لا يعفي قيصر ولا المقوقس، ولا غيرهما من الدخول في هذا الدين، ومن طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتعامل مع قومهما بالحكمة والموعظة الحسنة، والسعي لتسهيل تقبلهما لدعوة الحق، والدخول في دين الله تعالى، والإيمان برسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولكن ماذا نصنع بمن غرتهم الحياة الدنيا، وصدق عليهم إبليس ظنه، فجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم؟!.

كتاب آخر مشكوك فيه:

وقد نقلوا عن الواقدي: أن الذي كتب كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المقوقس هو أبو بكر، وأنه كتب فيه: بسم الله الرحمن

الرحيم"[1].

ولكن النص الذي ذكروه لهذا الكتاب مختلف عن النص الذي نقلناه.

كما أن هذا النص المدَّعى يتضمن التهديد للمقوقس بالحرب، مع أن الحديث عن الحرب في أول رسالة دعوة يرسلها «صلى الله عليه وآله» ليس له ما يبرره، وليس هو الأسلوب الحكيم المتوقع من قبل رسول الله، ولم يكن من عادته «صلى الله عليه وآله» أن يفعل ذلك..

على أن كتاب فتوح الشام، راوي هذه الرسالة والذي ينسب إلى الواقدي إنما كتبه مؤلفه بهدف إرغام الروافض كما صرح به مؤلفه[2].

وقد أخذ العلماء على هذا الكتاب: أنه قد اعتمد أسلوب القصاصين، وأن أمارات الاصطناع ظاهرة على أسلوبه ومضامينه[3]. فهو كتاب غير موثوق، ولا يمكن الاعتماد عليه.

كلمات عن المقوقس:

والمقوقس بصيغة اسم الفاعل: هو لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية. وكان نصرانياً تابعاً لملك الروم، ومنصوباً من قبله.

وقيل: إنه تضمَّن مصر من قيصر بتسعة عشر ألف ألف دينار[4].

---

(١) رسالات نبوية ص٢٨٠ عن المصباح المضيء ج٢ ص١٤٧ عن الواقدي، وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٣٨. وراجع: فتوح الشام ج٢ ص٢٣.

(٢) راجع: فتوح الشام ج١ ص١١٦ و ١٥٤.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٩.

(٤) راجع: معجم البلدان ج٥ ص١٤١ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٠.

والقبط ـ بكسر القاف ـ هم: أهل مصر، أو أهل مصر والإسكندرية[1].

لا تسمع القبط منك حرفاً واحداً:

وقد أكرم المقوقس حاطب ابن أبي بلتعة، وبقي عنده حاطب خمسة أيام[2]، ودفع له المقوقس مائة دينار، وخمسة أثواب[3].

وقال له: «القبط لا يطاوعونني في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمجاورتي إياك، وأنا أضن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على البلاد، وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده.

فارجع إلى صاحبك، وارحل من عندي، ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً.

وبعث معه جيشاً إلى أن دخل إلى جزيرة العرب، فوجد قافلة تريد المدينة، فالتحق بها، وردّ ذلك الجيش»[4].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٠ عن السيرة الحلبية، وعن السيرة النبوية لدحلان، ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٥٠١ والبحار ج٧ ص١٧٦ وعون المعبود ج١١ ص١١٧ وكنز العمال ج١٢ ص٤٧٥.

(٢) الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج١ ق٢ ص١٧ و (ط دار صادر) ج١ ص٢٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٩٥ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٦٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٦ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨١ وعن السيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص٧١ ونصب الراية ج٦ ص٥٦٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٣٢.

(٤) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٦ و ٤٢٧ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٣ وعن =

وقد أظهرت هذه النصوص أموراً عديدة، منها:

١ـ ادّعاؤه أن القبط لا يطاوعونه، مع أنه لم يعرض ذلك عليهم، وقد دل على ذلك التعبير المذكور، حيث لم يقل: لم يطيعوني، ليدل ذلك على أنه قد عرض عليهم الإيمان فرفضوه، بل قال: لا يطاوعوني، الذي يستبطن: أنه يقول ذلك عن حدس واستنتاج.

٢ ـ لماذا لا يحب أن يعلم القبط بمجاورة حاطب للمقوقس؟! أليس ذلك إلا من أجل أن لا يتساءلوا عن السبب الذي جاء به إلى بلادهم، وقد يبذلون بعض المساعي لسماع أنباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أحد أتباعه، إذ إن النفوس تتشوق وتتشوف لسماع أنباء من هذا القبيل.

وهي أنباء يشعر الناس كلهم: أنها تهمهم وتعنيهم، ولها مساس بحياتهم، وبمستقبلهم، وبمصيرهم.

٣ ـ ألا يستفاد من هذه المطالب: أن المقوقس لم يُعلِم أحداً من القبط بقدوم رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وأنه قد حصر هذا الرسول، وحاصره عنده، وقد غمره بالإكرام والإنعام، وأبقاه تحت السيطرة، وتحت الرقابة التامة؟!

٤ ـ لماذا لا يريد المقوقس: أن تسمع منه القبط حرفاً واحداً؟! أليس هذا من الأدلة الواضحة على سعيه لتجهيل قومه؟!

= السيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص٧٢ وراجع: نصب الراية ج٦ ص٥٦٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٦٥ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٧٢ و ٧٣ وعيون الأثر ج٢ ص٣٣٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٨ وحياة الصحابة ج١ ص١١٨ وكنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٣٩٩.

ولماذا يهتم بهذا التجهيل؟! وما الذي يخشاه من اطلاعهم على أخبار نبي يعترف هو بصحة نبوته، وبعثته، وهو الذي لم تزل كتبهم السماوية تعدهم به؟!

إن ذلك كله وسواه مما لم نذكره يدل على أن المقوقس كان يسعى لإبعاد شبح الإسلام عن نفسه، وعن قومه، وكان يستخدم الكلمات المعسولة، والهدايا، وسياسة المداراة للمسلمين من جهة، ويتبع سياسة محاصرة قومه بالجهل، والإبعاد عن مواقع المواجهة، من جهة أخرى.. وذلك من أجل أن يبقي على نفوذه، ويحتفظ بملكه، ولو كان ذلك لقاء إطفاء نور الله تعالى، وإشاعة الشبهات والضلالات في الناس.

كتابه ﷺ إلى النجاشي الأول من مكة:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة:

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله، الملك، القدوس، (السلام) المؤمن، المهيمن، (العزيز، الجبار، المتكبر).

وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي، وبالذي جاءني، فإني رسول الله.

وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً، ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك، فأقر ودع التجبر. وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا.

والسلام على من اتبع الهدى»[1].

---

(١) راجع مصادر هذا الكتاب في: مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي رحمه الله وهي التالية: إعلام الورى ص٣٠ وفي (ط أخرى) ص٥٦ والطبري ج٢ ص٢٩٤ وفي (ط أخرى) ص٦٥٢ والبداية والنهاية ج٣ ص٨٣ وإعلام السائلين ص ٤ وناسخ التواريخ في بيان سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ص ٤٧٢ والحلبية ج٣ ص٢٧٩ وزيني دحلان (هامش الحلبية) ج٣ ص٦٧ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٠ وأعيان الشيعة ج٢ ص٢٠٧ وفي (ط أخرى) ج١ ص٢٤٣ وأسد الغابة ج٤ ص٨٦ وج١ ص٦١ في ترجمة أرمى بن أصحم، والبحار ج٢٠ ص٣٩٢ و ج١٨ ص٤١٨ و ٤١٩ وج٢١ ص٢٣ و ٤٣ عن إعلام الورى وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٢٤ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٣٦ وصبح الأعشى ج١ ص٩١ وج٦ ص٣٥٨ و ٣٥٩ و ٤٦٥ ورسالات نبوية ص٢٨٩ وتأريخ ابن خلدون ج٢ ص٧٩٠ و ٧٩١ وفي (ط أخرى) ج٢ ق٢ ص٣٦ وثقات ابن حبان ج٢ ص٩ وحياة الصحابة ج١ ص١٠٣ والدلائل للبيهقي ج٤ ص٣٧٦ وج٢ ص٧٨ و ٧٩ وفي (ط أخرى) ص٣٠٩ وربيع الأبرار ج٣ ص٢٩٧ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٥ وزاد المعاد ج٣ ص٦٠ وإعجاز القرآن ص١١٣ والمواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني (كما في الجمهرة) ونشأة الدولة الإسلامية: ١٥ /٣٠١ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٤١ والمنتظم ج٣ ص٢٨٧ والوثائق السياسية: ٢١ /٩٩ عن جمع ممن تقدم، وعن المواهب ج١ ص٢٩١ ونصب الراية للزيلعي، ومنشآت السلاطين لفريدون بك ج١ ص٣٢ ووسيلة المتعبدين (مخطوطة بانكى =

إسلام النجاشي الأول:

وقد ذكر المؤرخون ـ والنص للعلامة الأحمدي «رحمه الله»[1] ـ:

أنه لما أوصل عمرو بن أمية الكتاب إلى النجاشي، أخذه ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره، وجلس على الأرض إجلالاً وإعظاماً، ثم أسلم، ودعا بحق من عاج، وجعل فيه الكتاب، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته[2].

= پور) ص٨ وإعجاز القرآن للباقلاني ص٢٠٣ وإمتاع الأسماع للمقريزي (خطية كوپرلو إسطنبول) ص١٠٢١ والمبعث والمغازي لإسماعيل التيمي (خطية كوپرلو) ورقة ١١٤ ورفع شأن الحبشان للسيوطي (خطية بروصة) ورقة ١١٠ والوفاء لابن الجوزي ص ٧٣٤. وراجع: التنبيه والإشراف ص٢٢٦ والطبقات (ط ليدن) ج٢ ق١ ص١٥ وق١ ص١٣٩ و (ط بيروت) ج١ ص٢٠٧ و ٢٥٨ وج٤ ص٢٤٩ وج٨ ص٩٧ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج١ ص١١٤ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢١٠ و ٢١٣ والإستيعاب (هامش الإصابة) ج٢ ص٤٩٧ وكنز العمال ج١ ص٢٣٩ وج١٠ ص٤١٩ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٦٥ و ١٩٧ واليعقوبي ج٢ ص٦٧ والمناقب ج١ ص١٦٤. قال في الوثائق: (قابل سعيد بن منصور: ٣ / ٢/ ٢٤٨٠ وانظر كايتاني ج٦ ص٥٣ واشپرنكر ج٣ ص٢٦٢). وراجع: الكامل ج٢ ص٢١٠ و ٢١٣ وحياة محمد لهيكل ص٣٥٣ وأنساب الأشراف تحقيق محمد حميد الله ص٤٣٨.

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٧ عن الطبقات لابن سعد ج٢ ق١ ص١٥ و ١٦ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٩ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٦٧ و ٦٨ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٥. وراجع: ميزان الحكمة ج٤ =

كلام الرسول ﷺ عند النجاشي الأول:

وقالوا: إن عمرو بن أمية قال للنجاشي: يا أصحمة، إن عليَّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نحفظك على شر قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الخير وإصابة الفضل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه، لخير سالف وأجر ينتظر[1].

فقال النجاشي: أشهد بالله: أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأنه ليس الخبر كالعيان، ولكن أعواني من الحبشة قليل، فانظرني حتى أكثر الأعوان، وألين القلوب.

وفي رواية: لو أستطيع أن آتيه لأتيته[2].

= ص٣٢٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٣٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٦٥.

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٧ عن دحلان ج٣ ص٦٨ والحلبية ج٣ ص٢٧٩ وزاد المعاد ج٣ ص٦٠ والروض الأنف ج٣ ص٣٠٤ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٧٢ وج٢ ص٦٥٤ وعيون الأثر ج٢ ص٣٢٩ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج١ ص٢٥٩.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٨ عن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٦٨ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٠ وزاد المعاد ج٣ ص٦٠.

ونحن نرى: أن حامل رسالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو جعفر بن أبي طالب، إذ من المعلوم: أن النجاشي إنما أسلم على يدي جعفر فهذه الموعظة إن كانت قد صدرت من أحد فإنما صدرت من جعفر دون سواه باستثناء بعض الفقرات، كما سنوضحه في الفقرة التالية:

إنما يفتضح الفاجر:

هذا.. وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن عمرو بن أمية قال للنجاشي: «كأنك في الرقة علينا منا، وكأننا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه الخ..».

ونقول:

قد نقل عن خط الشهيد رحمه الله ما يلي:

«قيل: كتب النجاشي كتاباً إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: أكتب جواباً، وأوجز.

فكتب «عليه السلام»: «بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فكأنك من الرقة علينا منَّا، وكأنَّا من الثقة بك منك، لأنَّا لا نرجو شيئاً منك إلا نلناه، ولا نخاف منك أمراً إلا أمناه، وبالله التوفيق».

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: الحمد لله الذي جعل من أهلي مثلك، وشد أزري بك»[1].

---

(١) البحار ج٢٠ ص٣٩٧ و (ط حجرية) ج٦ ص٥٧١ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٤١ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٣ وراجع: ناسخ التواريخ، ترجمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٤٤.

فالكلام المتقدم من إنشاء أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكن الأيدي الخائنة التي تسعى إلى تزوير الحقائق، وإلى سرقة جواهر كلام علي «عليه السلام»، قد نسبت ذلك إلى عمرو بن أمية. ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، والمشركون، وأن يفتضح الفجار والمزورون لحقائق الدين والإيمان، وأن يحل بهم الخزي والعار، وأن يصيبهم الخذلان والخزي، والبوار، ويكون فيهم كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، وينتقم منهم في الدنيا والآخرة العزيز الجبار.

كتاب النجاشي الأول إلى النبي ﷺ:

وقالوا أيضاً: إن النجاشي أحضر جعفراً رضوان الله تعالى عليه وأصحابه، وأسلم على يديه لله رب العالمين، وكتب بذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر.

سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الذي لا إله إلا هو، الذي هداني للإسلام.

أما بعد..

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثُفْروقاً[1] إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك

---

(١) الثفروق: الأقماع التي تلصق بالبسر.

رسول الله، صادق، مصدق، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله»[1].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٨ عن المصادر التالية: عن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٦٧ و ٦٨ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٩ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٦٥٢ وفي (ط أخرى) ص ٢٩٤ عن ابن إسحاق، وإعلام الورى ص٣٠ وفي (ط أخرى) ص٥٦ والبحار ج٦ ص٣٩٨ و ٥٦٧ (الطبعة الحجرية) وج١٨ ص٤١٩ وج٢٠ ص٣٩٢ وأسد الغابة ج١ ص٦٢ و ٦٣ وأعلام السائلين ص٤ وناسخ التواريخ ص٢٧٣ من تأريخ رسول الله «صلى الله عليه وآله» وثقات ابن حبان ج٢ ص٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٧٩ وحياة الصحابة ج١ ص١٠٣ ومجموعة الوثائق السياسية ص٤٦ وفي (ط أخرى) ص ١٠٤ عن جمع ممن تقدم، و عن صبح الأعشى ج٦ ص٣٧٩ و ٤٦٦ و ٤٦٧ وسواطع الأنوار للتيمي (خطية) ورقة ١١٤/ب، و ١١٥/ ألف، ورفع شأن الحبشان للسيوطي (خطية) ورقة ١١٠/ب، وإمتاع المقريزي (خطية كوپرلو) ص١٠٢١ والوفاء لابن الجوزي ص٧٣٥ وراجع: الكامل لابن الأثير ج٢ ص٦٣ والمواهب اللدنية (بشرح الزرقاوي) ج٣ ص٣٧٩ والمستدرك ج٢ ص٦٢٤ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص٧٩١ وفي (ط أخرى) ج٢ ق٢ ص٣٦ والبداية والنهاية ج٣ ص٨٤ وزاد المعاد لابن القيم ج٣ ص٦٠ و ٦١ والشفاء للقاضي عياض ج١ ص١٦٤ ونشأة الدولة الإسلامية: ١٧/٣٠٢ ورسالات نبوية ص٢٩٠ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٠ والطبقات ج٢ ق١ ص١٥ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٤٣ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٤٢١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٧٩ والمنتظم ج٣ ص٢٨٨ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٧.

وكتب النجاشي إليه «صلى الله عليه وآله» في جواب كتابه في تزويج أم حبيبة ما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى محمد «صلى الله عليه وآله»، من النجاشي أصحمة..

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته.

أما بعد..

فإني قد زوجتك امرأة من قومك، وعلى دينك، وهي السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديتك هدية جامعة: قميصاً، وسراويل، وعطافاً، وخفين ساذجين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[1].

وكتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً في جواب كتابه في تجهيز المسلمين هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى محمد «صلى الله عليه وآله»، من النجاشي أصحمة..

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا الذي هداني للإسلام.

أما بعد..

فقد أرسلت إليك يا رسول الله من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادي، وها أنا أرسلت إليك ابني أريحا في ستين

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٩ عن المصادر التالية: الوثائق ص١٠٦ وفي (ط أخرى) ص٤٨ عن سواطع الأنوار للتيمي ص٨١ والطراز المنقوش لابن عبد الباقي، الباب الأول. وابن الجوزي ص٥٦٨ و ٥٦٩ ملخصاً ونشأة الدولة الإسلامية: ١٨/٣٠٣.

رجلاً من أهل الحبشة، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»[١].

رسول النجاشي الأول وهداياه:

لما طغت قريش وعتت ضد الإسلام والمسلمين، وأفرطوا في تعذيبهم قال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو خرجتم إلى الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد. وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»[٢].

ثم بعث المهاجرين تحت كفالة جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليهما[٣]

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٩ عن: الوثائق ص٤٨ وفي (ط أخرى) ص١٠٤ عن الطراز المنقوش لابن عبد الباقي وسواطع الأنوار ص٨٢ وقابل إعلام السائلين ص٣ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٧٦ وج٢ ص٦٦١.

(٢) البحار ج١٨ ص٤١٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٩ وعن فتح الباري ج٧ ص١٤٣ وعن مجمع البيان ج٣ ص٤٠٠ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٧٠ وعن البداية والنهاية ج٣ ص٨٥ و ٩٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٥٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤ و ١٧ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٢ وج٢ ص٣٦٣.

(٣) راجع: الجزء الثاني من هذا الكتاب، ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٠. وراجع: والبداية والنهاية ج٣ ص٩٨ عن أبي موسى، والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١١ وراجع: كنز الدقائق ج٣ ص١٧٣ وتفسير علي بن إبراهيم ج١ ص١٧٦ ونور =

وكتب إلى النجاشي فيهم، يوصيه بتكريمهم وقراهم. كما أن أبا طالب رضوان الله عليه أيضاً كتب إليه في هذا المعنى كما تقدم في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب، حين استعرض أحداث هجرة المسلمين إلى الحبشة.

فأقام المسلمون هناك في رغد من العيش، وأمن من الغوائل، ورد النجاشي مبعوثي قريش رداً قبيحاً، وصار تكريمه للمسلمين سبباً للثورة عليه، ودفع الله تعالى عنه هذه المكائد.

وقد تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب إلى النجاشي مع عمرو بن أمية في الدعوة إلى الإسلام ـ والظاهر: أن المكتوب إليه هو النجاشي الثاني ـ فآمن وصدق، وكتب إليه أيضاً في تزويج أم حبيبة، فزوجها منه «صلى الله عليه وآله»، وكتب إليه أيضاً في إرسال جعفر صلوات الله عليه، ومن معه من المسلمين، فجهزهم وأرسلهم في سفينتين مع هدايا، ومع الوفد الذي أرسله، لينظروا إلى كلامه ومجلسه ومشربه، فيشاهدوا آيات رسالته، وأعلام نبوته، وأن زيه ليس هو زي الملوك والجبابرة.

فوافوا المدينة، وأكرمهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى قام يخدمهم بنفسه الشريفة، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله.

فقال: إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإني أحب أن أكافيهم، وقرأ

= الثقلين ج١ ص٥٤٩ والبرهان ج١ ص٤٩٣ ومجمع البيان ج٩ ص٢٤٤ وفي أسد الغابة ج١ ص٤٤ «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي..» وراجع ج٥ ص٢٥٠.

عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» القرآن، فبكوا، ورجعوا إلى النجاشي[1].

الإقرار للنجاشي الأول بالملك:

وقد خاطب النبي «صلى الله عليه وآله» النجاشي بعنوان «ملك الحبشة»، ولم يخاطب كسرى ولا قيصر ولا المقوقس بذلك.. لأنه «صلى الله عليه وآله» كان على يقين من إيمان النجاشي، ثم من عقله، وحسن تدبيره،

---

(١) اخترنا هذه النصوص من كتاب مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي «رحمه الله» تعالى فراجعه، وراجع أحداث هجرة الحبشة في مختلف كتب السيرة والتاريخ، ومنها على سبيل المثال: المصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٢٨٤ وحياة الصحابة ج١ ص٣٣١ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٢١ وتأريخ الخميس ج١ ص٢٨٨ وج٢ ص٢١ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٥ ص٢١٨ ـ ٢٢٣ وكشف الأستار ج٢ ص٢٩٧ والدلائل للبيهقي ج٢ وج٤ ص٣٤٤ والبحار ج١٨ ص٤١٠ وج٢١ ص١٩ و ٢٣ و ٢٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٣٤٤ وج٤ ص٣ والدر المنثور ج٥ ص١٣٣ وج٢ ص٣٠٢ و ٣٠٣ وسيرة ابن إسحاق ص٢١٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٣ و ٢٤ وكنز الدقائق ج٣ ص١٧٣ ومجمع البيان ج٣ ص٢٣٣ وج٩ ص٢٤٤ ونور الثقلين ج١ ص٥٤٦ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤٩٣ وتفسير القمي ج١ ص١٧٦ والشفاء للقاضي عياض ج١ ص٢٥٩ والبداية والنهاية ج٣ ص٦٦ وج٤ ص٢٦٢ و ٢٠٥ والكامل في التاريخ ج٢ ص٧٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج٢ ص٣٢٨ وعن السيرة الحلبية ج١ ص٣٦٠ وج٣ ص٥٦ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج١ ص٢٥١ وج٢ ص٢٥١.

وأمانته، وعدله، فإنه ملك لا يظلم عنده أحد، كما تقدم، فلم يكن هناك أي محذور من الإقرار له بالملك على قومه، وتفويض تدبير أمورهم إليه، فإنه أحرى بذلك من كل أحد..

وهكذا فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

سلام عليك:

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» **ـ كما قلنا ـ يكتب إلى المسلم**: سلام عليك، أو سلم أنت، أو نحو ذلك، ويكتب إلى غير المسلم: السلام على من اتبع الهدى.

وقد لاحظنا هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» يبدأ كتابه للنجاشي بقوله: «سلام عليك، أو سلم أنت».

وهذا يشير إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعلم بقبول النجاشي بكل ما يرضي الله سبحانه، ولا يتوقع منه أي تلكؤٍ أو استكبار عن قبول الدعوة الإلهية، فهو يؤمن بعيسى «عليه السلام»، من حيث إنه يرى: أن في ذلك الإيمان رضاه تعالى، ولابد أن يتواصل ويستمر هذا الإيمان، ولا ينقطع.

بل هو يتنامى ويكبر ويتحول تلقائياً إلى الإسلام.

أحمد إليك الله:

ولسنا بحاجة للإشارة إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ساق حمده لله حتى أوصله إلى النجاشي، ليؤنسه ويسره به، وليحببه إليه، ولم يفعل ذلك مع كسرى وقيصر..

وفي هذا دلالة أخرى على: أن النجاشي قريب إلى الله تعالى، وهو يأنس

بحمده، والثناء عليه، ولا يغتر بملكه وطاعة الناس له، إلى حد الشعور بالاستغناء عنه تعالى، والاستكبار عن طاعته..

الملك:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد خاطب النجاشي: بأنه «ملك الحبشة» ولكنه عاد وذكَّره: بأن الله تعالى هو الملك على الإطلاق، وله دون سواه الملك الحقيقي، الذي لا يخضع في مالكيته إلى جعل، وإنشاء من أحد، وأما من سواه، فمالكيته وسلطانه محتاج إلى إنشاء واعتبار وجعل مِن قِبَل مَن بيده الأمر، وهو المالك الحقيقي، والخالق، والمهيمن.

القدوس:

ثم عقب ذلك بذكر سائر صفات الله سبحانه، والتي يحاول الملوك، أن يستأثروا بها لأنفسهم، بنحو أو بآخر. فذكر من ذلك صفة «القدوس» التي هي من صيغ التكثير والتشديد (المبالغة) في تقديس الله وتنزيهه عن أي نقص، أو عجز، أو عيب، أو حاجة وما إلى ذلك.

فلا معنى لأن ينسب إليه أحد ظلماً، أو جهلاً، أو بخلاً، أو.. أو..

وبمقايسة بسيطة يتجلى للإنسان عجزه حتى لو كان ملكاً، وتظهر له عيوبه، ويشعر بأنه محتاج إلى غيره، حتى إلى رعيته، أو إلى بعضهم، ليرفع نقائصه، وليصل إلى مراداته.

والمفروض بهذا الشعور الداخلي، والإقرار الوجداني، أن ينتهي به إلى التسليم لله الملك القدوس، وأن يطلب منه سبحانه تلبية حاجاته، وتقوية ضعفه، وإكمال نقصه، ورفع عجزه..

السلام، المؤمن:

ورغم أن الله مالك، وأن مقتضى ألوهيته أن يكون عباده مطيعين، خاضعين، منقادين له.. فإن الناس، سواء في ذلك الملوك أم السوقة يستكبرون على ربهم، ولا يخضعون، ولا ينقادون له، ولا يطلبون حاجاتهم منه، ولا يعترفون بضعفهم أمام قوته، وبنقصهم أمام كماله، وبفقرهم أمام غناه و.. و..

ولكنه تبارك وتعالى لا يعاملهم بما يستحقون، ولا يعاجلهم بالعقوبة على ما يقترفون، ولا يبادرهم بالانتقام رغم أنهم مجرمون. بل هو السلام الحاني، والمؤمن لهم من كل ما يخافون ويحذرون، وهو التواب على من تاب، والمؤمن لهم من العذاب.

أما سلام الملوك، فإنه يفرض بالقوة، وهو ليس في حقيقته سلام، بل هو إذلال وقهر.. ولذلك الأمن الذي يأتي من قبلهم فإنه يكون خوفاً واستكانة، واستخذاءً، وخموداً..

المهيمن:

ولم تكن صفة السلام والمؤمن فيه تعالى، من أجل أنه فاقد للسيطرة، وغير متمكن من الإمساك بمقاليد الأمور بسبب قلة خبرة، أو انحسار سلطان، أو ضعف في مستوى مراقبة الأحوال..

بل من أجل أنه تعالى: يمنح السلام والأمن لمستحقيه وطالبيه من موقع الشاهدية، والرقابة، والإمساك بالأمور بصورة حقيقية، وبقدرة وفاعلية، فكان المهيمن والشاهد. لا بواسطة الاستعانة بغيره، ولا بالاعتماد

على الوسائل المتاحة له، كما هو حال ملوك الأرض، بل بالقدرة الذاتية، والشاهدية الحقيقية..

العزيز الجبار المتكبر:

والله تعالى هو العزيز، الجبار، المتكبر على نحو الحقيقة، وأما ملوك الأرض فإنهم يدَّعون ذلك لأنفسهم، ولكن على سبيل تسمية الأمور بغير أسمائها الحقيقية، فيصورون ذلهم ومهانتهم عزاً وكرامة، ويصورون ضعفهم الذي يجرهم إلى ظلم الآخرين ـ على قاعدة: وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف[1] ـ جبروتاً، وبطشاً وقوة..

كما أن صغر أنفسهم حين يغطونه بانتفاخات كاذبة يسمونه كبرياءً، مع أن جبروت الله هو عين عدله، وعزته تبارك وتعالى كرامة كامنة في حقيقة ذاته، وتتجلى في المظاهر المشيرة إلى عظمته..

---

(١) من دعاء السجاد «عليه السلام» يوم الأضحى والجمعة، راجع: الصحيفة السجادية (ط مؤسسة المهدي قم) ص٣٤٩ ـ ٣٥٣. وراجع: المقنعة للمفيد ص١٢٩ ومصباح المتهجد ص٢٧٠ و ٢٧٤ و ٤٢٣ ومكارم الأخلاق ص٢٩٥ وإقبال الأعمال ج١ ص٢٥٠ و ٣٢٦ و ٥٠١ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٤٩١ وتهذيب الأحكام ج٣ ص٨٨ والمزار لابن المشهدي ص٤٧١ وعن إقبال الأعمال ج١ ص٢٠٥ و ٣٢٦ و ٥٠١ وج٢ ص١٨١ وجمال الأسبوع ص١١١ و ١٣٣ و ٢٦٦ والبحار ج٥ ص٥٣ وعن ج٨٤ ص٢٠٣ و ٢٦١ و ٢٦٨ وعن ج٨٦ ص٢٩٥ وعن ج٨٧ ص٣٢٩ وعن ج٨٨ ص٢٤ وعن ج٩٥ ص١٨ و ١٣١ و ٢٠٨ و ٢٨٦ ونور البراهين ج٢ ص٣٠٦ وميزان الحكمة ج٣ ص١٩١٤ وجامع البيان ج١٧ ص٨٢.

شهادة رسول الله ﷺ لعيسى أولاً:

والذي يستوقف الباحث هنا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه وقبل أن يطلب من غيره شيئاً قد بادر إلى الشهادة لعيسى «عليه السلام»، بما يعتقده فيه، وفي أمه على نبينا وآله وعلى عيسى وأمه الصلاة والسلام، فقال:

أشهد أن عيسى بن مريم روح الله.

وقد اقتصرت شهادته على النقطة المحورية للخلاف في أمر عيسى «عليه السلام»، وهي نقطة الارتكاز للديانة المسيحية كلها، حتى إذا تعرضت هذه النقطة لأي اهتزاز، فإن ذلك سوف يزعزع بناء تلك الديانة كله، و يسقط الهيكل على رؤوس أصحابه.. ألا وهي قضية خلق عيسى، فقرر أنه «عليه السلام» مخلوق لله تعالى، حين وصفه بأنه روح الله وكلمته..

أي أنه روح خلقه الله بحكمته، واختاره واصطفاه، وأضافه إلى نفسه، من بين سائر الأرواح.

وهو كلمة الله أيضاً؛ لأنه ولد من غير أب، بل بواسطة كلمته، وهي قوله تعالى: ﴿كُنْ..﴾ فكان.

فإن كان عيسى «عليه السلام» روحاً مخلوقاً لله عز وجل، بواسطة أمره التكويني. و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]. فهو مخلوق محدث، لا يحمل أي عنصر إلهي، وهذا بالذات هو ما تقضي به العقول، وتهدي إليه الفطرة السليمة والصافية..

(١) الآية ٨٢ من سورة يس.

مريم البتول، الطيبة، الحصينة:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد شهد لمريم بثلاثة أوصاف هي:

١ ـ البتول: وتعني: المرأة المتبتلة التي قررت الانقطاع عن الرجال، من حيث إنها تلتزم العفة والعصمة عن كل ما لا يرضاه الله في هذا الإتجاه، أو المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا وزينتها، أو كما قال أحمد بن حنبل: «لانقطاعها عن نساء أهل زمانها، ونساء الأمة عفافاً، وفضلاً، وديناً، وحسباً»[1].

فعن علي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» سئل ما البتول، فإنا سمعناك يا رسول الله تقول: إن مريم بتول، وفاطمة بتول؟

فقال «صلى الله عليه وآله»: البتول التي لم ترَ حمرة قط. أي لم تحض فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء[2].

---

(١) راجع: لسان العرب (نشر أدب الحوزة ـ قم) ج١١ ص٣٤ مادة: بتل. وراجع: النهاية في اللغة، مادة بتل أيضاً. والكافي ج٥ ص٥٠٩ ومعاني الأخبار ص٦٤ والمزار الكبير لابن المشهدي ص٧٨ والبحار ج٦ ص٦٤ وج١٤ ص٣٠٠ وج٤٣ ص١٥ وعن ج٩٧ ص٢٠١ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٥ وتحفة الأحوذي ج٤ ص١٧١ واللمعة البيضاء ص٢٠٣ وبيت الأحزان ص٢٦ والسيدة فاطمة الزهراء للبيومي ص١٠٩.

(٢) علل الشرائع ج١ ص١٨١ ومعاني الأخبار للصدوق ص٦٤ ومشرق الشمس للبهائي العاملي ص٣٢٥ وروضة الواعظين ص١٤٩ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٣٧ ودلائل الإمامة ص١٥٠ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٢٧٧ والبحار ج٤٣ ص١٥ و ١٦ وج٧٨ ص١١٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٥ وكشف الغمة ج٢ ص٩٢.

والبتل: القطع، ومنه قيل لمريم: البتول ولفاطمة «عليها السلام»، لانقطاعها عن نساء زمانها، ديناً وفضلاً، ورغبة في الآخرة[١].

والتبتل: الانقطاع إلى عبادة الله[٢].

وامرأة متبتلة: كل جزء منها يقوم بنفسه في الحسن[٣].

وقيل لفاطمة البتول: لانقطاعها عن الأزواج غير علي «عليه السلام» أو لانقطاعها عن نظرائها في الحسن والشرف[٤].

أو لأنها تبتلت عن النظير[٥].

٢ ـ الطيبة: أي الطاهرة التي صرح الله تعالى بطهارتها، عما نسبه اليهود إليها حين قالوا لها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[٧].

٣ ـ الحصينة: وهي المرأة العفيفة ـ المتشددة في عفتها، المتمنعة بها، كما

---

(١) سبل السلام لابن حجر ج٣ ص١١١ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١٧٦.

(٢) الكافي هامش ج٢ ص٣٧٩ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٥٧ والتبيان ج١٠ ص١٦٤ والجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٤٤.

(٣) رسائل المرتضى ج٤ ص٨٥.

(٤) فتح الباري ج٩ ص٩٦.

(٥) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٥ عن ابن الهروي.

(٦) الآية ٢٨ من سورة مريم.

(٧) الآية ٤٢ من سورة آل عمران.

يتمنع المحارب في حصنه..

فخلقه من روحه ونفخه:

وبعد التلويح جاء التصريح: بأن عيسى «عليه السلام» مخلوق محدث، وأن الله سبحانه قد خلقه من روح اختاره واصطفاه، ونسبه إلى نفسه كما ينسب الشيء إلى مالكه وصاحبه، فيقال: بيته، وقميصه، ونحو ذلك..

ثم بين كيفية هذا الخلق وأنه بنفخ الروح فيه بعد تكونه في بطن أمه مريم جنيناً كاملاً..

كما خلق آدم عليه السلام بيده ونفخه:

ثم بالغ في تحديد كيفية الخلق وأسبابه وشؤونه حين قرر: أن خلقه مثل خلق آدم «عليه السلام»، فإن الله تعالى خلقه بيده، أي بقدرته التي يعبر عنها باليد، كما قال تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1]. أي أن قدرة الله وبطشه فوق قدرتهم وبطشهم، ولكن بما أن البطش، وإعمال القدرة إنما يكون بواسطة اليد؛ فإنه تعالى أورد هذه الكلمة أيضاً إمعاناً في تجسيد المعنى إلى حد أصبح شيئاً يناله الإنسان بحواسه الظاهرة. فقد تجلت القدرة وتجسدت آثارها حتى أصبحت وكأنها يد ظاهرة للعيان..

ثم أشار إلى كيفية حلول الروح في جسد آدم وعيسى «عليهما السلام»، وقال: إن ذلك قد جاء بطريقة النفخ، الذي هو عبارة عن الإيجاد والتكوين المباشر في داخل الجسد نفسه..

---

(١) الآية ١٠ من سورة الفتح.

الموالاة على طاعة الله عز وجل:

وبعد أن دعا النبي «صلى الله عليه وآله» النجاشي إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ـ وقد تحدثنا عن هذه الشهادة حين الكلام عن رسالته «صلى الله عليه وآله» لكسرى ـ طلب منه الموالاة على طاعة الله سبحانه. فيكون بذلك قد حدد المنطلق والإطار للعلاقة الروحية، ولطريقة تعامله مع جميع البشر ويدخل في هذا السياق إرشاد الناس إلى المعايير، والضوابط، من خلال المبادرة منه «صلى الله عليه وآله» نفسه إلى التعامل مع الناس على أساسها، ومن خلالها، ويسوقهم بذلك إلى السعي للحصول على وضوح الرؤية، والاستفادة من جميع القدرات، والطاقات التي زودهم الله تعالى بها بصورة صحيحة..

ولا يكل ذلك إلى الأهواء والميول، ونزوات الغرائز، وهذا النهج من شأنه إذا اتبعوه: أن يخرجهم من العشوائية والإبهام، والغموض، إلى آفاق بالغة الصفاء، شديدة الوضوح، وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾[3].

والآيات المشيرة إلى هذا المعنى كثيرة..

---

(١) الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ١٤ من سورة محمد.

أدعوك وجنودك:

وبعد ذكر أمور أخرى ـ أشرنا إلى بعض دلالاتها حين تكلمنا عن رسالته «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى ـ قال «صلى الله عليه وآله» للنجاشي: «وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل..».

والأمر الشائع بين الناس هو خضوع الجند لقادتهم ولملوكهم فيما يعرضونه عليهم، حيث يكون كل همهم وسعيهم محصوراً في تنفيذ أوامرهم، والكون رهن إشارتهم في إقامة صرح العدل، أو في إشاعة الذل والظلم والتعدي على حد سواء..

ومن الواضح: أن الجنود هم الأداة التي يعتمد عليها الملوك في بسط سلطانهم ونفوذهم، وبهم يوسعون دائرة حكمهم، وهم الأدوات التي يستفيدون منها في قهر الناس، وفي ظلمهم وابتزاز حقوقهم..

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. قد وجه خطابه إلى هؤلاء بالاستقلال عن قائدهم النجاشي، ليثير لديهم الإحساس بهذه الاستقلالية، ولإفهامهم أن هناك أموراً لا يجوز لأحد أن يقررها لهم، أو أن ينوب عنهم فيها. ومن ذلك معرفة الله سبحانه والخضوع له، والاعتراف بالأنبياء المرسلين والطاعة لهم، والعمل بأحكامه تعالى وشرائعه، والالتزام بأوامره ونواهيه.

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يذكر ذلك في كتابه لكسرى وقيصر، والمقوقس؛ لأنه كان عارفاً بأنهم سوف يستكبرون عن قبول دعوته، فضلاً عن أن يفسحوا المجال لدعوة أي كان من الناس إلى دين الحق، فكيف إن كانوا من جندهم الذين يعتمدون عليهم في استمرار

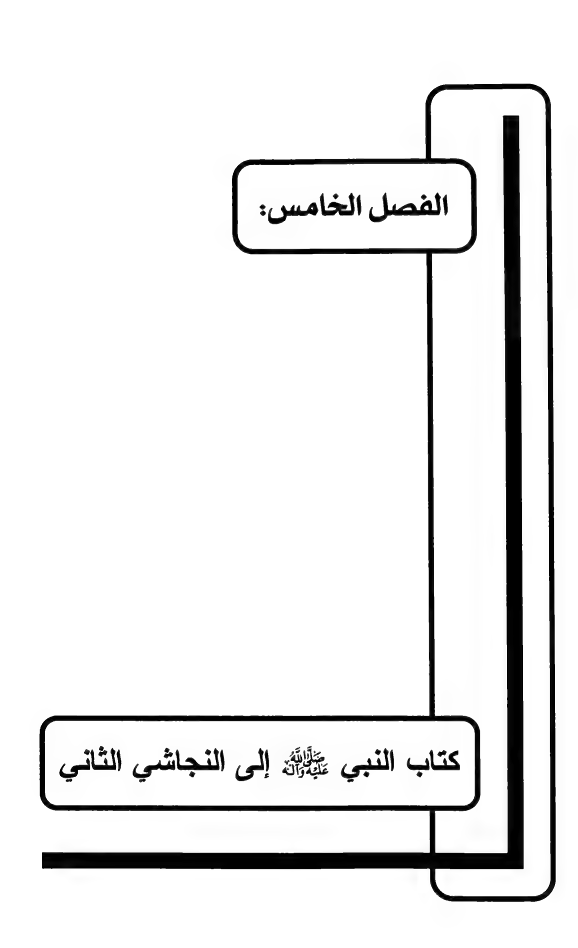
تسلطهم على الآخرين، ويستخدمونهم بمثابة أدوات للبطش، والإذلال والقهر والعدوان على الناس.

هذا.. وليس في الرسالة: أن على النجاشي إثم أحد من الناس، بخلاف رسالة كسرى وقيصر والمقوقس؛ فإنه قد حمَّلهم إثم أقوامهم في صورة عدم قبولهم دعوته..

[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الخامس:

كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى النجاشي الثاني

الفصل الخامس:

حالة [illegible]

كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي الثاني:

تقدم: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد كتب في سنة ست أو سبع إلى كسرى وقيصر، والنجاشي، والمقوقس، وغيرهم بنسخة واحدة، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وفي هذه الكتب كلها كتب الآية المباركة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ونص كتابه إلى هؤلاء، واحد كما تقدم.. وهو يختلف عن النص الذي قدمنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتبه للنجاشي الأول.

والنص الذي ذكرناه يدل: على أن ذلك الكتاب قد أرسل إلى النجاشي الأول حين هجرة جعفر والمسلمين إلى الحبشة، مما يدل على: أن الذي كتبه في سنة سبع كان موجهاً إلى نجاشي آخر غير النجاشي الأول، فلاحظ ما يلي:

١ ـ قول أنس: «إن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى كسرى وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس

بالنجاشي الذي صلى عليه النبي «صلى الله عليه وآله»..»[1].

٢ ـ إن النجاشي الأول الذي مدحه النبي «صلى الله عليه وآله»، وهاجر إليه المسلمون قد أسلم على يد جعفر بن أبي طالب وآمن به «صلى الله عليه وآله»، وقد روي عن الحسن بن علي العسكري «عليهما السلام» عن آبائه «عليهم السلام»: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أتاه جبرئيل «عليه السلام» بنعي النجاشي بكى بكاء الحزين عليه، وقال: إن أخاكم أصحمة ـ وهو اسم النجاشي ـ مات، ثم خرج إلى الجبانة وصلى عليه وكبر سبعاً، فخفض الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته وهو بالحبشة»[2]. وكان ذلك من معجزاته «صلى الله عليه وآله».

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٧ عن أبي الشيخ، وابن مردويه، وعن صحيح مسلم، والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٨ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٧ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢١٤ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٦ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١١٢ ونصب الراية ج٦ ص٥٥٩ وفتح القدير ج٢ ص١٠٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٥.

(٢) راجع: البحار ج١٨ ص٤١٨ وج٧٨ ص٣٤٨ والأقطاب الفقهية لابن أبي جمهور ص٦٥ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٥٢ والخصال ص٣٥٩ و ٣٦٠ باب السبعة حديث رقم ٤٧ والوسائل (ط مؤسسة أهل البيت) ج٣ ص١٠٧ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٤١ ومسند الإمام الرضا ج٢ ص٤١٧ و ٤٩٠ وعوالي اللآلي ج٢ ص٦٠ وراجع: المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص١٤٦ ومجمع البيان ج٢ ص٥٦١ والكشاف (ط سنة ١٤٠٦هـ) ج١ ص٤٥٩.

أما الذي كتب إليه حين كتب إلى الملوك والجبارين فهو النجاشي الثاني الذي استولى على السلطة بعد وفاة النجاشي الأول..

وقد زعموا: أنه هو الذي خرق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه «صلى الله عليه وآله» قال: «إني كتبت بكتابي إلى النجاشي فخرقه، والله مخرق ملكه»(١).

ونحن نقول:

إن ذلك غير دقيق، فإن الظاهر هو: أن هناك ملوكاً ثلاثة من ملوك الحبشة كلهم عاصر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيتضح ذلك فيما يأتي.

النجاشي ثلاثة، أسلم منهم اثنان:

بل إننا نستقرب: أن يكون ثلاثة من ملوك الحبشة قد عاصروا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد كاتبهم «صلى الله عليه وآله» جميعاً، وهم:

١ ـ النجاشي الأول، الذي أرسل النبيّ «صلى الله عليه وآله» إليه جعفر، وأرسل إليه الرسالة الأولى التي قدمناها وشرحناها، وقد أسلم هذا وآمن..

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٤ ص٧٥ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج١ ص١١٤ وحياة الصحابة ج١ ص١٠٧ ونصب الراية ج٤ ص٤١٨ وراجع: مجمع الزوائد ج٨ ص٢٣٥ والمنتظم ج٣ ص٢٨٩ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٦ وكنز العمال ج١ ص٢٦٨ وعن البداية والنهاية ج٥ ص٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥٨ وج١١ ص٣٥٥.

٢ ـ النجاشي الثاني، الذي مات حين زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بأم سلمة، في أول الهجرة. حسبما ورد في الرواية المتقدمة..

والظاهر من رواية أنس المتقدمة: أنه توفي قبل سنة ست أو سبع، أي قبل كتابة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الملوك والجبارين.

فقول من قال: إنه مات سنة تسع، أو بعد غزوة مؤتة، أو سنة ثمان[1]، لا مجال لقبوله..

وربما يكون القول بوفاته سنة تسع ناشئاً عن الاشتباه في قراءة الكلمة، حيث يكثر تصحيف كلمة (سبع) بكلمة (تسع) بسبب اتحادهما في الشكل مع عدم وجود النقط في الحروف في تلك العصور..

والحاصل: أن النجاشي الأول رحمه الله قد مات ـ على ما يظهر ـ في أول الهجرة، والنجاشي الثاني مات في سنة سبع، أو في آخر سنة ست، ثم تولى الحكم بعده النجاشي الثالث، فكتب إليه «صلى الله عليه وآله»، فخرق الكتاب، وأخبر «صلى الله عليه وآله» بتخريق ملكه..

ومما يدل على موت النجاشي الأول في أوائل الهجرة: أن أم كلثوم

---

(١) راجع هذه الأقوال في: البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٧ وأسد الغابة ج١ ص٩٩ والإصابة ج١ ص١٠٩ و ١٠٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٠ والبحار ج٢١ ص٣٦٨ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ص٨٢٦ والكامل ج٢ ص٢٩٣ وراجع: عمدة القاري ج١٧ ص١٥ وفتح الباري ج٧ ص١٤٦ وعن تاريخ الأمم والملوك. ج٣ ص١٢٢ ومرآة الجنان ج١ حوادث سنة تسع، وزاد المعاد ج٣ ص٦٠ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٨ عنهم، وعن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٦٩ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٠ وغير ذلك كثير.

قالت: «لما بنى النبي «صلى الله عليه وآله» بأم سلمة»، قال:

«قد أهديتُ إلى النجاشي أوراقاً من مسك وحلية، وإني لأراه قد مات. ولا أرى الهدية إلا سترد عليَّ..» فكان كما قال[1].

وكان زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بأم سلمة في السنة الرابعة[2].

وقيل: في السنة الثالثة[3]، أو في الثانية[4].

---

(١) مجمع الزوائد ج٨ ص٢٨٩ وراجع: المعجم الكبير ج٢٥ ص٨١ وج٢٣ ص٣٥٣ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٩ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٥ والخلاف والوفاق لعلي بن محمد القمي ص٣٧٠ عن الخلاف ج٣ ص٥٥٥ والإقناع للحجاوي ج٢ ص٣٢ ومغني المحتاج للشربيني ج٢ ص٤٠٠ وإعانة الطالبين ج٣ ص١٧٥ ودلائل النبوة ص١٥٠ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٠٩ والطبقات الكبرى ج٨ ص٩٥ والآحاد والمثاني ج٦ ص٢٢٦.

(٢) الإصابة ج٤ ص٤٥٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٩ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٠ وتنقيح المقال ج٣ ص٧٢ والتنبيه والإشراف ص٢١٣ وسيرة مغلطاي ص٥٥ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٤٢١ و ٤٢٢ وسير أعلام النبلاء ج١٦ ص١٠٠ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٠٣ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج٨ ص٢١٧ ومعرفة الثقات ج١ ص٩٧ وعن أسد الغابة ج٣ ص١٩٦.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج١ ص٣٤٤ والطبقات الكبرى ج٨ ص٨٧ ومعرفة الثقات ج١ ص٩٧ وعن فتح الباري ج١ ص٣٢٤ وسير أعلام النبلاء ج١٦ ص١٠٠.

(٤) راجع: تنقيح المقال ج٣ ص٧٢ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٦٦ وسيرة مغلطاي ص٥٥ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٤٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٠٨.

فلما مات النجاشي الأول تولى العهد بعده النجاشي الثاني، فراسله أيضاً رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعاه إلى الإسلام، فأسلم أيضاً. كما دلت عليه رواية زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: أنه «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث قبل أن يسير إلى خيبر عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي عظيم الحبشة، ودعاه إلى الإسلام، وكان أمر عمرواً أن يتقدم بجعفر وأصحابه. فجهز النجاشي جعفراً وأصحابه بجهاز حسن، وأمر لهم بكسوة، وحملهم في سفينتين»[1].

ولعل هذا هو الذي مات آخر سنة ست، أو في أول سنة سبع، والظاهر: أنه هو الذي أرسل وفداً إلى المدينة للتحقيق في أمر نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

كما أنه هو الذي كتب إليه النبي «صلى الله عليه وآله» في تزويج أم حبيبة، فزوجه إياها، وأصدقها النجاشي نفسه أربعة آلاف درهم[3].

---

(١) راجع: إعلام الورى ج١ ص٢١٠ والبحار ج٢١ ص٢٣ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٥ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٣٠.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٣٠٢ و ٣٠٣ والبداية والنهاية ج٣ ص١٨ وإعلام الورى ص٦ وتفسير الميزان ج٦ ص٨٥ وأسباب نزول الآيات ص١٣٧ وزاد المسير ج٢ ص٣١٠ وتفسير الجلالين ص٣٥٠ ولباب النقول ص٨٤ وفتح القدير ج٢ ص٦٩.

(٣) الوسائل ج١٥ ص٦ والكافي ج٥ ص٢٨٢ والمحاسن للبرقي ص٢٤٠ ومرآة العقول ج٢٠ ص١١١ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٧٣ وعلل الشرايع ج٢ ص٥٠٠ ومكارم الأخلاق ص٢٣٦ وعن البحار ج١٠٠ ص٣٤٩ وعن سنن=

٣ـ النجاشي الثالث: وهو الذي نص كتابه يتوافق مع نص كتابه «صلى الله عليه وآله» لكسرى، وقيصر، والمقوقس، وفيه آية الكلمة السواء، ولم يسلم هذا، بل مزق ـ هذا الخبيث ـ كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبر «صلى الله عليه وآله»: أن الله سيمزق ملكه، حسبما تقدم.

النجاشي يموت وهو مهاجر:

وقد ذكر القمي: أن النجاشي وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما عبر البحر توفي رحمه الله تعالى[1].

ويحتمل أن يكون المقصود بهذا الكلام هو النجاشي الأول، ويحتمل أن يكون المقصود هو الثاني، ولم نستطع أن نتحقق من هذا الأمر وزمانه، بسبب قلة النصوص.

= أبي داود ج١ ص٤٦٨ وسنن النسائي ج٦ ص١١٩ وعون المعبود ج٦ ص٩٥ و ٩٦ ومسند ابن راهويه ج٤ ص٢٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣١٥ والمنتقى من السنن المسندة ص١٧٩ وكشف الخفاء ج١ ص٣٨٨ ودفع شبهة التشبيه لابن الجوزي ص٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص١٣٦ و ١٣٩ وتهذيب الكمال ج١ ص٢٠٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٤٤٢ وج٢ ص٢٢١ وج٧ ص١٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٩٤.

(١) البحار ج١٨ ص٤١٦ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٢ عن ناسخ التواريخ، ترجمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ص٢٧٣ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٤٤ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٤٢٦ وتفسير القمي ج١ ص١٧٩ والتفسير الصافي ج٢ ص٧٩ والتفسير الأصفى ج١ ص٢٩٢ ونور الثقلين ج١ ص٦٦٤.

إخلاص النجاشي:

ومما يدل على مدى محبة النجاشي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» واهتمامه بظهور أمره، وإعزاز دينه، ما روي عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه، وهو في بيت جالس على التراب، وعليه خلقان الثياب.

قال: فقال جعفر «عليه السلام»: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما بنا، وتغير وجوهنا قال:

الحمد لله الذي نصر محمداً، وأقر عينه، ألا أبشركم؟

فقلت: بلى أيها الملك.

فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك، فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه محمداً «صلى الله عليه وآله»، وأهلك عدوه، وأسر فلان وفلان وفلان، التقوا بواد يقال له: بدر، كثير الأراك، لكأني أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي هناك، وهو رجل من بني ضمرة.

فقال له جعفر: أيها الملك، فما لي أراك جالساً على التراب، وعليك هذه الخلقان؟

فقال له: يا جعفر، إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى «عليه السلام»: أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله عز وجل لي نعمة بمحمد «صلى الله عليه وآله» أحدثت لله هذا التواضع.

فلما بلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه: إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدقوا يرحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة،

فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً، فاعفوا يعزكم الله»[1].

كتابه صلى الله عليه وآله إلى النجاشي الثالث:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة.

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلم. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك»[2].

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٤ عن الكافي ج٢ ص١٢١ وقال راجع: البحار ج٧٢ ص١٢٤ وراجع شرحه هناك، ومرآة العقول ج٨ ص٢٤٣ وأمالي الشيخ ج١ ص١٣ وأمالي المفيد ص٢٣٨ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٠٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٤٠٤ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢١٨.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٥ و ٤٥٦ عن المصادر التالية: دلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٧٨ وفي (ط أخرى) ج٢ ص٣٠٨ وزيني دحلان هامش الحلبية ج٣ ص٦٩ والبداية والنهاية ج٣ ص٨٣ عن البيهقي في الدلائل، ورسالات نبوية ص٢٩١ وسيرة ابن إسحاق (الجزء المطبوع) ص٢١٠ وفي (ط أخرى) ص٢٢٨ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٦٢٣ والوثائق: ٢٢/١٠٣ قال: وقابل إعلام السائلين، وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص٣٤٦ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٠٢ والأموال لأبي عبيد ص٣٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ق٢ ص٣٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤١.

ويبدو كما قلنا: أن المقصود بالنجاشي هنا: هو النجاشي الثالث الذي خرق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حسبما أوضحناه آنفاً.

هذا.. وقد شرحنا مضامين هذا الكتاب، حين تكلَّمنا عن كتابه «صلى الله عليه وآله» لكسرى، فيمكن الرجوع إلى هناك.

وحسبنا ما ذكرناه في هذا السياق، ولننتقل إلى الحديث عن غزوة خيبر في الفصول التالية:

الباب الخامس

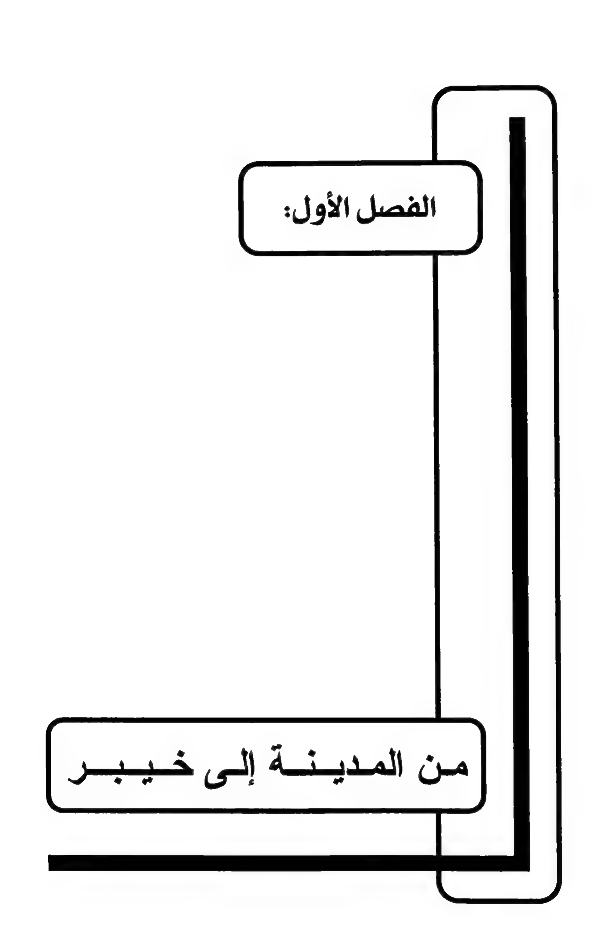
حـــصـــون خـــيـــبـــر

الفصل الأول: من المدينة.. إلي خيبر
الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال
الفصل الثالث: فتح حصن ناعم
الفصل الرابع : فتح سائر حصون النطاة والشق

[illegible]

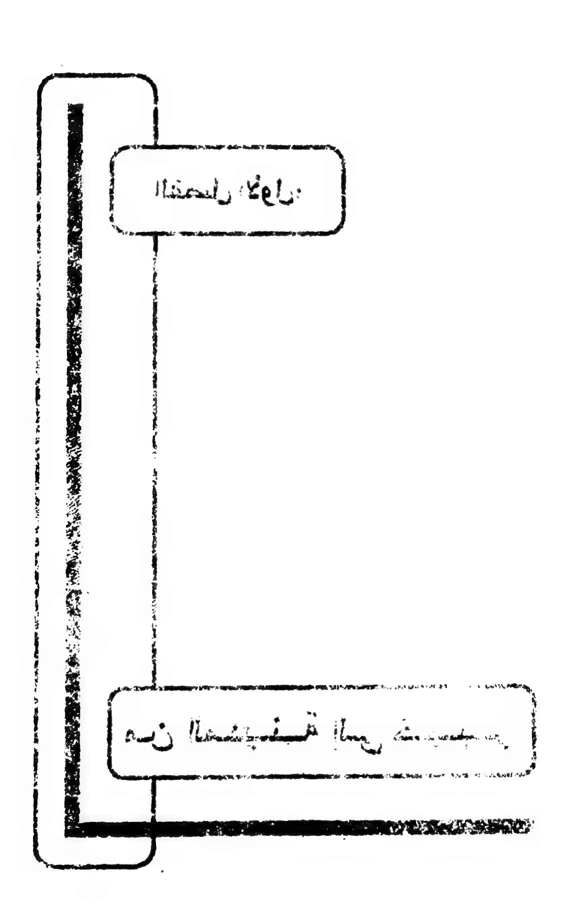
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الأول:

من المدينة إلى خيبر



تقديم:

فقد كانت هدنة الحديبية قد أعطت الانطباع بأن المسلمين قد أصبحوا قوة كبيرة، فرضوا هيبتهم في المنطقة بأسرها.. الأمر الذي دعا قريشاً إلى القبول بالهدنة، بعد أن أنهكتها الحروب المتتالية معهم..

بل إنه «صلى الله عليه وآله» أصبح يعمل على نشر دعوته في كل بقاع الدنيا، وهو يرسل إلى أعظم ملوك الأرض ـ طالباً منهم الدخول في دينه ـ في خطاب قوي وحازم.

ولم يعد في المحيط الذي يعيش فيه قوة كبيرة متماسكة، يمكن أن يحسب لها حساب، إلا يهود منطقة خيبر، الذين كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل، بل أكثر من ذلك. وهي قوة لا يستهان بها، إذ لديهم حصون منيعة، وقدرات اقتصادية، ولسوف تكون المواجهة صعبة معهم، ولاسيما إذا أرادوا اتباع أسلوب التسويف، وإتلاف الوقت، بالاستفادة من الحصون الكثيرة التي تحت يدهم، التي كان فيها من المؤن، والأقوات ما يكفي لأشهر طويلة.

وليبقى الجيش الإسلامي، الذي لم يكن يملك الكثير من ذلك، ليبقى في العراء يعيش الملل، ويكابد لحظات الانتظار الطويلة، والثقيلة، دون أن

تلوح له في الأفق بارقة أمل، وليرهقه الخمول والكسل، حيث لا مجال له للقيام بأي عمل..

وكانت استعراضات يهود خيبر لقوتهم، وظهور اغترارهم بها، وركونهم إليها، قد لفتت الأنظـار، ولعلها تركت آثاراً على بعض الضعفـاء في المنطقة، مثل غطفان، وسواها.

ولكن الأمور قد سارت في غير الاتجاه الذي توقعوه، إذ سرعان ما تهاوت أحلامهم، ودكت حصونهم، وخابت آمالهم، وأنجز الله تعالى لنبيه وعده، ونصر جنده، وهزم جموع اليهود وحده، وكانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى. كما سنبينه في سياق حديثنا هذا.

بداية:

إن الذي يراجع المصادر والموسوعات التاريخية، والحديثية، يلاحظ: أن ثمة فرقاً بين ما دوَّنوه من أحداث، وأشاروا إليه من جزئيات وتفاصيل في تاريخهم لمرحلة ما قبل الحديبية وخيبر، ثم في تاريخهم للحديبية ولخيبر فما بعدهما..

حيث يلاحظ: أن المرحلة السابقة تُعْرَضُ فيها الأحداث بما لها من طابع كلي وعام، ولا تجد فيها من الاستغراق في الجزئيات والتفاصيل ما يقترب إلى مستوى ما حفلت به الأحداث المتأخرة عن الحديبية..

ولعل من أسباب ذلك هو: أن الحديبية قد أفسحت المجال لاختلاط المسلمين مع غيرهم في التجارات، وإنشاء العلاقات، وجَهَر بالإسلام من كان متستراً به، ودخلت فئات كثيرة في هذا الدين، أو كانت تتهيأ لذلك،

وهي تقوم برصد حركة الواقع، وبملاحقة الأمور بعين الرضا والقبول.. إما بهدف تحصيل القناعة والاعتقاد التام، أو من أجل الحفاظ على المصالح، والحصول على الامتيازات، أو ما إلى ذلك..

وبعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» حاول كل أولئك الذين يريدون أن يبرروا لمواقف وسياسات، وممارسات، وأقاويل، ومذاهب بعينها ـ حاولوا ـ أن يرجعوا إلى هذه الفترة التي عاشوها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستفادوا من مشاهداتهم لحركاته وسكناته، ومواقفه، وكل أحواله منها، فاتخذوا منها مرتكزاً لإنشاء منظومة التعاليم والتوجيهات والسياسات، والمذاهب الاعتقادية، والفقهية، التي لم تكن لتجد طريقها إلى عقل، ووجدان وحياة الناس لو لم تستمد شرعيتها من حياته «صلى الله عليه وآله»، ومن أقواله، وأفعاله، ومواقفه..

أما الفترة التي سبقت هذا المفصل التاريخي فقد غاب عنها أكثر هؤلاء، وجهلوا الكثير من جزئياتها وتفاصيلها، فأنتج ذلك عجزاً عن التوسل بها في إنشاء تلك المنظومة، وفق ما يريدون، وعلى حسب ما يشتهون.

وبعد هذه الإلماحة السريعة نقول:

ماذا عن خيبر؟!

خيبر اسم منطقة تقع على ثلاثة أيام من المدينة، على يسار الحاج القادم من الشام. وبينها وبين المدينة ثمانية برد (والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، وكل ميل أربعة آلاف خطوة، وكل خطوة ثلاثة أقدام).

والخيبر بلسان اليهود: هو الحصن، ولذا سميت خيابر أيضاً[1].

وفي هذه المنطقة حصون ومزارع، ونخل كثير، حتى قالوا: كان في الكتيبة، أربعون ألف عذق. وتوصف خيبر بكثرة التمر[2].

وفي خيبر ثمانية حصون، هي: النطاة، والوطيح، والسلالم، والكتيبة، والشق، والصعب، وناعم، والقموص.

قال الماوردي وغيره: «وكان أول حصن فتحه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها ناعم، ثم القموص، ثم حصن الصعب بن معاذ. وكان أعظم حصون خيبر، وأكثرها مالاً، وطعاماً، وحيواناً، ثم الشق، والنطاة، والكتيبة.

فهذه الحصون الستة فتحها النبي «صلى الله عليه وآله» عنوة، ثم افتتح الوطيح والسلالم، وهو آخر فتوح خيبر صلحاً. بعد أن حاصرهم.

وملك من هذه الحصون الثمانية ثلاثة حصون: الكتيبة، والوطيح، والسلالم. أما الكتيبة، فأخذها بخمس الغنيمة، وأما الوطيح والسلالم فهما مما أفاء الله عليه؛ لأنه فتحهما صلحاً، فصارت هذه الحصون الثلاثة بالفيء»[3].

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٤٢ وراجع: تهذيب المقال ج٥ ص٤٢١ وتاج العروس ج٣ ص١٦٨.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٢ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢١٠.

(٣) الأحكام السلطانية ج١ ص٢٠٠ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٧٠ و ٦٧١ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٠٩ وعمدة الأخبار ص٣١٥ وتاريخ الأمم والملوك =

ولكن هذا الكلام الأخير غير مقبول في فقه أهل البيت «عليهم السلام»، وسيأتي البحث عن ذلك إن شاء الله.

كما أن ما ذكره: من أن فتح حصن الصعب قد كان بعد فتح حصن القموص غير دقيق، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

خيبر مقدسة!!

قال الصالحي الشامي: «ولابن زبالة حديث: «ميلان في ميل من خيبر مقدس».

وحديث: «خيبر مقدسة والسوارقية مؤتفكة».

وحديث: «نعم القرية في سنيات الدجال خيبر»..»[1].

والسوارقية: «قرية أبي بكر، بين مكة والمدينة، وهي نجدية، فيها مزارع ونخل كثير»[2].

ونقول:

إن الحديث عن كون خيبر نعم القرية في زمن الدجال موضع ريب

= ج٢ ص٣٠٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢١ والسيرة الحلبية ج٣ ص والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٥١.

(١) راجع ما تقدم: في سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٢ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢١٠.

(٢) مراصد الاطلاع ج٢ ص٧٥١ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٣٨ ومعجم البلدان ج٣ ص٢٧٦.

وشك، ولعله من أفائك اليهود أنفسهم.

إلا أن يكون المقصود بهذا الحديث: أنها تكون موضعاً مأموناً، بسبب وجود سبعين ألفاً من اليهود مع الدجال، على كل رجل منهم ساج وسيف محلى[1].

ومن الطبيعي: أن يهتم يهود خيبر بأمر الدجال، ما دام أن الدجال يأتمر بأوامرهم، وينتهي إلى مقاصدهم..

وربما تكون هذه الأحاديث من موضوعات اليهود لتعظيم البلاد التي كانوا يسكنونها، وللإيحاء بأن حرب النبي «صلى الله عليه وآله» لهم فيها كانت انتهاكاً لحرمة ما هو مقدس..

على أننا لا ندري: ما الذي جعل قرية أبي بكر؛ «مؤتفكة» أي تفعل الأفك والافتراء، دون سائر القرى والله هو العالم..

تاريخ غزوة خيبر:

لما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة من الحديبية، وذلك في ذي الحجة ـ كما قال ابن إسحاق ـ من سنة ست، مكث بها عشرين ليلة، أو قريباً منها، ثم خرج في المحرم إلى خيبر.

وكان الله عز وجل وعده إياها، وهو بالحديبية، فقد نزلت عليه سورة الفتح، فيما بين مكة والمدينة، وفيها قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً

---

(١) وفاء الوفاء ج١ ص٦٢ عن أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح، ومسند أحمد ج٣ ص٢٩٢ والآحاد والمثاني ج٢ ص٤٤٩ وكنز العمال ج١٢ ص٢٤٨.

﴿تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾[1] يعني خيبر[2].

وعن ابن عباس: أقام بعد الحديبية في المدينة عشر ليال[3].

وعن سليمان التيمي: خمسة عشر يوماً[4].

وقيل: أقام شهراً وبعض شهر[5].

وقال مالك: كانت خيبر سنة ست، وإليه ذهب محمد بن حزم. والجمهور ـ كما في زاد المعاد ـ أنها في السابعة[6].

ويمكن الجمع: بأن من أطلق سنة ست فإنما جاء كلامه بناءً على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول. وابن حزم من هؤلاء أيضاً، فإنه يرى: ابتداء السنة الهجرية من شهر ربيع الأول[7].

ونقل الحلبي عن الجمهور: أنه سار إلى خيبر بعد أن مضى من محرم

---

(١) الآية ٢٠ من سورة الفتح.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٥ و ١٥٢ و ١٥٣ عن ابن عقبة، وابن إسحاق، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣١ والبحار ج٢١ ص١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٣.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٣.

(٥) السيرة الحلبية ج٣ ص٣١.

(٦) الإمتاع للمقريزي ج١ ص٣١٠ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٢ و ١٥٣ و السيرة الحلبية ج٣ ص٣١.

(٧) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص ١٥٣ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٤٢ عن المواهب اللدنية.

السنة السابعة، عشرون يوماً، أو قريباً من ذلك[1].

وقال محمد بن موسى الخوارزمي: غزاها النبي «صلى الله عليه وآله» حين مضى ست سنين وثلاثة أشهر وواحد وعشرون يوماً للهجرة[2].

وهذا معناه: أنها كانت في آخر جمادى الأولى، بناءً على: أن أول السنة محرم، أو في آخر جمادى الثانية بناءً على: أن أول السنة الهجرية هو ربيع الأول.

في أي شهر كانت؟!

قيل: إن غزوة خيبر كانت في شهر صفر[3].

وقيل: في ربيع الأول[4].

وقيل: في جمادى الأولى[5].

وقيل أيضاً: إنها في شهر رمضان[6].

ولعل سبب هذا القول الأخير هو: تصحيف كلمة حنين بكلمة خيبر. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سار إلى حنين بعد الفتح، وقد كان الفتح في شهر رمضان[7].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣١.

(٢) معجم البلدان ج٢ ص٤٠٩ و ٤١٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٢ و ١٥٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص ١٥٣ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٤.

(٥) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٢.

(٦) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٣.

(٧) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص ١٥٣.

مدة حصار خيبر:

وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» أقام يحاصر خيبر بضع عشرة ليلة، إلى أن فتحها في صفر[1].

وسيأتي: أن ذلك غير دقيق، وأن حصارها قد تعدى الأيام إلى الأشهر كما سنرى، ولعله يتحدث عن حصار بعض حصونها فقط..

مدة إقامته ﷺ في خيبر:

وقد روي عن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» أقام بخيبر ستة أشهر يجمع بين الصلاتين[2].

وعنه أيضاً: أنه أقام بها أربعين يوماً، وسنده ضعيف[3].

وأن حساب أيام الحصار للحصون المختلفة، وفق ما ورد في النصوص التاريخية، والروائية يعطي: أن الحصار قد دام عشرات الأيام.. وإن لم يصل إلى ستة أشهر..

الاستنفار إلى خيبر:

قال الواقدي: أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه بالخروج، فجدوا في ذلك، واستنفروا مَنْ حوله ممن شهد الحديبية، يغزون معه.

وجاء المخلَّفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٦ عن الطبراني في الأوسط.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٦ عن البيهقي.

ولأنها ريف الحجاز طعاماً وودكاً وأموالاً، فقال «صلى الله عليه وآله»:

«لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا»[1].

ثم أمر منادياً ينادي بذلك، فنادى به[2].

ونقول:

١ ـ إن غزوة الحديبية كانت بمثابة امتحان للكثيرين، من حيث إن نتائجها لم تكن واضحة لكثير من الناس الذين يرصدون سير الأمور فيها.

مع أن الحقيقة هي: أنه قد كان فيها ما لم يكن متوقعاً، فإن النتائج كانت باهرة على أكثر من صعيد، وفي أكثر من اتجاه.

٢ ـ ومن النتائج التي ظهرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أصبح قادراً على المبادرة لإزالة الشوكة الجارحة من خاصرة الكيان الإسلامي، المتمثلة باليهود، الذين ما فتئوا يسعون في إثارة الناس ضده، ويحرضون القبائل المختلفة على حربه، ويشاركون في هذه الحروب بالمال والرجال، وإفساد القلوب، وتسميم الأجواء باستمرار.

٣ ـ إن العدو الذي كان له امتداد طبيعي في المنطقة، بسبب موقعه من المقدسات، وبسبب علاقاته، ونفوذه الديني والتجاري، والاجتماعي في المنطقة ـ إن هذا العدو ـ قد لجم، وأقصي عن موقع التأثير المباشر، وتهيأت الفرصة لكثير من الناس لممارسة حرياتهم، في التعرف على دعوة الإسلام

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١ والإمتاع للمقريزي ص٣١٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٤.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣١ والإمتاع للمقريزي ص٣١٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٤.

عن قرب، ومن دون خوف أو رهبة من أحد..

وأصبح بإمكان الكيان الإسلامي أن يرتب أوضاعه الداخلية، وأن يعالج المشاكل التي يفرضها عليه، أو يخلقها له أعداؤه الذين يعيشون في محيطه، أو في المحيط القريب منه، والشديد التأثير عليه..

٤ ـ إن الإنجاز الذي حققه المسلمون في الحديبية قد أذكى فيهم الطموح، وبعث فيهم ثقة بأنفسهم، وأعطاهم حيوية ونشاطاً غير عادي. وبدا للكثيرين منهم أن رحلتهم إلى خيبر كانت رحلة الاستيلاء على المغانم، والفوز بها.

وقد رسخ هذا الاعتقاد لدى الكثيرين منهم الوعد الإلهي بهذه المغانم، فقد قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ..﴾[1].

حيث فسرت هذه الآية بما مكنهم الله تعالى منه في خيبر.. حسبما تقدم في أواخر الحديث عن صلح الحديبية..

٥ ـ إن ما فعله المخلفون في قضية الحديبية كان شديد الخطورة في أكثر من اتجاه، فعدا عن أنه يعبر عن ضعفهم الإيماني، وعن حبهم للدنيا، فإنه يجرئ الآخرين على ممارسة هذا الأسلوب في التعاطي مع أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الأمر الذي يمهد لاختلالات خطيرة، ربما تؤثر على الكيان الإسلامي كله.

٦ ـ ثم إن النداء بحرمان هؤلاء، وبتخصيص أولئك، لابد أن يثير الشعور لدى أهل الحديبية بالعزة والكرامة، ويقابله شعور آخر بالخزي

---

(١) الآية ٢٠ من سورة الفتح.

وبالذنب لدى الذين تخلفوا حرصاً على الحياة بالأمس، وشدوا الرحال طمعاً بالغنيمة اليوم.

وكفى بذلك محفزاً لمزيد من التضحية والإقدام لأولئك، ورادعاً عن تكرار ما حدث لدى هؤلاء، ودرساً لغيرهم ممن لعلهم يسيرون على نفس الطريق.

المستخلف على المدينة:

وقال ابن هشام وغيره: إنه «صلى الله عليه وآله» استخلف على المدينة «نميلة» ـ بالتصغير ـ ابن عبد الله الليثي[١].

وقيل: بل استخلف سباع بن عُرفُطة ـ بضم العين والفاء[٢].

وقيل: أبا ذر[٣].

ولعل سبب هذه الاختلافات الكثيرة في أمثال هذه الأمور هو: أن الرواة كانوا يروون من حفظهم، وكانت الغزوات كثيرة، والمعلومات

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٥ عن ابن هشام، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١ والإمتاع ص٣١٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٥عن أحمد، وسعيد بن منصور، والبخاري في التاريخ الصغير، وابن خزيمة، والطحاوي، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة، والتاريخ الصغير ج١ ص٤٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٩٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١ والإصابة ج٢ ص١٣ والإمتاع ص٣١٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٦٣٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٢.

(٣) الإمتاع ص٣١٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٧.

غزيرة، فيتفق أن يختلط الأمر على بعض الرواة بين غزوة وأخرى..

كما أنه قد يكون هناك سياسات أو عصبيات، أو مصالح لدى بعض الفئات تقضي بإقصاء فريق، وبإعطاء المواقف، وإيكال المهمات إلى فريق آخر..

خدمة أنس للنبي صلى الله عليه وآله:

وقد ادَّعى أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال لأبي طلحة، حين أراد الخروج إلى خيبر: التمسوا لي غلاماً من غلمانكم يخدمني، فخرج أبو طلحة مُرْدِفِي، وأنا غلام قد راهقت، فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا نزل خَدَمْتُه، فسمعته كثيراً ما يقول: إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال[1].

ومما يؤيد أن يكون أول اتصال لأنس بالنبي «صلى الله عليه وآله» في خيبر: أنهم يقولون: إنه غزا مع النبي «صلى الله عليه وآله» ثمان غزوات فقط[2].

وهذا يكذب ما زعموه، من أن أمه أتت به إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وقالت له: هذا غلام كاتب.

قال: فخدمته تسع سنين فما قال لشيء صنعته: أسأت، أو بئس ما

---

(١) مسند أحمد ج٣ ص١٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٥ والسنن الكبرى ج٩ ص١٢٥ وسنن النسائي ج٨ ص٢٧٤ وعن البخاري ج١١ ص١٧٧ (٦٣٦٣) والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١.

(٢) الإصابة ج١ ص٧١.

صنعت[١].

وفي رواية أخرى: أنها قالت: هذا أنس غلام يخدمك فاقبله.

وذكروا: أنه خرج معه «صلى الله عليه وآله» إلى بدر يخدمه[٢].

نعم، وقد كان أنس يستحق هذه الأوسمة، فإنه كان على السقاية في البحرين من قبل أبي بكر[٣].

وكان يبث أقاويل تفيد في تأييد خلافة مناوئي علي «عليه السلام»، ويحجب حقائق حساسة، يستفيد من حجبها، وإنكارها هذا الفريق بالذات.

فهو من أجل هذا وذاك يستحق أن تزجى له المدائح، وأن تسطر له المآثر، ليصبح كلامه أكثر وقعاً، وأعظم أثراً..

وقد استحق من جهة أخرى أن يدعو عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بسبب كتمانه حديث الغدير مرة، وحديث الطير أخرى، ولموقفه من طلحة والزبير في حرب الجمل ثالثة، فأصيب بالبرص، وعدَّ في جملة البرصان!![٤].

ولكن كل أباطيلهم وأضاليلهم لم تستطع حجب الحقيقة، فقد روي عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: ثلاثة كانوا يكذبون على النبي «صلى

---

(١) أسد الغابة ج١ ص١٢٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣١ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٧٢ وراجع: الإصابة ج١ ص٧١.

(٣) الإصابة ج١ ص٧٢.

(٤) راجع: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٤٥ والمعارف لابن قتيبة ص٥٨٠ والإرشاد للمفيد ص١٦٦ و ١٦٧ والخصال ص٢١٩ والأمالي للصدوق المجلس ٢٦ ص١٠٦ و ٥٢١ و ٥٢٢.

الله عليه وآله»: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة[١].

أم سلمة في خيبر أيضاً:

وأخرج «صلى الله عليه وآله» معه إلى خيبر أم المؤمنين أم سلمة «رحمها الله»[٢]. مع أنها كانت معه في غزوة الحديبية أيضاً..

ولنا وقفة مع هذا الأمر بالذات:

فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» يقرع بين نسائه، لتعيين التي تخرج معه في سفره كما يدَّعون، فإن القرعة تكون قد وقعت على أم سلمة مرتين..

وإذا كان الله تعالى يسدد نبيه «صلى الله عليه وآله»، لتصيب قرعته ما يحبه الله تعالى، أو ما فيه مصلحة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن هذا يدل على اجتماع هذين الأمرين معاً في حق أم سلمة رضوان الله تعالى عليها؛ فإن هذه المرأة الفاضلة، والتي هي أفضل نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بعد خديجة، كان الله يحبها وكانت المصلحة تقضي بأن تكون هي دون سواها معه في غزوتين هما من أخطر ما مر برسول الله «صلى الله عليه وآله» وبالمسلمين، وأشده حساسية، ويحتاج النبي «صلى الله عليه وآله» فيها إلى هدوء البال، وإلى إبعاد أي نوع من أنواع الأذى أو النكد، والمنغصات له..

---

(١) الخصال ج١ ص١٨٩ و ١٩٠ والإيضاح ص٥٤١ والبحار ج٢ ص٢١٧ وج٢٢ ص١٠٢ و ٢٤٢ وج٣١ ص٦٤٠ عن الخصال وج١٠٨ ص٣١ ومعجم رجال الحديث ج٤ ص١٥١ وج١١ ص٧٩ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٨١.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٢.

وكما كان واضحاً أنه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ..﴾[1] بل لابد من الطاعة والإنقياد.

فإن من الواضح أيضاً: أن لا حق للنساء بمرافقة أزواجهن في السفر من الناحية الشرعية، ويستطيع الزوج أن يختار أيتهن شاء لمرافقته.. ولكن الرسول «صلى الله عليه وآله» التزم بالقرعة بينهن.

فذلك يعني: أنه قد جعل لهن ما يشبه الحق، رفقاً منه بهن، وعطفاً منه عليهن..

وإنما جعل «صلى الله عليه وآله» طريقاً للتعيين ـ مع علمه بأن الله تعالى هو الذي يتولى تسديده، وهو الذي يختار له ـ من أجل تسكين خواطرهن، وعدم إثارة أي من المشاعر السلبية لديهن، حتى لو كن يظلمن أنفسهن وغيرهن، ويظلمن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً في ذلك..

ولولا ما ذكرنا، لأمكن أن يقال: لقد كان بإمكانه «صلى الله عليه وآله» أن لا يُخرج معه منهن أحداً، أو أن يخرجهن في أسفاره بصورة متوالية، وفق تراتبية القَسْم والليلة لهن. أو وفق قرعة تحدد هذه التراتبية.

إحساس يهود المدينة بالخطر:

قال الصالحي الشامي:

ولما تجهز رسول الله «صلى الله عليه وآله» والناس، شق على يهود المدينة الذين هم موادعو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعرفوا أنه إن دخل

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

خيبر أهلك أهل خيبر، كما أهلك بني قينقاع، والنضير، وقريظة.

ولم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه، وطالبه به.

وعن ابن أبي حدرد، بسند صحيح: أنه كان لأبي الشحم اليهودي خمسة دراهم.

ولفظ الطبراني، والواقدي: أربعة دراهم، في شعير أخذه لأهله فلزمه.

فقال: أجلني، فإني أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقك إن شاء الله، قد وعد الله ـ تعالى ـ نبيه أن يغنمه خيبر.

فقال أبو الشحم حسداً وبغياً: أتحسبون أن قتال خيابر مثل ما تلقون من الأعراب؟ فيها: ـ والتوراة ـ عشرة آلاف مقاتل.

وترافعا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أعطه حقه».

قال عبد الله: والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها.

قال: أعطه حقه.

قال: وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا قال: ثلاثاً لم يراجع.

قال عبد الله: فخرجت، فبعت أحد ثوبي بثلاثة دراهم، وطلبت بقية حقه، فدفعت إليه، ولبست ثوبي الآخر. وأعطاني ابن أسلم بن حريش ـ بفتح الحاء وكسر الراء ـ ثوباً آخر.

ولفظ الطبراني: فخرج به ابن أبي حدرد إلى السوق، وعلى رأسه عصابة، وهو يأتزر بمئزر، فنزع العمامة عن رأسه فأتزر بها، ونزع البردة فقال: اشتر مني هذه، فباعها منه بالدراهم، فمرت عجوز فقالت: ما لك يا

صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ فأخبرها.

فقالت: ها دونك هذا البرد، فطرحته عليه.

فخرجت في ثوبين مع المسلمين، ونفلني الله ـ تعالى ـ من خيبر، وغنمت امرأة بينها وبين أبي الشحم قرابة، فبعتها منه»[1].

ونقول:

١ ـ إن يهود المدينة قد جربوا حظهم في الحرب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ورأوا بأم أعينهم كيف أن الله تعالى نصره عليهم.. وعرفوا مسبقاً نتائج حركته باتجاه خيبر.. وقد كانت ردة الفعل لديهم غريبة وعجيبة، من حيث إنها اقتصرت على السعي لحفظ أموالهم مهما كانت زهيدة، حتى ما كان بمقدار أربعة دراهم في شعير، فصاروا يلحون بمطالبة غرمائهم، ويلزمونهم بدفعها، وكأنهم يظنون: أن انتصار المسلمين في خيبر سوف ينشأ عنه ضياع تلك الأموال..

وربما كان المحفز على تفكيرهم هذا هو: اعتقادهم أن ضعف وحاجة المسلمين إليهم، وحاجتهم إلى تسكين الأوضاع، التي كانت دقيقة وحساسة بسبب القوة الضاربة التي كانت لليهود في المنطقة، هو الذي يفرض على المسلمين إلى الوفاء بالعهود، وقضاء الديون.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٥ و ١١٦ عن الواقدي عن شيوخه، وعن أحمد، والطبراني، ومسند أحمد ج٣ ص٤٢٣ ومجمع الزوائد ج٤ ص١٢٩ والطبراني في المعجم الصغير ص٢٣٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٤ و ٦٣٥، وراجع: نيل الأوطار ج٩ ص١٨٢ وفيض القدير ج٥ ص١٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٤٣ وأسد الغابة ج٣ ص١٤٢.

فهم قد قاسوا المسلمين على أنفسهم، فإن هذا بالذات هو طريقة وديدن اليهود في التعامل مع الآخرين، وهذه هي معاييرهم وأساليبهم حيث إنهم يخضعون لقوة المال، أو لقهر السلطان، أو سيمارسون مكراً واستدراجاً، أو ما إلى ذلك.

وقد فاتهم أن المسلمين ـ حتى العاديين منهم ـ إنما يتعاملون معهم ومع غيرهم بالمبادئ والقيم، وبموجبات الأخلاق والذمم.

ولقد صدق الذي قال: وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح.

٢ ـ ورغم خوف اليهود الشديد من أن يكون مصير أهل خيبر مثل مصير بني قينقاع والنضير وقريظة، وقد رأوا بأم أعينهم، كيف أن المسلمين قد انتصروا على أعدائهم، رغم كثرة العدد، وحسن العدة لدى أولئك الأعداء، مع قلة في العدد وضعف في العدة في جانب المسلمين.

وقد تكرر هذا النصر أكثر من مرة ومرتين، فلا مجال لأن يتوهم أحد أن الصدفة هي التي فرضته، بل هو سنة إلهية، ولطف رباني أجراه الله على أيديهم، ولهج به القرآن، وأصبح تشريعاً يفرض على المسلمين الالتزام بمقتضياته.

نعم، رغم ذلك كله، فإن اليهود توهموا: أن كثرة العدد سيكون لها شأن في مسار الحرب، ومصير القائمين بها.

إجراءات في الطريق إلى خيبر:

وقال المؤرخون أيضاً:

وجاء أبو عبس ابن جبر، فقال: يا رسول الله، ما عندي نفقة، ولا زاد، ولا ثوب أخرج فيه، فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» شقة سنبلانية:

(جنسٌ من الغليظ، شبيه بالكرباس).

قال سلمة: خرجنا مع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم، لعامر بن (سنان) الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم، يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا ... وألقين سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا ... إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من هذا السائق»؟

قالوا: عامر بن الأكوع.

قال: «يرحمه الله».

وفي رواية: «غفر لك ربك».

قال: وما استغفر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لإنسان يخصه إلا استشهد.

فقال عمر، وهو على جمل: وجبت يا رسول الله، لولا أمتعتنا بعامر.

وفي نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي طلب ذلك من عامر، فقال عامر: يا رسول الله، قد تولى قولي. أي الشعر.

فقال له عمر: اسمع، وأطع. فنزل يرتجز الخ..»[1].

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣١ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٨ و ٦٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٦ وفي الهامش: وأخرجه البخاري ج٧ ص٥٣٠ (٤١٩٦) وأخرجه مسلم ج٣ ص١٤٢٧ (١٢٣/ ١٨٠٢).

وروى الحارث بن أبي أسامة، عن أبي أمامة. والبيهقي عن ثوبان: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال في غزوة خيبر: «من كان مضعفاً أو مصعباً فليرجع».

وأمر بلالاً فنادى بذلك، فرجع ناس، وفي القوم رجل على صعب، فمر من الليل على سواد فنفر به فصرعه، فلما جاؤوا به رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «ما شأن صاحبكم»؟.

فأخبروه، فقال: «يا بلال، ما كنت أذنت في الناس، من كان مضعفاً أو مصعباً فليرجع»؟

قال: نعم. فأبى أن يصلي عليه.

زاد البيهقي: وأمر بلالاً فنادى في الناس: «الجنة لا تحل لعاص» ثلاثاً[1].

قال محمد بن عمر: وبينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الطريق في ليلة مقمرة، إذ أبصر رجلاً يسير أمامه عليه شيء يبرق في القمر، كأنه في شمس وعليه بيضة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من هذا»؟.

فقيل: أبو عبس بن جبر.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدركوه».

قال: فأدركوني فحبسوني، فأخذني ما تقدم وما تأخر، فظننت أنه قد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٦ و ١١٧ وفي هامشه قال: أخرجه البخاري ج٧ ص٥٣٠ (٤١٩٦) وأخرجه مسلم ج٣ ص١٤٢٧ (١٢٣/ ١٨٠٢)، والبيهقي في الدلائل ج٤ ص٢٠١ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣١ و ٣٢ و ٥٣ و ٥٤ والبحار ج٢١ ص٢ و ٣ وبغية الباحث ص٩٩ وغريب الحديث ج١ ص٧١٧ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٣ ص٢٩.

أنزل فيَّ أمر من السماء، فجعلت أتذكر ما فعلت حتى لحقني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «ما لك تقدم الناس لا تسير معهم»؟.

قلت: يا رسول الله، إن ناقتي نجيبة.

قال: فأين الشُّقيقة التي كسوتك؟

قلت: يا رسول الله، بعتها بثمانية دراهم، فتزودت بدرهمين وتركت لأهلي درهمين، وابتعت هذه البردة بأربعة دراهم.

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال: «أنت والله يا أبا عبس وأصحابك من الفقراء. والذي نفسي بيده، لئن سلمتم وعشتم قليلاً ليكثرن زادكم، وليكثرن ما تتركون لأهليكم، ولتكثرن دراهمكم وعبيدكم، وما ذلك لكم بخير».

قال أبو عبس: فكان والله كما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال سويد بن النعمان: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما وصل إلى الصهباء ـ وهي أدنى خيبر ـ صلى العصر، ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فثري، فأكل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأكلنا معه. ثم قام إلى المغرب، فمضمض ومضمضنا، ثم صلى، ولم يتوضأ. رواه البخاري[1] والبيهقي.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٧ وفي هامشه عن البخاري ج٧ ص٥٢٩ (٤١٩٥) والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٥ و ٦٣٦ وراجع: الموطأ لمالك ج١ ص٢٦ ومسند أحمد ج٣ ص٤٦٢ وعن صحيح البخاري ج١ ص٥٩ وج٤ ص١٣ وج٥ ص٧٢ وج٦ ص١٩٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص١٦٠ والمصنف للصنعاني ج١ ص١٧٨ عن البخاري من طريق مالك والحميدي =

زاد محمد بن عمر: ثم صلى بالناس العشاء، ثم دعا بالأدلاء، فجاء حُسَيْل بن خارجة، وعبد الله بن نعيم الأشجعي، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحُسَيْل: يا حُسَيْل: امض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأودية، حتى تأتي خيبر من بينها وبين الشام، فأحول بينهم وبين الشام، وبين حلفائهم من غطفان».

فقال حُسَيْل: أنا أسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طرق، فقال: يا رسول الله، إن لها طرقاً تؤتى منها كلها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سمها لي». وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحب الفأل الحسن، والاسم الحسن، ويكره الطيرة، والاسم القبيح.

فقال: لها طريق يقال لها: حزن، وطريق يقال لها: شاش، وطريق يقال لها: حاطب، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا تسلكها».

قال: لم يبق إلا طريق واحد يقال له: مرحب، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اسلكها»[1].

= عن ابن عيينة، وشرح معاني الآثار ج١ ص٦٦ وصحيح ابن حبان ج٣ ص٤٣٢ والمعجم الكبير ج٧ ص٨٧ وكنز العمال ج٩ ص٥٠٥ وأسد الغابة ج٢ ص٣٨١ ومعجم ما استعجم ج٣ ص٨٤٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٧ و ١١٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٢.

ونقول:

إن لنا ههنا وقفات هي التالية:

لمن الشعر المتقدم؟!

قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الشعر المذكور: «اللهم لولا الله ما اهتدينا» إنما هو لعامر بن الأكوع.

مع أنه قد روي في الصحاح، ومنها كتاب البخاري، في كتاب الجهاد: أنه من شعر عبد الله بن رواحة[1].

قال الصالحي الشامي: «فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا عليه، بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة»[2].

ويحتمل أيضاً: أن يكون عامر قد أخذه كله من ابن رواحة؛ لأنه مجرد حادٍ، يختار ما يناسبه من الحداء، ولو كان قد نطق به أو نظمه غيره.

الخطأ في مضمون شعر عامر:

هذا، ولا معنى لقوله في ذلك الشعر مخاطباً الله تعالى: «فاغفر فداء لك ما اتقينا»، إذ لا معنى لأن يفدي أحد اللهَ بالنفس، لأن ذلك يستبطن توقع حلول مكروه بالمفدي ـ ليجعل المتكلم نفسه فداء له من ذلك، وهذا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٣ والبخاري (المغازي ص٣٨) و (الأدب ص٩٠) وصحيح مسلم (الجهاد ص١٢٣) ومسند أحمد ج٤ ص٤٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٣.

يستبطن جواز الفناء على الله تعالى، وأنه لو لم يحصل الفداء له، لأمكن أن تحل المصيبة به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ارتجاز عامر لرسول الله ﷺ:

وقد يقال: إن الذي كان يرتجز لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في أسفاره هو البراء بن مالك، لا عامر بن الأكوع.

ويجاب: بأن المقصود: أنه كان يرتجز له في غالب أسفاره، أو في بعضها كما صرحت به بعض الروايات[1].

الإستغفار أمارة الشهادة:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن عمر بن الخطاب قد خاف على عامر، حتى قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: لولا أمتعتنا بعامر. وذلك لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان إذا استغفر لإنسان استشهد.

غير أننا نقول: إن ذلك لا يمكن قبوله:

فأولاً: لم يثبت: أنه «صلى الله عليه وآله» استغفر لعامر، فقد اختلفت الروايات في ذلك، حيث يقول بعضها: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: يرحمه الله.

ثانياً: لنفرض: أنه قد ثبت استغفار النبي «صلى الله عليه وآله» لعامر، ولكن قولهم: إنه ما استغفر «صلى الله عليه وآله» لإنسان يخصه إلا استشهد..

لا يمكن أن يصح، لأن كتب الحديث والتاريخ مشحونة بالأخبار المصرحة باستغفاره «صلى الله عليه وآله» للكثيرين من صحابته، ولم يصبهم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢.

شيء، بل عاشوا بعده عشرات السنوات، فراجع:

١ ـ استغفاره «صلى الله عليه وآله» لأبي بكر[1].

٢ ـ واستغفاره لأبي موسى الأشعري[2].

٣ ـ واستغفاره «صلى الله عليه وآله» لحذيفة، ولأمه[3].

٤ ـ واستغفر للمقصرين في الحديبية..

وغير ذلك..

لا تحل الجنة لعاص:

إن هناك أموراً قد يستهين الإنسان بها، فلا يطيع الأوامر الصادرة بشأنها، زعماً منه: أنه قادر على تجاوز سلبياتها..

غير أن هذا المنطق: مرفوض في الإسلام جملة وتفصيلاً، لأكثر من جهة..

فأولاً: ليس بالضرورة أن يكون ما اعتقد أنه المبرر لقرارات القيادة هو المبرر الحقيقي لها فعلاً؛ لأن للقيادة آفاقها، وعلاقاتها، ووسائلها التي تمكنها من المواجهة الصحيحة، من خلال رصد الأمور بصورة أدق وأشمل، يمكّنها من وضع كل الأمور في مواضعها الصحيحة وفي الدائرة الأوسع في المحيط الذي تتحرك فيه، ضمن سلسلة من الدواعي والمقتضيات التي ربما

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٦٥ وعن صحيح البخاري (فضائل أصحاب النبي ص٥).

(٢) عن صحيح البخاري (دعوات ص١٩ الترجمة ص٤٩ المغازي ص٥٥) وصحيح مسلم (فضائل الصحابة ص١٦٥).

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٣٩١ و ٣٩٢.

لا تخطر للآخرين على بال، أو لا تمر لهم في خيال، بحكم محدودية نظرتهم، وضآلة حجم معارفهم، وقلة اطلاعهم على ذلك كله..

ثانياً: إنه حين يكون لدى كثيرين من الناس مراكب تصعب السيطرة عليها، وتحتاج إلى بذل جهد، وربما إلى تعاون، وتعاضد، فذلك معناه إشغال الناس عن قضيتهم الأساس، في شأن داخلي غير ذي جدوى، تضيع فيه الجهود، التي يفترض توفيرها لتصرف في سبيل ما هو أهم، ونفعه أعم، هذا عدا عما ينشأ عن ذلك من تشويش في الفكر، وإخلال بالنظام العام.

ثالثاً: إن عدم صلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك الذي لم يمتثل للأمر، قد أظهر أن خلاف هذا الرجل لم يكن ناشئاً عن مجرد حالة عفوية، أو تلبية لرغبة شخصية، أو نتيجة غفلة حدثت له، أو نحو ذلك.

بل كان قاصداً لهذا الخلاف، عامداً إليه، وربما يصل ذلك إلى حد المؤامرة الهادفة إلى إحداث بلبلة، وتشويش، وإخلال.

بالإضافة إلى: إسقاط حرمة الأوامر النبوية، وتجريء الناس على خلافه «صلى الله عليه وآله»، وعصيان أوامره، والاستهانة بتوجيهاته..

ولعل هذا هو السبب في: أنه «صلى الله عليه وآله» قد رفض أن يشرفه بالصلاة عليه.

ورابعاً: إن الإعلان بطريقة النداء في الناس: لا تحل الجنة لعاص، لابد أن يكون له تأثيره القوي في ردع الناس عن محاكاة ذلك العاصي في فعله، وبالتالي فرض الالتزام بالنظام، وتنفيذ القرارات الصادرة، بانضباطية تامة، وبدقة وأمانة.

الكثرة لا خير فيها:

وقد ذكرت الروايات قصة أبي عبس مع رسول «صلى الله عليه وآله»..

ووجدنا أنها تشير إلى عدة أمور، نذكر منها:

١ ـ أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى السؤال عن حالة رأى أنها قد خالفت النَظْم الطبيعي لمسيرة الجيش، وهي انفراد أبي عبس عن الناس. وتقدُّمه عليهم.

والنبي «صلى الله عليه وآله»، وإن لم يكن قد ألزم الناس برعاية نَظْمٍ بعينه، ولكن ذلك لا يعني السماح بالحالة التي قد تبدو نشازاً بحسب ما جرت عليه طريقة الناس في حالات كهذه..

وجاء تفسير أبي عبس كافياً وربما مرضياً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فإن الاستعانة بالناقة النجيبة يريح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في مسير كهذا..

٢ ـ ثم أتبع «صلى الله عليه وآله» سؤاله الأول بسؤال آخر يفضي إلى إعطاء توضيحات عن لباس أبي عبس المميز، الذي يثير أكثر من شبهة وسؤال عن مكونات أبي عبس، وعن روافده ومصادره. فالبريق القوي، يضخم التصورات ويوهم: أن أبا عبس قد أصاب كنزاً، أو استولى على ثروة بطريقة قد تكون مشروعة، وقد لا تكون!!

ومهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» للإجابة المقنعة، والقاطعة لكل احتمال، وظن وشبهة، حين ضمَّن سؤاله تعريف الناس بمصدر المال. حتى لم يعد أبو عبس بحاجة إلى تقديم إثبات بذلك، بل اقتصرت مهمته على بيان موارد مصارف ذلك المال، وصحة تصرفه فيه.. وبذلك يكون «صلى

الله عليه وآله» قد جنَّبه غضاضة الإحساس بأن ثمة تهمة تموج في نظرات الناس إليه، وأنه يحتاج إلى إعداد وسائل دفعها عن نفسه..

٣ ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد تقدم خطوة أخرى باتجاه حسم الأمر لصالح أبي عبس، حين أعلن براءة أبي عبس من أية شبهة من هذا القبيل، وبيَّن أنه يعيش حالة الفقر والحاجة حقاً، ليس وحده، وإنما هو وأصحابه الفقراء.

٤ ـ ثم شفع ذلك بالإخبار عن أمر غيبي، من شأنه: أن يفرح الكثيرين من الناس من طلاب الدنيا، حيث أخبره: أنه هو وأصحابه، إن سلموا وعاشوا فسيكثر زادهم، وما يتركونه لأهليهم، وستكثر دراهمهم وعبيدهم.

وقد تضمن هذا الخبر الإشارة إلى أمرين:

أحدهما: أنه قد إشار إلى احتمال سلامتهم وبقائهم على قيد الحياة، ولكنه لم يجزم لهم بذلك.

حيث قال: لئن سلمتم وعشتم، وذلك لكي يعطيهم الفرصة لإخلاص النية في الجهاد، وليمكنهم من الإقدام على ما فيه احتمالات الشهادة، ولا يحرمهم من السعي لنيل هذا المقام الجليل..

الثاني: أنه قد بيَّن لهم: أن تحقيق ما يخبرهم به لا ينبغي أن يكون من أسباب اغترارهم بأنفسهم، وتخيُّل أن ذلك عطية وكرامة إلهية لهم، بسبب رفعة مقامهم في طاعته، وعلو درجتهم في الإخلاص له..

بل ذلك امتحان وابتلاء، لابد لهم من أن يحذروا منه، حتى لا يقعوا في فخ الركون إلى الدنيا، والاغترار بزبارجها، وبهارجها..

وبذلك يكون قد أعطاهم القاعدة الصحيحة في التعامل مع الكثرات

الدنيوية، ومنحهم النظرة الصائبة، والتقييم السليم لمثل هذا الأمر الخطير..

أكذوبة الفتاة الحائض:

ورووا: أن إحدى النساء اللواتي حضرن خيبر قالت: فأردفني رسول الله «صلى الله عليه وآله» على حقيبة رحله، قالت: فلما كان الصبح، وأناخ راحلته، ونزلت عن حقيبة رحله، وإذا بها دم مني. وكانت أول حيضة حضتها.

قالت: فتقبضت إلى الناقة، واستحييت.

فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» حالي، قال: ما لك، لعلك نفست؟

قلت: نعم.

قال: فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمرتحلك.

قالت: فكنت لا أطهر من حيضة إلا جعلت في طهري ملحاً. وأوصت أن يجعل ذلك في غسلها حين ماتت[1].

ونقول:

إننا نشك في صحة هذه الرواية، بل لا نرتاب في كذبها، وذلك لما يلي:

أولاً: لا معنى لجعل الملح في طهرها، ولا في غسلها، فإن غسل الدم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٥٦ و ٥٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٨٧ ومسند أحمد ج٦ ص٣٨٠ وسنن أبي داود ج١ ص٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٠٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٠٤.

الذي أصاب حقيبة الرحل بالماء والملح شيء، وجعله في طهرها شيء آخر..

على أننا لا ندري داعياً لوضع الملح في الماء، فإن الماء يكفي لغسل حقيبة الرحل..

ثانياً: إنه لا ريب في أن بلوغ البنت إنما هو بإتمامها تسع سنين.. والفتيات إنما يحضن ـ غالباً ـ في سن الثالثة عشرة.

ومن الواضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يردف خلفه من تكون في هذه السن، أو أقل من ذلك أيضاً..

وقد تحدثنا عن موضوع بلوغ الفتاة بشيء من التفصيل في غزوة بني قريظة، فراجع..

ثالثاً: إن الكل يعلم: أن علياً «عليه السلام» كان لا يلقي السلام على الشابة من النساء[1] فكيف برسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) راجع: الكافي ج٥ ص٥٣٥ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٦١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٤٥٨ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٧٣ وج١٤ ص٢٩٠ ومكارم الأخلاق ص٢٣٥ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٢٤٧ والبحار ج١٠١ ص٣٧ وجواهر الكلام ج١١ ص١١٨ وج٢٩ ص٩٩ وجامع المقاصد ج١٢ ص٣٤ ومسالك الأفهام ج٧ ص٥٦ ومجمع الفائدة للمحقق الأردبيلي ج٢ ص٤٩٥ وج٣ ص١٢١ والحدائق الناضرة ج٩ ص٨٣ ومستند الشيعة ج١٦ ص٦١.

(٢) راجع: الكافي ج٢ ص٦٤٨ والبحار ج٤٠ ص٢٣٥ وج١٦ ص٢١٥ و ٢٢٩ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٤٥٢ وفي هامشه عن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٢.

وورد النهي عن الجلوس في مجلس تقوم عنه المرأة حتى يبرد[1].

فهل يرضى بأن يردف خلفه فتاة في سن من تحيض؟!

رابعاً: ما معنى: أن يردف النبي «صلى الله عليه وآله» هذه الفتاة الأجنبية عنه، ولماذا لم يردف زوجته أم سلمة، أو أياً من زوجاته في أية غزوة من الغزوات؟!

وهل لم يوجد من يتبرع بارتداف هذه الفتاة سوى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ومن كان يردف أم زياد الأشجعي، التي خرجت إلى خيبر في خمسة نسوة ليداوين الجرحى، ولغير ذلك، فأسهم لهن تمراً؟![2].

بل لقد حضر خيبر عشرون امرأة.

فلماذا لم يجعل هذه الفتاة معهن؟! أو مع زوجته أم سلمة في هودجها؟!

خامساً: هل ارتدفها «صلى الله عليه وآله» على ناقته، أم على فرسه، أم على حماره؟!

فقد تقدم: أنهم قد اختلفوا في أنه: هل كان النبي «صلى الله عليه وآله» راكباً فرساً، أم حماراً مخطوماً برسن من ليف، وتحته أكاف من ليف!!

وقد ذكرنا ما يدل: على هذا وذاك فيما يأتي تحت عنوان: «وصول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر».

---

(١) راجع: الوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٤ ص١٨٥ وفي هامشه عن الكافي (الفروع) ج٢ ص٧٧ وعن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٨٣.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٢٧١ وفي التراتيب الإدارية ج٢ ص٥١١ عن أبي داود: حنين بدل خيبر. ولعله تصحيف؛ لأجل عدم وجود نقط للحروف في تلك الأزمنة.

وقد رجحوا: أنه قد ركب الحمار في الطريق إلى خيبر، ثم ركب الفرس، حين نشب القتال..

وأما الحديث الذي صرح: بأن الناقة مأمورة، فلا دلالة فيه على أنه «صلى الله عليه وآله» كان راكباً عليها.

وحتى لو دل على ذلك، فإنه يصبح متعارضاً مع حديث ركوبه للحمار، أو الفرس، حسبما أوضحناه..

وفي جميع الأحوال نقول:

إذا كان راكباً للفرس، فلماذا لا تركب هي على الناقة، أو الحمار؟ وإن كان راكباً على الحمار فيمكن أن تركب هي الناقة أو الفرس، وكذا لو كان قد ركب الناقة، فالحمار والفرس صالحان للركوب، فلا حاجة ـ في جميع الأحوال ـ إلى إردافها خلفه «صلى الله عليه وآله»..

إختيار الطريق إلى خيبر:

وعن حديث طلب النبي «صلى الله عليه وآله» من الدليل: أن يأخذ بهم في صدور الأودية، حتى يأتي بهم إلى خيبر من جهة الشام، نقول:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يكون بذلك قد تحاشى الظهور على قمم الجبال، وعلى جوانبها التي تظهر للرائي البعيد، لكي يتحاشى رؤية الناس لجيشه الضارب، ويكون في منأى عن مواقع الرصد التي ربما يكون العدو قد أقامها في المواقع المشرفة..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار أن يسلك الدليل طريقاً تؤدي بهم إلى خيبر من جهة الشام، وهو الطريق الذي يشعر اليهود بالأمن من

جهته، ولا يشعرون بالحاجة إلى رصده بدقة وبفعالية..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد أوضح أيضاً: أنه يريد أن يقطع عن اليهود المدد من جهة الشام، سواء أكان المدد مالاً، أم رجالاً، أم عتاداً، أم طعاماً، أم غير ذلك.

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أيضاً: أن يحول بين اليهود وبين حلفائهم من غطفان، وسيأتي: أن هذا هو ما حصل بالفعل، وذلك حين جاءت غطفان لمعونتهم، ثم تراجعت خوفاً من أن يتمكن «صلى الله عليه وآله» من مهاجمة ديارهم وأهليهم.

التطير والتفاؤل:

واللافت هنا قولهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد طلب من الدليل أن يسمي له الطرق إلى خيبر؛ لأنه كان يحب الفأل الحسن، فسماها له، فاختار أحدها.

ونقول:

أولاً: إن من الواضح: أن طلب تسميتها ليس بالضرورة أن يكون من أجل أن يتفاءل بأسمائها، فإن ذلك بعيد عن شأن النبي «صلى الله عليه وآله» ومقامه. وقد تكلمنا عن بعض ما يرتبط بذلك في جزء سابق من هذا الكتاب.

ثانياً: إن من جملة الطرق التي سماها الدليل طريقاً باسم «شاس» وليس في هذه الكلمة التفاؤل، أو التشاؤم.

ثالثاً: من أين ثبت لهم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد رفض السير في تلك الطريق من منطلق التشاؤم والتفاؤل، فقد يكون الغرض هو:

١ ـ أن يظهر خبرة الدليل، وأنه قادر على إنجاز المهمة التي أوكلت إليه.

٢ ـ أن يوجهه إلى الطريق الأكثر أمناً، والأشد ملاءمة للأهداف المتوخاة.

٣ ـ أن يعرف الناس بأنه «صلى الله عليه وآله» عالم بمسالك تلك البلاد، وإن لم يكن قد وطأتها قدمه من قبل.

لا حول ولا قوة إلا بالله:

روى أصحاب الكتب الستة، عن أبي موسى الأشعري، قال: أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم».

وأنا خلف دابة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فقال: «يا عبد الله بن قيس».

قلت: لبيك يا رسول الله، فداك أبي وأمي.

قال: «ألا أدلُّك على كلمة من كنز الجنة»؟.

قلت: بلى يا رسول الله، فداك أبي وأمي.

قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٥٠ وفي هامشه عن: البيهقي ج٢ ص١٨٤ وابن أبي عـاصم ج١ ص٢٧٤ والطبري ج٨ ص١٤٧ وابن السني (٥١٢) وعبد =

ونقول:

هناك حالات تنتاب الجماعات، وهي تواجه قضاياها الكبرى، لا يصح الانسياق معها، بل لا بد من معالجتها والتخلص منها. ومن هذه الحالات: أن اجتماعها مع بعضها البعض قد يشعرها بالقوة بدرجة قد تتجاوز حدود قوتها الطبيعية، الأمر الذي يهيء لوقوعها في براثن الغفلة عن بعض الثغرات التي تعاني منها.. وربما يكون ذلك سبباً في تدني مستوى قوتها بصورة كبيرة وخطيرة..

وقد ظهر مصداق ذلك في حرب حنين، حيث تلاشت قوة المسلمين أو كادت، بسبب هذا الشعور بالذات. فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1].

ومن هذه الحالات أيضاً، هيمنة العقل الجماعي على تلك الجماعة، وتدني مستوى تفكيرها ليصل إلى أضعف حالاته..

= الرزاق (٩٢٤٤) وانظر البداية والنهاية ج٤ ص٢١٣ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٣ ومسند أحمد ج٤ ص٤١٨ و ٤٠٢ وج٥ ص٢٦٥ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٧٥ وج٧ ص١٦٩ وعن صحيح مسلم ج٨ ص٧٤ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٩٨ والديباج على مسلم ج٦ ص٥٩ ومسند أبي داود ص٣٢٦ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص١٩٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٣٩٨ وج٦ ص٧ وكتاب الدعاء للطبراني ص٤٧٢ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٠٤.

(١) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

ويزيد هذه الحالة حدةً فيهم، تعالي الصرخات، واختلاط الأصوات، والصخب، والعجيج والضجيج.

وهذا يفسر لنا: أمره «صلى الله عليه وآله» لأصحابه بأن يربعوا على أنفسهم، ويخففوا من غلوائهم، ويخفضوا أصواتهم، حتى لو كانوا يجهرون بكلمة «الله أكبر».

فقد كان ثمة حاجة إلى الهدوء والتعقل، ليمكن النظر إلى الأمور والأحجام، والقدرات بواقعية واتزان، بعيداً عن الانتفاخات والتضخيمات الصوتية وغير الواقعية..

ثم.. إنه «صلى الله عليه وآله» صرح لهم بالحقيقة وطلب منهم ترديدها في عملية تلقين عفوية للنفس، وإدراك للعقل، وتلمس للوجدان، حين دلهم على كلمة هي كنز الجنة، يتعلمون منها: أن قدرتهم ليست بكثرة جمعهم، ولا بجودة سلاحهم، ولا بقدراتهم الذاتية وشجاعتهم؛ إذ «لا حول ولا قوة إلا بالله».

المطلوب هو الخير لا الغنائم:

روى ابن إسحاق، عن أبي مغيث بن عمرو. ومحمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أشرف على خيبر ـ وكان وقت الصبح ـ قال لأصحابه: «قفوا». فوقفوا.

فقال: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنَّا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها. أقدموا بسم الله».

وكان يقولها لكل قرية يريد دخولها.

ورواه النسائي، وابن حبان عن صهيب[1].

ونقول:

إن هذا الدعاء قد جاء ليحدث تغييراً جذرياً في أهداف هؤلاء القادمين إلى بلاد أعدائهم. إذ إن الإنسان حين يتخذ صفة المقاتل، ويعد للقتال عدته، ويحمل سلاحه، ويشرف على بلد عدوه، فإنه لا يحدث نفسه إلا بالنزال والقتال، ولا يفكر إلا بالموت أو الحياة، وبالنصر أو الهزيمة، ولا يحلم إلا بالغنائم والسبايا.

ولذلك يوقف النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه، ويوجههم إلى الله تعالى، ليفهمهم أنه تعالى هو المهيمن والمشرف على إيصال كل شيء إلى كماله، من حيث هو الرب المدبر الحكيم، والخبير العليم، والرؤوف الرحيم، وهو القاهر فوق عباده..

فحلول هذا الجيش بهذا البلد لا ينبغي أن يكون بهدف الحصول على المغانم، والاستيلاء على البلاد والعباد.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص١١٨ وقال في هامشه: أخرجه ابن خزيمة (٢٥٦٥) والبخاري في التاريخ الكبير ج٦ ص٤٧٢ والطبراني في الكبير ج٨ ص٣٩ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص٢٠٤ وابن السني (٥١٨).

وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢ و ٣٣ والبحار ج٢١ ص١ و ١٤ وج٧٣ ص٢٤٩ وعن مجمع البيان ج٩ ص٢٠٠ والإمتاع ص٣١٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٦ والمزار ص٥٢ والأمان من الأخطار ص١٣٢ ومدينة المعاجز ج١ ص١٧٣.

بل يجب أن يكون الهدف هو الحصول على الخير: خير البلد وخير أهله، وتجنب الشر: شر البلد وشر ما فيه.. سواء أكان الشر من الناس، أم من غيرهم.

ويلاحظ أيضاً: أن هذا الدعاء قد أظهر للداعين ولغيرهم: أن الهيمنة الإلهية كما تشمل السماوات والأرض، من حيث هي موجودات كونية، فإنها تشمل ما أظللن، وما أقللن من موجودات، لها وظائف ومهمات، فيهما على حد سواء..

وأفاد أن هذه السلطة تشمل أيضاً حتى الموجودات المتمردة والطاغية، وتشمل من وقع تحت تأثيرها.. فهو تعالى رب الشياطين وما أضللن.. كما أنها تشمل ما له حركة وتصرف، وما يكون محلاً للحركة والتصرف، وإن لم يكن من الموجودات العاقلة والمختارة. فهو رب الرياح وما أذرين.

فإذا كانت الهيمنة لله تعالى على ذلك كله، فلا بد من أن يتوجه الناس إليه في حاجاتهم. وقد حدد رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذه الحاجات في دعائه، بأنها الحصول على الخير، وتجنب الشر..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قال: «أقدموا باسم الله..».

فإذا كان إقدامهم متمازجاً مع اسم الله تعالى، وملابساً له، فلا بد أن يلتزموا بخطه تعالى، وأن لا يشذوا عنه، فيكون معهم في كل حركة، وكل سكون، وكل موقف.

وما أحوجهم إلى استحضار الله تعالى في مواقفهم هذه التي ينسى الإنسان فيها أكثر الأشياء قرباً منه، فينسى حتى الطعام والشراب، وينسى الأهل والأولاد، وينسى المال والمقام، وينسى.. وينسى.. وكل هذا النسيان

لا ضير فيه، إذا كان ذاكراً لله سبحانه، مستشعراً لوجوده، منسجماً معه..
ولأجل ذلك قال لهم «صلى الله عليه وآله»: «أقدموا باسم الله..».

ابن أبي يحذر اليهود:

وذكروا: أن عبد الله بن أُبي أرسل إلى اليهود يخبرهم: بأن محمداً سائر إليكم، فخذوا حذركم، وأدخلوا أموالكم حصونكم، واخرجوا إلى قتاله، ولا تخافوا منه، إن عددكم كثير، وقوم محمد شرذمة قليلون، عُزَّل لا سلاح معهم إلا قليل.

فلما علم بذلك يهود خيبر أرسلوا وفداً إلى غطفان يستمدونهم كما سيأتي[1].

ونقول:

إن توجيهات ابن أُبي لهم، وتحريضه إياهم على التصدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استند إلى عدة أمور، نشير منها إلى الأمرين التاليين:

١ ـ كثرة عددهم، وقلة عدد جيش المسلمين، مع أن ابن أُبي والناس كلهم قد شاهدوا كيف ينتصر المسلمون في حروبهم، وخصوصاً في بدر، رغم قلة عددهم، وكثرة عدد جيش عدوهم المهاجم.

وقد بيَّن القرآن هذه الحقيقة في موارد كثيرة. وصرح: بأن العشرة من المسلمين قادرون على أن يغلبوا مائة، فيما لو تدرعوا بالصبر والإيمان.

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٦٤.

قال تعالى أيضاً: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله..﴾[1]

٢ ـ إنه قد ركز على السلاح، كعنصر حاسم في المعركة بين الإيمان والكفر.

غير أن من الواضح: أن للسلاح في نوعه وفي مقداره بعض التأثير في الحرب.

ولكن قد أثبتت الوقائع أيضاً: أن الكلمة الأخيرة، والفاصلة ليست له، وإنما هي للعزيمة والإيمان بالقضية، والالتجاء إلى الله سبحانه، بالإضافة إلى مفردات كثيرة من منظومة القيم، والمفاهيم، والاعتقادات، والنظرة إلى الكون وإلى الحياة، ومستوى تربية النفس، ودرجة التفاعل مع تلك القيم، ودرجات رسوخ تلك النظرات والاعتقادات في كيان الإنسان، وفي أعماق وجوده..

غطفان تخاف، فتتراجع:

أرادت غطفان، وسيدهم عيينة بن حصن أن يعينوا أهل خيبر ـ وكانوا أربعة الآف ـ لما سمعوا بمجيئه «صلى الله عليه وآله» إليهم، فأرسلوا كنانة ابن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس، في أربعة عشر رجلاً إلى غطفان، يستمدونهم، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن غلبوا على المسلمين.

فجمعوا أربعة آلاف مقاتل ـ كما في بعض المصادر ـ ثم خرجوا ليظاهروا يهود خيبر.

---

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

ويقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرسل إليهم: أن لا يعينوهم على أن يعطيهم من خيبر شيئاً سماه لهم، وهو نصف ثمارها تلك السنة، وقال لهم: «إن الله قد وعدني خيبر».

فأبوا، وقالوا: جيراننا وحلفاؤنا.

فلما ساروا قليلاً سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً ظنوه القوم. أي ظنوا أن المسلمين أغاروا على أهليهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم.

وحسب نص الواقدي: سمعنا صائحاً ـ ثلاث مرات ـ لا ندري من السماء، أو من الأرض أهلكم أهلكم بحفياء (أو حيفاء ـ موضع قرب المدينة)، فإنكم قد خولفتم إليهم.

فرجعوا على الصعب والذلول. أي مسرعين على أعقابهم، فأقاموا في أهلهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين أهل خيبر.

وفي رواية: سمعوا صوتاً يقول: أيها الناس، أهليكم خولفتم إليهم، فرجعوا فلم يروا لذلك نبأ[1].

زاد في نص آخر: أنهم قالوا: «فعلمنا: أن ذلك من قبل الله، ليظفر محمد بيهود خيبر»[2].

بل ذكر بعضهم: أن عيينة بن حصن قد جاء إلى خيبر في أربعة آلاف، فدخلوا مع اليهود في حصون النطاة، قبل قدوم رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٥١ والإمتاع ص٣١٣ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٢ و ٦٥٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٢ والبحار ج٢١ ص٣٠ عن الخرائج والجرائح والإصابة ج٣ ص٢٥٤ و ٣٠١.

(٢) البحار ج٢١ ص٣٠ وج٢١ ص٣٠ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦٤.

وآله» بثلاثة أيام. فلما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» خيبر أرسل إليهم سعد بن عبادة وهم في الحصن.

فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: إني أريد أكلِّم عيينة بن حصن.

فأراد عيينة أن يدخله الحصن، فقال مرحب: لا تُدخله فيرى خلل حصننا، ويعرف نواحيه التي يؤتى منها، ولكن تخرج إليه.

فقال عيينة: لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته، ويرى عدداً كثيراً. فأبى مرحب أن يدخله، فخرج عيينة إلى باب الحصن.

فقال سعد: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرسلني إليك، يقول: إن الله قد وعدني خيبر فارجعوا، وكفوا، فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خيبر سنة.

فقال عيينة: إنَّا والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشيء، وإنَّا لنعلم ما لك وما معك مما ههنا طاقة، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة، ورجال عددهم كثير، وسلاح. إن قمت هلكت ومن معك، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح.

ولا والله، ما هؤلاء كقريش، وقوم ساروا إليك، إن أصابوا غِرَّة منك فذاك الذي أرادوا وإلا انصرفوا، وهؤلاء يماكرونك الحرب ويطاولونك حتى تملهم.

فقال سعد بن عبادة: أشهد ليحصرنك في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنا عرضنا عليك، فلا نعطيك إلا السيف، وقد رأيت يا عيينة من قد حللنا بساحته من يهود يثرب، كيف مُزقوا كل ممزق!

فرجع سعد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبره بما قال.

وقال سعد: يا رسول الله، لئن أخذه السيف ليسلمنهم، وليهربن إلى بلاده، كما فعل ذلك قبل اليوم في الخندق.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه: أن يوجهوا إلى حصنهم الذي في غطفان، وذلك عشيةً وهم في حصن ناعم، فنادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أصبحوا على راياتكم عند حصن ناعم الذي فيه غطفان.

قال: فرعبوا من ذلك يومهم وليلتهم، فلما كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحاً يصيح، لا يدرون من السماء أو الأرض: يا معشر غطفان، أهلكم أهلكم!! الغوث، الغوث بحيفاء ـ صِيح ثلاثة ـ لا تربة ولا مال!

قال: فخرجت غطفان على الصعب والذلول، وكان أمراً صنعه الله لنبيه.

فلما أصبحوا أُخبر كِنانة ابن أبي الحُقيق ـ وهو في الكتيبة ـ بانصرافهم، فسقط في يديه[1].

ونقول:

١ ـ إن قبيلة غطفان أصرت على أن تنصر اليهود، لأمرين، هما: أنهم جيرانهم. وأنهم حلفاؤهم.

والإستجابة لنداء الجيرة والحلف ليس بأولى من الاستجابة لما يوجبه العقل، وتفرضه الفطرة، فإن غطفان كانت على الشرك الذي هو ظلم عظيم، وتأباه العقول، وتنفر منه الفطرة..

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٠ و ٦٥١.

فكان من المفروض: أن تستجيب ـ قبل كل شيء ـ لنداء العقل والفطرة، لتكتشف صحة ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتسير في خط طاعة الله سبحانه، موالية لأوليائه، ومعادية لأعدائه، ومحاربة لهم بكل قوة وصرامة وحزم. فلا عهد فوق عهد الله تعالى، ولا جوار لأحد في معصية الله سبحانه وتعالى.

٢ ـ إنه إذا كان اليهود قد وعدوا غطفان بشطر ثمار خيبر، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وعدهم بنفس ما وعدوهم به، مع فارق عظيم وهام، وهو: أن اليهود كانوا معروفين بالغدر.

أما النبي «صلى الله عليه وآله» فكان الصادق الأمين، والوفي بالوعود والعهود..

٣ ـ إن اليهود إنما وعدوهم: بأن يعطوهم شطر ثمار خيبر، ولكن بشرط أن يعينوهم، ويحاربوا معهم، ولا بد أن يقتل من يقتل منهم، وأن تنشأ العداوات، والثارات، والإحن بينهم وبين المجتمع الإسلامي كله..

أما النبي «صلى الله عليه وآله» فلم يكلفهم بالحرب، بل اكتفى منهم بالكف وعدم الإقدام على مساعدة اليهود، فلا قتلى، ولا عداوات، ولا إحن، ولا أحقاد..

مع ملاحظة: أن طلب اليهود العون يشير إلى ضعفهم أمام عدوهم، وطلب النبي «صلى الله عليه وآله» منهم اعتزال الحرب، والحياد يشير إلى استغنائه عنهم، وإلى ثقته بالنصر على أعدائه. فكانت الاستجابة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي الأصلح لهم حتى في حسابات الربح والخسارة الدنيوية.

٤ ـ ولعل الحس الذي سمعته غطفان، وخافت أن يكون في أهليها قد جاء ليؤكد شدة خوفهم، ومدى رعبهم في قبال جيش المسلمين، على قاعدة: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾[1]. لمجرد أنهم علموا بتوجه المسلمين نحو خيبر، رغم أنهم يعرفون: أن طريق النبي «صلى الله عليه وآله» الآتي من المدينة إلى خيبر لا تمرُّ بهم، لأن طريق غطفان إلى خيبر كانت من جهة الشام.

وقد استطاع النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا الالتفاف اللافت: أن يقطع هذه الطريق عليهم، كما أسلفنا..

٥ ـ إن غطفان لم تكن صادقة فيما ادَّعته: من أنها تريد أن تستجيب لنداء الجيرة والعهد، حيث قالوا: هم جيراننا وحلفاؤنا. فإنه إذا كان هذا هو دافعهم الحقيقي فلماذا يكلفون اليهود نصف ثمار خيبر؟ فإنها إذا كانت تريد أن تفي بالتزاماتها الأخلاقية، وتستجيب لنداء الجيرة، وتنفذ عهدها فيما بينهم وبينها. فلا حاجة إلى هذه الأموال..

بل إن قبولها من المتبرع بها، فضلاً عن المطالبة بها عيب، وعار، وخسة، وصغار.

٦ ـ وإذا كانت غطفان قد خافت من إغارة المسلمين على ديارها وأهلها، فقد كان بإمكانها أن ترسل سرية ـ لو رمزية ـ من رجالها، لمساعدة اليهود، قضاءً لحق الجيرة، ووفاءً بالعهد والحلف. ويبقى الآخرون لدفع المهاجمين المحتملين.

---

(١) الآية ٤ من سورة المنافقون.

فإذا كان ثمة من هجوم، فإن باستطاعة هؤلاء أن يشاغلوا المهاجمين إلى أن يرسلوا إلى حلفائهم وجيرانهم من اليهود ليعينوهم مع باقي الرجال الذين ذهبوا لنجدتهم، وإن لم يهاجمهم أحد، فإنهم يكونون قد وفوا بالتزاماتهم، ودفعوا عن جيرانهم، ووفوا بعهودهم، لو صح أنه كانت لهم معهم عهود!!

٧ ـ إن كلمة بـ «حيفاء» قد صحفت فصارت «جنفا»، كما سيأتي حينما قال النبي «صلى الله عليه وآله» لبني فزارة عندما هددوه بالقتال إن لم يعطهم الغنائم: «موعدكم حيفا». حيث أراد «صلى الله عليه وآله» أن يذكرهم بهذا النداء السماوي، ليفهمهم أن الله تعالى هو الذي يدافع عنه، أو يهيء له الأمور.

٨ ـ ثم إن النداء الذي سمعته غطفان، قد عرَّفهم: أن الله سبحانه يريد أن يظفِّر نبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله» بيهود خيبر.. وقد كان هذا الأمر كافياً لهم ليعودوا إلى أنفسهم، وليؤمنوا بالله، وبرسوله، وأن يتهافتوا لنصرة هذا الرسول العظيم على أعدائه وأعدائهم..

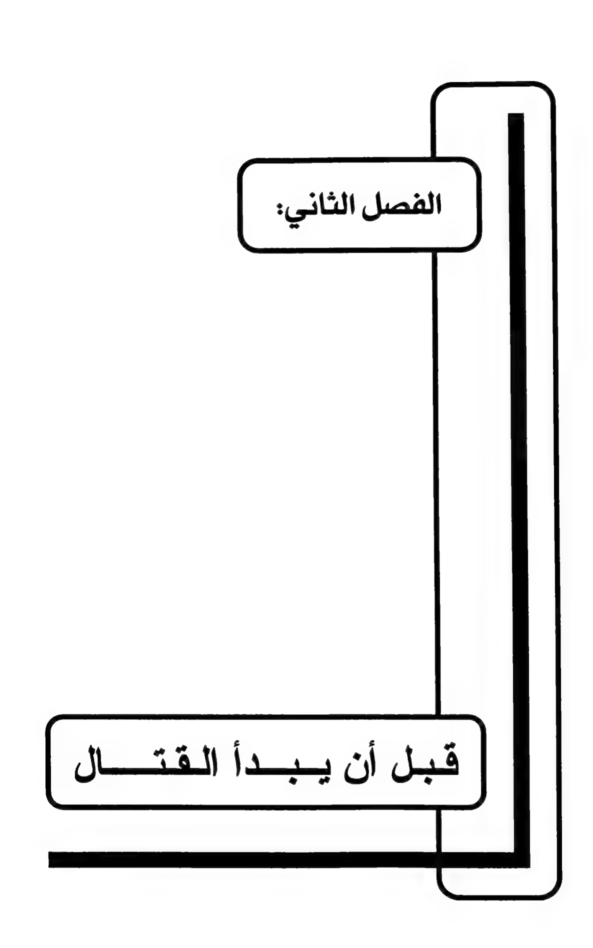
ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل استمروا على الكفر والجحود، ولو وجدوا الفرصة لخرجوا إلى حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإلى نصرة أعداء الله تعالى..

وهذا هو الخذلان الإلهي، والخيبة والخسران. نعوذ بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

٩ ـ وسيأتي: أن العرب وقريشاً قد شاركوا اليهود في الحرب ضد الإسلام والمسلمين..

بل في بعض النصوص الآتية تصريح: بأن عدد الذين واجههم المسلمون في خيبر كان أربعة عشر ألفاً..

١٠ ـ إن الظاهر: أن هذه الأعداد الكبيرة كانت موزعة على الحصون المختلفة، وكانوا قد قرروا أن لا يخرجوا للقتال في ساحات الحرب والنزال.. فكان رأيهم هذا وبالاً عليهم أيضاً..



الفصل الثاني:

قبل أن يبدأ القتال

الفصل الثاني:

المستغانمي أديبة نابغة

وصول رسول الله ﷺ إلى خيبر:

قال محمد بن عمر: ثم سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى انتهى إلى المنزلة، وهي سوق لخيبر، صارت في سهم زيد بن ثابت، فعرَّس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بها ساعة من الليل.

وكانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغزوهم لمنعتهم، وحصونهم، وسلاحهم، وعددهم، فلما أحسوا بخروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم، قاموا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً، ثم يقولون: محمد يغزونا؟!! هيهات!! هيهات!! وكان ذلك شأنهم.

وكان يهود المدينة يقولون حين تجهز النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر: ما أمنع ـ والله ـ خيبر منكم. لو رأيتم خيبر، وحصونها، ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذرى الجبال، والماء فيها واتن (أي لا ينقطع).

إن بخيبر لألف دارع. ما كانت أسد، وغطفان يمتنعون من العرب إلا بهم. فأنتم تطيقون خيبر؟!

فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم فعمِّي عليهم مخرجه،

حتى نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بساحتهم ليلاً، وكانوا حين بلغهم عزم النبي «صلى الله عليه وآله» على المسير إليهم، اختلفوا في خطة حربهم معه، ولم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم غادين معهم المساحي، والكرازين[1] والمكاتل، فلما نظروا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولّوا هاربين إلى حصونهم[2].

وروى الشافعي، وابن إسحاق، والشيخان من طرق، عن أنس، قال: سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر، فانتهى إليها ليلاً، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا طرق قوماً بليل لم يغر عليهم حتى يصبح، فإذا سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم حتى يصبح.

فصلينا الصبح عند خيبر بغلس، فلم نسمع أذاناً، فلما أصبح ركب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وركب معه المسلمون، وأنا رديف أبي طلحة.

فأجرى نبي الله «صلى الله عليه وآله»، فانحسر عن فخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإني لأرى بياض فخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله»[3].

---

(١) الكرازين: الفؤوس.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٣ والإمتاع ص٣١٠ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٧ و ٦٤٢ و ٦٤٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٠٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٣.

وخرج أهل القرية إلى مزارعهم بمكاتلهم. ومساحيهم، فلما رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قالوا: محمد والخميس. فأدبروا هرباً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورفع يديه: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين»[1].

وروي بسند ضعيف، عن أنس، قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم خيبر على حمار مخطوم برسن من ليف، وتحته إكاف من ليف[2].

قال ابن كثير: الذي ثبت في الصحيح: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جرى في زقاق خيبر حتى انحسر الإزار عن فخذه.

فالظاهر: أنه كان يومئذٍ على فرس لا على حمار.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٩ وفي هامشه عن: البخاري ج٢ ص٨٩ (٢٩٩١/٦١٠) ومسلم ج٣ ص١٤٢٦ (١٣٦٥/١٢٠) وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٣ ولباب التأويل ج٤ ص١٥٢ والإمتاع ص٣١١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٢ و ٦٤٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٣ وج٥ ص١١٩ وفي هامشه عن: الحاكم في المستدرك ج٢ ص٤٦٦ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص٢٠٤، وانظر: الدر المنثور ج٦ ص١١١.

وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٢٦٨ ومكارم الأخلاق ص١٥ والبحار ج٦ ص٢٢٩ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٣٩ والجامع الصحيح ج٢ ص٢٤١ وفتح الباري ج٦ ص٥٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١١ ص١٩٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢١٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٠ وعن تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣.

قال: ولعل هذا الحديث ـ إن كان صحيحاً ـ محمول على أنه ركبه في بعض الأيام، وهو محاصرها.

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة عدة وقفات، هي التالية:

الجيش هو الخميس:

سمي الجيش بالخميس، لأنه خمسة أقسام: المقدمة، والقلب، والجناحان ـ أعني: الميمنة والميسرة ـ والساقة.

خربت خيبر:

وذكروا: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» رفع يديه، وقال:

«الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين..».

فهل كان هذا منه «صلى الله عليه وآله» دعاء بخراب خيبر؟!

أو أنه «صلى الله عليه وآله» قد تفاءل بخرابها، حين رأى الفؤوس والمساحي، التي هي آلة الهدم، كما زعمه بعضهم.

أو أنه «صلى الله عليه وآله» بصدد الإخبار عن خرابها، بقرينة قوله: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين..»[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٣ والدر المنضود ج٢ ص١٤٥ والبحار ج٢٠ ص٢٣٤ و ٢٦٢ وج٢١ ص٣٢ والأم للشافعي ص٢٦٧ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٨٨ وتنوير الحوالك ص٣٩١ والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٣١ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٥٠٩ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٠ وميزان الحكمة ج٣=

قد يكون هذا الاحتمال الأخير قريباً، ثم الاحتمال الأول. والله هو العالم..

إنحسار الإزار عن فخذ رسول الله ﷺ:

وأما قولهم: جرى رسول الله في زقاق خيبر حتى انحسر الإزار عن

= ص٢٢٤٧ ومسند الشافعي ص٣١٨ ومسند أحمد ج٣ ص١٠٢ وج٣ ص١١١ و ١٦٤ و ١٨٦ و ٢٠٦ و ٢٤٦ و ٢٦٣ و ٢٧٠ وج٤ ص٢٨ و ٢٩ وعن صحيح البخاري ج١ ص٩٨ و ١٥٢ و ٢٢٨ وج٤ ص٥ و ١٦ و ١٨٨ وج٥ ص٧٣ وعن صحيح مسلم ج٤ ص١٤٥ و ١٤٧ وج٥ ص١٨٥ والجامع الصحيح للترمذي ج٣ ص٥٤ وسنن النسائي ج١ ص٢٧٢ وج٦ ص١٣٢ وج٧ ص٢٠٤ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٦٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٢٣٠ وج٩ ص٥٥ و ٨٠ و ١٥٣ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١٦٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٩ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٥٩ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج٦ ص١٣٢ ومسند أبي داود ص٢٨٣ ومسند الحميدي ج٢ ص٥٠٤ وبغية الباحث ص٢٦١ وكتاب السنة ص٥٩٤ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٤٧٨ وج٣ ص١٦١ و ٣٣٥ وج٥ ص١٧٧ و ١٧٨ و ٢٠٠ وج٦ ص٤٤١ ومسند أبي يعلى ج٥ ص٢٨٦ و ٣٨٤ وج٦ ص٤٣١ وج٧ ص٣٠ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٠٨ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٥٠ وج١٤ ص٤٥٢ وج١٦ ص١٩٥ والمعجم الصغير للطبراني ج١ ص١٩٦ والمعجم الأوسط للطبراني ج٣ ص٩٥ وج٤ ص١٤٢ وج٨ ص٣٥٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٩٧ ومسند الشاميين ج٤ ص٢٢ ودلائل النبوة للإصبهاني ص١١٢ والأذكار النووية للنووي ص٢٠٩ ونصب الراية للزيلعي ج٦ ص١٣٥ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٥ و ص٤٦٥ وغير ذلك كثير.

فخذه، فنلاحظ عليه:

أولاً: هل يراد الإيحاء: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن متحفظاً في لباسه وستره بالمقدار الكافي؟!

وأين هو وقاره، وسكينته «صلى الله عليه وآله»؟! فلماذا لا يحتفظ بهما في مثل هذه الحالات التي لا توجب عجلة، إذ ليس هناك أمر يخاف فوته، ولا يوجد عدو تخشى مباغتته؟!

ثانياً: أليس يقولون: إن الفخذ من العورة، التي ينزه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الغفلة عن التحفظ عليها، أو التهاون في سترها؟ أو أن يعجله أمر عن ذلك؟!

وقد قدمنا في جزء سابق من هذا الكتاب[1] ما روي عنه «صلى الله عليه وآله»: أنه أمر رجلاً بستر فخذه؛ فإنها من العورة[2].

وهناك نصوص كثيرة، تدل: على أن ما بين السرة والركبة عورة،

---

(١) راجع: الصحيح من السيرة ج٢ ص١٧٥ و ١٧٦.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٢٩٠ وج١ ص٢٧٥ وصحيح البخاري ج١ ص٥١ وسنن البيهقي ج٢ ص٢٢٨ والإصابة ج٣ ص٤٤٨ وفتح الباري ج١ ص٤٠٣ ونيل الأوطار ج٢ ص٥٠ ومستدرك الحاكم ج٤ ص١٨٠ و ١٨١ ومجمع الزوائد ج٢ ص٥٢ عن أحمد، والطبراني في الكبير، والغدير ج٩ ص٢٨٢ فما بعدها، عن من تقدم، وعن إرشاد الساري، وابن حبان في صحيحه، وليراجع: موطأ مالك، والترمذي، وأبو داود، ومشكل الآثار ج٢ ص٢٨٤ و٢٨٥ و٢٨٦ وحتى ص٢٩٣. والمصنف ج١١ ص٢٧ وتأويل مختلف الحديث ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

فراجع[1].

هناك نصوص تدل على حياء أبي موسى الأشعري وأبي بكر، والخدري، لا مجال لإيرادها فعلاً[2]. فيمكن الرجوع إليها في مظانها.

وقال العلامة الأميني: «هب أن النهي عن كشف الأفخاذ تنزيهي، إلا أنه لا شك في أن سترها أدب من آداب الشريعة، ومن لوازم الوقار، ومقارنات الأبهة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» أولى برعاية هذا الأدب، الذي صدع به هو الخ..»[3].

هذا، ولا بأس بالمقارنة بين ما يذكر هنا عن نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» وبين ما يذكر عن حياء عثمان، حتى إن أبا بكر، وعمر ليدخلان على النبي «صلى الله عليه وآله»، وفخذه مكشوفة، فلا يسترها، حتى إذا دخل عليه عثمان جلس، وستر فخذه، وسوى عليه ثيابه؛ فتسأله عائشة عن ذلك.

فيجيبها: بأنه ألا يستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟! أو ما هو

---

(١) راجع: الغدير ج٩ ص٢٨٥ و ٢٨٤ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢. والمعجم الصغير ج٢ ص٩٦. وحياة الصحابة ج٢ ص٦١٢ و ٦١٣ تجد كثيراً من أقوال العلماء والنصوص حول ذلك.

(٢) راجع: طبقات ابن سعد ج٤ ص١١٣ و ١١٤ والزهد والرقائق ص١٠٧ وربيع الأبرار ج١ ص٧٦٠ وحياة الصحابة ج٣ ص٤٨٢ عن كنز العمال ج٨ ص٣٠٦ وج٥ ص١٢٤ وعن حلية الأولياء ج١ ص٣٤ والغدير ج٧ ص٢٤٨ وج٩ ص٢٨١.

(٣) الغدير ج٩ ص٢٨٥.

قريب من هذا[١].

يضاف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه يأمر بالحياء ويؤكد ويحث عليه باستمرار، فيقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت[٢].

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص٨٢ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٠٢ عن الطبراني في الكبير، والأوسط، ومسند أحمد، وأبي يعلى، وتاريخ جرجان ص٤١٦، والمصنف للصنعاني ج١١ ص٢٣٢ و ٢٣٣ والمحاسن والمساوئ ج١ ص٦١ وحياة الصحابة ج٢ ص٦١١ و ٦١٢ عن الأولين، ومشكل الآثار ج٢ ص٢٨٣ و ٢٨٤ ومسند أحمد ج١ ص٧١ وج٦ ص٦٢ و ١٥٥ و ١٦٧ وصحيح مسلم ج٧ ص١١٦ و ١٧٧ والغدير ج٩ ص٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٨٧ وص٢٩٠ عن الأخيرين، وعن: مصابيح السنة ج٢ ص٢٧٣ والرياض النضرة ج٢ ص٨٨ وراجع: تأويل مختلف الحديث ص٣٢٣ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٣٨٣ و ٣٨٤ وفيه أحاديث أخرى عن حياء الملائكة من عثمان، ومسند أبي يعلى ج٧ ص٤١٥.

(٢) راجع: كنز العمال ج٣ ص١٢٢ ومسند أحمد ج٤ ص١٢١ وج٥ ص٢٧٣ وعن صحيح البخاري ج٥ ص١٠٠ وتحفة الأحوذي ج٢ ص٧٤ ومسند ابن الجعد ص١٣٠ والمعجم الكبير ج١٧ ص٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ ومسند الشهاب ج٢ ص١٨٦ والأذكار النووية ص٤١٠ ورياض الصالحين للنووي ص٧١٣ والجامع الصغير للسيوطي ج١ ص٦ و ٣٨٢ وعن فتح الباري ج١٠ ص٤٣٤ والغدير ج٩ ص٢٧٥ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٤٦٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج١٢ ص٤٣ وسبل السلام لابن حجر ج٤ ص٢٠٦ والمغني لابن قدامة ج١٢ ص٣٣ وتنوير الحوالك ص١٦٧ وإعانة الطالبين ج٤ ص٣١٨ والإقناع للحجاوي ج٢ ص٢٨٠ ومغني المحتاج ج٤ ص٤٢٧ وميزان الحكمة ج١ =

ويقول: الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة[1].

= ص٧١٨ وفيض القدير ج٢ ص٦٨٥ وكشف الخفاء ج١ ص١٤ و ٩٨ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص٣٨٨ والمحصول للرازي ج٢ ص٣٤ والكامل ج٦ ص٨٢ وطبقات المحدثين بإصبهان ج٣ ص٥٦٠ وتاريخ بغداد ج٣ ص٣١٥ وج١٠ ص٣٠٣ و ٣٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٣٨٨ وج٣٦ ص١٨٣ وج٥٣ ص١٢٠ وأسد الغابة ج٢ ص٢٢٧ وتهذيب الكمال ج١٦ ص١٢٤ والأنساب للسمعاني ج٤ ص١٥٤ والبداية والنهاية ج٢ ص١٦٩ وج١٢ ص٦٨ و ١٥٨.

(١) راجع: الكافي ج١ ص٧ وج٢ ص١٠٦ وتحف العقول ص٣٩٤ وشرح أصول الكافي ج٨ ص٣٠١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٣٠ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٤٦١ و ٤٦٣ وج١٢ ص٨١ وكتاب الزهد للكوفي ص٦ والمسترشد للطبري ص١٦ ودلائل الإمامة ص٦٦ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٤١١ والبحار ج١ ص١٤٩ وج٦٨ ص٣٢٩ وج٧٥ ص٣٠٩ وج٧٦ ص١١٢ والغدير ج٩ ص٢٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣١٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٧٦ و ٥٧٧ وميزان الحكمة ج١ ص٧١٧ ومسند أحمد ج٢ ص٥٠١ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٤٠٠ وسنن الترمذي ج٣ ص٢٤٧ والمستدرك للحاكم ج١ ص٥٢ و ٥٣ ومجمع الزوائد ج١ ص٩١ وج٨ ص٢٦ و ١٦٩ وعن فتح الباري ج١٠ ص٤٣٣ ومسند ابن الجعد ص٤٢١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٩٢ وج٧ ص٢٢٢ والأدب المفرد للبخاري ص٢٧٨ ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٣٥ وأمالي المحاملي ص١٠٤ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٣٧٣ و ٣٧٤ والمعجم الصغير ج٢ ص١١٥ والمعجم الأوسط ج٥ ص١٩٣ والمعجم الكبير ج١٠ ص١٩٦ وج١٨ ص١٧٨ وج٢٢ ص٤١٤ وموارد الظمآن ص٤٧٦ والجامع الصغير ج١ =

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة المروية عنه «صلى الله عليه وآله»، ولا مجال لتتبعها.

لا يظن اليهود: أنه ﷺ يغزوهم:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن اليهود كانوا لايظنون قبل ذلك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغزوهم لمنعتهم وسلاحهم، وعددهم.

ونقول:

١ ـ إن هؤلاء كانوا مغرورين بأنفسهم بدرجة كبيرة، فهم يرون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خاض حروباً صعبة وهائلة، ومنَّ الله عليه بالنصر فيها، وهو قد ألجأ قريشاً، التي لا يشك أحد في زيادة عددها أضعافاً على العدد الذي عنده، ولا يماري أحد في سيادتها ونفوذها في الحجاز كله ـ ألجأها ـ إلى طلب الصلح. وفرض عليها شروطه القوية، رغم أن عدد الذين كانوا معه في جميع تلك المشاهد لا يقاس بعدد جيوش أعدائه. إضافة إلى ضعف ظاهر في التجهيز في السلاح، وفي كثير من الامتيازات الحربية الأخرى.

= ص٥٩٦ وج٢ ص٢٥ والعهود المحمدية للشعراني ص٤٥٩ وكنز العمال ج٣ ص٥٣ و ١٢٠ وج١٥ ص٨٧٧ وفيض القدير ج٣ ص٥٦٨ وج٤ ص٧٥ وتفسير الثعالبي ج٤ ص٢٦٩ وتاريخ بغداد ج٦ ص١٨٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٥٥ وميزان الإعتدال ج١ ص١١٠ والكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ص٤٨ ولسان الميزان ج١ ص١٩٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٩٣ وبيت الأحزان للقمي ص٤٦ ولسان العرب ج١٤ ص١٤٨.

ثم إنهم قد رأوا: أنه «صلى الله عليه وآله» يكاتب ملوك الأرض، ويدعوهم إلى دينه. وإلى الاعتراف بنبوته..

فكيف مع هذا كله لم يكن اليهود يظنون أنه يغزوهم؟!

ومتى ظهر لهم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد خاف من كثرة السلاح، أو أرهبته منعة الحصون، أو ثنى عزيمته كثرة عدد أعدائه؟!

٢ ـ إذا كانوا لا يظنون أنه يغزوهم لمنعتهم و.. فلماذا أرسلوا وفدهم إلى قبيلة غطفان لطلب العون، وجعلوا لتلك القبيلة شطر ثمار خيبر، إذا انتصروا على المسلمين؟!..

ومع كل ذلك نؤكد على:

أنهم ربما كانوا يظهرون للناس هذا الأمر تجلداً منهم، ومكراً ودهاءً، يخفي وراءه رعباً قاتلاً، وخوفاً مخزياً، دفعهم إلى الاتصال بتلك القبيلة، وعرض ثمرة ديارهم عليهم، ليفوزوا بنصرهم..

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد عرض ثمرة بلاد عدوه، مقابل وقوف تلك القبيلة على الحياد، وشتان ما بينهما..

الأذان علامة الإسلام:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان ينتظر أذان الصبح، فإن سمع الأذان امتنع عن الهجوم.

ولعل السبب في ذلك: أن قرار الحرب والسلم قد يتخذه زعماء تلك الجماعة، لأطماع، معينة، أو لثارات شخصية، أو أهداف شخصانية، ترمي إلى بسط الزعامة والنفوذ لبعض الطامحين، وقد تكون لأسباب اقتصادية أو

غيرها.. مع عدم رضا المرؤوسين بتلك الحرب، أو مع عدم وجود مبرر لها في حياتهم.. فيسوق زعيم القبيلة مع حفنةٍ من أعوانه قبيلته إلى حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حين يكون عامة الناس في تلك القبيلة، والجماعة غير راضين بخوض تلك الحرب.

فكان «صلى الله عليه وآله» يراقب حاله الناس ويميز بينهم، فإن رأى فيهم أية أمارة تدل على استحقاق الرفق بهم، أو تدل على إسلامهم ـ كالأذان ـ كف عنهم، وسعى في حل الإشكال مع الذين يسوقونهم إلى الحرب بطرق أخرى، أو سعى إلى استهداف المجرمين منهم دون المستضعفين المقهورين. وهذا هو الغاية في الحكمة ومنتهى اللطف منه «صلى الله عليه وآله» بمن يظهرون العداوة وينصبون الحرب له.

ومن جهة أخرى، فقد ذكرت الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يهاجم عدوه ليلاً، بل ينتظر فيه طلوع الفجر، وفقاً لما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾[2].

وقوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿..إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[4].

---

(١) الآية ٣ من سورة العاديات.

(٢) الآية ٣٨ من سورة القمر.

(٣) الآية ١٧٧ من سورة الصافات.

(٤) الآية ٨١ من سورة هود.

وقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾(١).

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾(٢) وغير ذلك..

وذلك كله يدل: على أن الهجوم على العدو صباحاً ـ كما كان يفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكذلك علي «عليه السلام» من بعده ـ هو الراجح والأولى، ولعل لهذا الأمر اعتبارات نفسية، وعملية قد يحتاج التعرف عليها إلى مزيد من التأمل والتدقيق.

إستعراضات وانتفاخات كاذبة:

وإن ما كان يقوم به اليهود من الخروج في كل يوم، وهم عشرة آلاف، يصطفون ويقولون: محمد يغزونا؟ هيهات!! هيهات!! لا يحتاج إلى تعليق.

فقد أشرنا أكثر من مرة إلى أن الاغترار بالكثرة والاعتماد عليها.. دليل الفشل والسقوط..

خصوصاً إذا كان ذلك في حال الحرب، وبالأخص إذا كان أولئك الناس من أهل الدنيا، والغارقين بالحياة المادية إلى آذانهم، لأن كلاً منهم يريد أن يضحي بغيره من أجل نفسه، فهو يتخذ من غيره مجناً، وترساً يتخفَّى وراءه باستمرار، وهو يشعر: أن نفسه التي بين جنبيه هي المستهدفة بالقتل وبالقتال..

ولذلك فهو يتخيل: أن الكثرة من شأنها تكديس الموانع والحواجز التي سوف يختبئ وراءها.. ويحتاج العدو إلى إزالتها والتخلص منها قبل أن يصل إليه..

---

(١) الآية ٦٦ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٨٣ من سورة الحجر.

مع أنه إذا جد الجد وحمي الوطيس سيرى: أن الكل يفكر بنفس الطريقة، فإن كانوا عشرة آلاف، فسيجد العشرة آلاف كلهم يفكرون بما يفكر به هذا وذاك، أي أن كل واحد منهم يريد أن يجعل الآخر ترساً ومجناً لهم، ليكون في قبال حراب العدو، وسيوفه وسهامه، التي سوف تأكل من لحمه، وتهشم عظمه.

فإذا وصل به الخيال إلى هذا الحد، فإنه سوف يسعى لإبعاد شبح الحرب عن مخيلته، وسوف يتلذذ بالصور التي يخترعها لمبررات التخلص من عدوه.

ولعل ألذها وأغلاها على قلبه هي تلك الصور التي تزين له كيفية انصراف العدو عن الحرب، ولسوف يندمج ويتفاعل مع هذه الصور، حتى تصبح هي الحقيقة التي لا محيص منها عنده، ولا بديل عنها لديه..

ولذلك اعتقد اليهود: أن النبي «صلى الله عليه وآله» سوف لا يأتي لحربهم، لأنهم توهموا: أنه «صلى الله عليه وآله» يفكر كما يفكرون، ويخشى من الكثرات كما يخشون..

وكانت تلك الاستعراضات والانتفاخات الكاذبة تجسد لهم أحلامهم هذه، وتزينها. حتى إذا استفاقوا من سباتهم هذا وجدوا أنفسهم أمام الحقيقة، ولم يكن لهم بد من مواجهة مصيرهم المحتوم.. وهكذا كان..

وهذا يصلح تفسيراً لما قد يعتبر تناقضاً ظاهراً في مواقفهم، فهم إذا كانوا قد أحسوا بخروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم، وطلبوا معونة غطفان، ورتبوا حصونهم بحيث يحاربون في بعضها، ويجعلون ذراريهم وأموالهم في البعض الآخر..

فما معنى قولهم: محمد يغزونا؟! هيهات!! هيهات!!

ولكن شرط أن يضاف إليه: أن يكون المقصود بهذا الاستعراض، إظهار الإعجاب بقوتهم وبكثرتهم، والسعي للتشجع، والحصول على الجرأة على خوض تلك الحرب التي يخشونها كل الخشية..

مشورة الحباب:

وقال محمد بن عمر: إنه حين نزل النبي «صلى الله عليه وآله» في خيبر، وجاء الحباب بن المنذر، فقال: يا رسول الله، إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان من أمر أمرت به فلا نتكلم، وإن كان الرأي تكلمنا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «هو الرأي».

فقال: يا رسول الله، دنوت من الحصون، ونزلت بين ظهري النخل، والنزّ، مع أن أهل النطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم، ولا أعدل رمية منهم، وهم مرتفعون علينا، ينالنا نبلهم، ولا نأمن من بياتهم، يدخلون في خمر النخل، فتحوَّل يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى موضع بريء من النزّ، ومن الوباء، نجعل الحرة بيننا وبينهم، حتى لا تنالنا نبالهم، ونأمن من بياتهم، ونرتفع من النزّ.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أشرت بالرأي، ولكن نقاتلهم هذا اليوم»[1]. إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٩ و ١٢٠ وفي هامشه عن ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢/ ١٠٩ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٣ و ٣٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٣ و ٦٤٤.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٣ و ٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٠ وراجع: =

ودعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» محمد بن مسلمة، فقال: انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم، بريئاً من الوباء، نأمن فيه من بياتهم، فطاف محمد حتى أتى الرجيع، ثم رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، وجدت لك منزلاً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «على بركة الله»[1].

وسيأتي: أنه «صلى الله عليه وآله» تحول لما أمسى، وأمر الناس بالتحول.

ويذكرون أيضاً: أن راحلته «صلى الله عليه وآله» قامت تجر بزمامها، فأُدرِكَت لتردَّ، فقال: دعوها، فإنها مأمورة.

فلما انتهت إلى موضع من الصخرة بركت عندها، فتحول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الصخرة. وتحول الناس إليها، واتخذوا ذلك الموضع معسكراً.

وفي الأصل: أنه نزل بذلك الموضع، ليحول بين أهل خيبر، وبين غطفان، لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وابتنى هنالك مسجداً صلى به طول مقامه بخيبر[2].

= المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٤.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢/ ١٠٩ والمصنف للصنعاني (٩٢٩١) والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٩ و ١٢٠ وفي الهامش: أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٢٩١).

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٤.

ونقول:

إن لنا مع النص المتقدم عدة وقفات، نجملها على النحو التالي:

ألف: الإنتقاص من رسول الله صلى الله عليه وآله:

قد أظهرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد اختار لجيشه منزلاً غير صالح، من حيث إنه ـ كما أوضح الحباب ـ قريب من العدو إلى حد أن سهامهم تصل إليه.

يضاف إلى ذلك: ارتفاع المواقع التي يتواجد العدو فيها بالنسبة لموقع جيش المسلمين، فلهم إشراف، وتسلط وهيمنة عليهم.

كما أن وجود النخل بكثافة يعطيهم الفرصة للاستفادة منه في مهاجمة المسلمين تحت جنح الظلام..

فهذه الحيثيات كلها لا ينبغي أن تخفى على أي إنسان عادي، يملك عقلاً وإدراكاً، ويعيش حالة التوازن في شخصيته، ولا يغفل عنها إلا من كان يعاني من اختلالات في عقله، فكيف يصح نسبتها إلى عقل الكل، وإمام الكل، ومدبر الكل، وهو سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلائق أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى يوم الدين؟!

وكيف يكون الحباب بن المنذر أعرف، وأرشد، وأوفر عقلاً من الرسول المسدد من الله، والمؤيد بالوحي؟!

ويجب أن لا ننسى: أنهم قد نسبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، مثل ذلك في غزوة بدر، وقد ذكرنا هناك أيضاً أننا لا نشك في كون ذلك من الأكاذيب، فراجع..

ب: إذا أمسينا تحولنا:

ولعل الصحيح هو: أن الناس أو معظمهم كانوا قد تسرعوا في الأمر، ونزلوا في ذلك المكان القريب من العدو، الذي تنز الأرض فيه ماء.. حتى إن من يقيم في ذلك الموضع يبتلى ـ بسبب ذلك ـ ببعض الأدواء والأوبئة. فشكى الناس بلسان الحباب بن المنذر ذلك لرسول الله، وكان «صلى الله عليه وآله» عالماً بالأمر، وعازماً على التحول..

ولكنه كان لا يريد أن يكسر عنفوان أولئك الناس الذين انطلقوا فيما فعلوه من نوايا طيبة، ونفوس سليمة، وطاهرة. كما أنهم إذا عاينوا سوء ذلك الموضع بأم أعينهم فسوف يكون قرار الانتقال حاجة يشعرون هم أنفسهم بضرورة تلبيتها، من دون أي تردد، أو إحساس بالمرارة، أو اتهام منهم للآخرين بالمبالغة والتجني.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يشعر اليهود بأن ثمة تردداً أو اهتزازاً في القرارات، وفي السلوك والممارسة لدى المسلمين. فيجرؤهم ذلك عليهم، وتهتز هيبتهم في أعينهم، ويهيء لهم الأجواء للتفكير في منافذ من شأنها أن تثير بعض المتاعب لديهم، فقرر «صلى الله عليه وآله» المقام في ذلك المكان إلى الليل، للإيحاء لهم بأن ذلك داخل في جملة القرارات المدروسة والمؤثرة.

الحباب ذو الرأي من هو؟!

واللافت هنا: أن المؤرخين يذكرون: أن الحباب بن المنذر قد عارض أهل السقيفة، وقال لقومه: لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم (أي الذين

بويعوا في السقيفة)، قد وقفوا يسألونهم بأكفهم، ولا يسقون الماء..»[1].

بل ذكروا: أنه حين قال في السقيفة: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، أخذ ووطئ في بطنه، ودسوا في فيه التراب[2].

وهو القائل في السقيفة: منا أمير، ومنهم أمير[3].

ولكن ذلك: لا يدل على أنه كان بصدد مناصرة علي «عليه السلام»، بل قد يفهم من سياق حديث السقيفة: أنه كان بصدد تدبير الأمر لسعد بن عبادة، وأنه لم يكن ـ فيما يظهر ـ من المعروفين بالولاء لعلي «عليه السلام»، أو لبني هاشم.

ومن جهة أخرى: فإننا تعودنا من فريق بعينه من الناس تعظيم مناوئي علي «عليه السلام»، ومنحهم الأوسمة، وإعطائهم الامتيازات، فما الذي جعل الحباب يستحق هذه الأوسمة منهم يا ترى؟!

فهل تمكن الذين حكموا بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من اجتذابه إلى جانبهم، فاستحق بذلك أن ينال بعض هذا الثناء، فيكون الرجل الرشيد، وصاحب الرأي السديد، دون الرسول «صلى الله عليه

---

(١) الإمامة والسياسة (ط سنة ١٣٥٦ هـ بمصر) ج١ ص٩.

(٢) قاموس الرجال ج٣ ص٤٦ عن شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٤٠ والغدير للأميني ج٧ ص٧٦.

(٣) الإمامة والسياسة (ط سنة ١٣٥٦ هـ بمصر) ج١ ص٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٤ وج٦ ص٩ وصحيح البخاري كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنى، والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ حوادث سنة ١١ هـ. والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٩٢.

وآله»، حتى ليدَّعون أنه حين نزل النبي «صلى الله عليه وآله» في بدر، استناداً إلى رأي نفسه، وأشار هو عليه «صلى الله عليه وآله» بالنزول في موضع آخر، نزل جبرئيل «عليه السلام»، فقال: الرأي ما أشار به حباب[1].

ج: حديث الراحلة:

١ ـ وكما كانت ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مأمورة بتحديد المواقع كما جرى في الحديبية، وحين وصوله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة مهاجراً من مكة، فقد كان لناقته «صلى الله عليه وآله» دور أيضاً في واقعة خيبر. فإنها كانت مأمورة حين قامت تجر بزمامها حتى انتهت إلى موضع بعينه، فبركت فيه، فتحول «صلى الله عليه وآله» إليه. وتحول الناس معه، واتخذوا ذلك الموقع معسكراً.

وكانت هذه إشارة كافية لتعريف الناس برعاية الله تعالى لهذه المسيرة، ورضاه عنها.. فلتسكن القلوب إذن، وليطمئن الناس إلى ما يختاره الله تعالى لهم. فالمقتول في هذه المعركة شهيد، والباذل مهجته في سبيل الله مجاهد.. وما هي إلا إحدى الحسنيين: إما النصر، وإما الشهادة!!.

٢ ـ وحديث الراحلة هذا يكذب الرواية الأخرى التي زعمت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طلب من محمد بن مسلمة: أن يبحث لهم عن مكان ينزلون فيه، فطاف حتى أتى الرجيع فاختاره له، فانتقل «صلى الله عليه وآله» إليه..

---

(١) قاموس الرجال ج٣ ص٤٤.

فإننا لا نجد في رواية الراحلة أية دواع للكذب، والافتعال، بينما تكون هذه الدواعي متوفرة بالنسبة لمحمد بن مسلمة، حسبما أشرنا إليه عدة مرات، وربما نشير إلى ذلك أيضاً فيما يأتي..

٣ ـ بل إن بعض النصوص قد صرحت: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار ذلك المكان ليحول بين أهل خيبر وغطفان..

وربما تكون الراحلة، قد حددت الموضع، ثم جاء التصريح من النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن النزول في ذلك المكان بعينه سوف يقطع طريق الاتصال بين اليهود، وبين غطفان..

د: بناء المسجد في خيبر:

وليس من قبيل الصدفة: أن يبادر رسول الله«صلى الله عليه وآله» لبناء مسجد له في خيبر، فإن ذلك يتضمن الإيحاء للمسلمين بالنتائج الإيجابية لهذه الحرب التي يقدمون عليها.

كما أنه إشارة، بل إعلان ليهود خيبر بثقته «صلى الله عليه وآله» بالنصر عليهم، وبظهور الإسلام في بلادهم رغماً عنهم..

صوابية تدبير اليهود:

قالوا: «ابتدأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» من حصونهم بحصون النطاة. وقيل: ابتدأ بحصون الكتيبة؛ لأنهم أدخلوا عيالهم وأموالهم في حصون الكتيبة، وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة»[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٣.

غير أننا لم نستطع أن نقنع أنفسنا بصوابية هذا التدبير، فإن فصل العيال عن المقاتلين بهذا النحو قد يعطي الفرصة للجيش المهاجم لتكليف طائفة من مقاتليه بمشاغلة المقاتلين في حصن النطاة، ثم تتولى فئة أخرى مهاجمة الحصن الذي فيه العيال والأموال، وفتحه، والاستيلاء على ما ومن فيه.. وبذلك يكونون قد عرضوا أنفسهم لضربة قاصمة على الصعيد النفسي على أقل تقدير.

ومن جهة ثانية نقول: ماذا لو أن الجيش المهاجم اختار أن يهاجم الحصن الذي فيه المال والعيال بكل جنوده، أو اختار حصناً آخر غير حصني النطاة والكتيبة، ليهاجمه، فما الذي يصنعه الجيش المتجمع في حصن النطاة؟! هل سيترك مواقعه، ويبادر لنجدة مقاتلي الحصن الآخر؟!

وهل سوف يصحر للجيش المهاجم، ويلاقيه في الصحراء، أو بين أشجار النخيل؟

أم سوف يبقى معتصماً بالحصن الذي هو فيه، ويكتفي بالرمي من فوق الأسوار؟!

من أجل ذلك نقول:

لعل الحقيقة هي: أن اليهود قد وضعوا عيالهم وأموالهم، ورجالهم في الحصن الأقوى بنظرهم. ووضعوا قسماً من رجالهم في أول حصن يتوقعون مهاجمة الجيش القادم له.. على أمل أن يتمكنوا من حفظ تلك الحصون من أخذ المهاجين لها، والاستفادة منها في إذلالهم، وقهرهم.

كما أن تواجدهم في تلك الحصون قد يربك المسلمين، ويوهمهم صعوبة تحقيق النصر، ويبعث في نفوسهم اليأس من الظفر، ويحملهم على

التفكير بالرجوع عنهم بلا نتيجة، أو بنتيجة هي لصالحهم في جميع احتمالاتها ووجوهها..

قطع نخيل النطاة:

قالوا: «وأمر «صلى الله عليه وآله» بقطع نخيل أهل حصون النطاة؛ فوقع المسلمون في قطعها، حتى قطعوا أربع مائة نخلة، ثم نهاهم عن القطع، فما قطع من نخيل خيبر غيرها»[1].

بل لقد زعموا: أن الحباب بن المنذر هو الذي أشار على النبي «صلى الله عليه وآله» بقطع النخيل، لأن النخيل أحب إلى اليهود من أبكار أولادهم، فأمر «صلى الله عليه وآله» بقطع النخل، فوقع المسلمون في قطعها حتى أسرعوا في ذلك، فجاء أبو بكر إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وقال له: يا رسول الله، إن الله عز وجل قد وعدكم خيبر، وهو منجز ما وعدك. فلا تقطع النخل.

فأمر منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله» فنهى عن القطع[2].

وفي نص آخر: أن الذي طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» عدم قطع النخيل هو عمر[3].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ والإمتاع ص٣١١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٤ و ٦٤٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٦.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٤.

(٣) السير الكبير للشيباني ج١ ص٥٥ وتدوين القرآن ص٢٧.

ونقول:

إن ذلك غير مقبول، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ألعوبة بأيدي الآخرين، وكان أعلم الناس بالمصالح والمفاسد، وبالتدبير الصحيح.

ومع ذلك نقول:

١ ـ إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يوصي سراياه وبعوثه بأن لا يقطعوا شجراً[1].

٢ ـ لماذا أمرهم بقطع نخيلهم في خصوص حصون النطاة دون سواها؟ مع أن النخيل في حصون الكتيبة كان أكثر بكثير، فقد قيل ـ كما تقدم ـ: إنه كان فيها أربعون ألف عذق.

٣ ـ لماذا عاد فنهاهم عن مواصلة قطع النخيل، مع أنهم لم يقطعوا سوى أربع مائة نخلة؟! فهل هو قد وجد: أن قطع النخيل لم يكن صواباً؟! أو لم يكن راجحاً؟! ثم تبين له الصواب والراجح!!

٤ ـ إذا كانت مشورة أبي بكر هي التي منعته من مواصلة القطع.. فلماذا أدرك أبو بكر ما لم يدركه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ولماذا كانت النبوة من نصيب الذي قصر فهمه عن إدراك هذا الأمر، وحرم ذلك الرجل الراجح العقل من هذا المقام؟!

---

(١) الكافي ج١ ص٣٣٤ و ٣٣٥ وج٥ ص٣٠ والبحار ج١٩ ص١٧٧ ـ ١٧٩ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٣٠٠ والتهذيب للطوسي ج٦ ص١٣٨ و ١٣٩ والأموال ص٣٥ وتذكرة الفقهاء ج١ ص٤١٢ و ٤١٣ ومنتهى المطلب ج٢ ص٩٠٨ و ٩٠٩ وجواهر الكلام ج٢١ ص ٦٦ والوسائل ج١١ ص٤٣ و ٤٤ والمحاسن للبرقي ص٣٥٥.

٥ ـ وإذا كان قطع النخيل يرضي الله تعالى، فلماذا أطاع النبي «صلى الله عليه وآله» أبا بكر؟!

وإذا كان لا يرضي الله تعالى فلماذا أطاع الحباب؟!

وكيف يصح هذا وذاك، والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يقول ولا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه؟!

فالظاهر هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر بقطع بعض النخلات استجابة لضرورات الحرب، لاحتياج العسكر إلى الفسحة المناسبة، حيث لا عوائق له عن الحركة، ولا موانع من الرصد الدقيق لتحركات العدو، ولغير ذلك من موجبات.

الأمان لمن أراد:

عن الضحاك الأنصاري، قال: لما سار النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر جعل علياً «عليه السلام» على مقدمته، فقال «صلى الله عليه وآله»: من دخل النخل فهو آمن.

فلما تكلم النبي «صلى الله عليه وآله» نادى بها علي«عليه السلام»، فنظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى جبرائيل يضحك، فقال: ما يضحكك؟!

قال: إني أحبه.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: إن جبرائيل يقول إنه يحبك!

قال «عليه السلام»: بَلَغْتُ أن يحبني جبرائيل؟

قال «صلى الله عليه وآله»: نعم، ومن هو خير من جبرائيل، الله عزَّ

وجلّ"[1].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم عدة وقفات، هي التالية:

من دخل النخل فهو آمن:

لقد تضمن هذا النص: أمراً هاماً، من حيث دلالته الصريحة على: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقاتل اليهود، لأنه اتخذ قراراً مسبقاً بقتلهم وبإبادتهم، أو بقهرهم، والاستيلاء على بلادهم، وقد جاء الآن لتنفيذ هذا القرار.

كما أنه قد تضمن إعطاء الأمان للناس من دون أي شروط، والاكتفاء بمجرد إظهار الرغبة في الدخول في الأمان..

وهذا يعطي: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يستفيد من قوته العسكرية الضاربة لفرض شروطه على محاربيه، بل كانت شروطه هي تلك الشروط، التي يسعى إليها كل إنسان بحسب سجيته وفطرته العامة، وهي كل ما يقتضيه العدل والإنصاف للناس.

وهذا يدل: على أن الهدف هو مجرد التخلص من الفتنة، ودرء الأخطار، وإعادة تصحيح الأوضاع لصالح السلم، وإشاعة الأمن، وضمان الحرية في نطاق الانضباط والالتزام بالحدود، والوفاء بالعهود، والمواثيق.

ثم إن هذه الشروط قد أعطت الإيحاء للعدو: بأن ثمة يقيناً بالنصر، وبأن عليهم أن يراجعوا حساباتهم، فلا تغرهم عدتهم، ولا عديدهم..

---

(١) أسد الغابة ج٣ ص٣٤.

كما أن وجود هذا الخيار، وظهور الميل إليه لدى بعض الفئات المحاربة، سوف يضعف الثقة فيما بينهم، ويخلُّ بإمكانية الاعتماد على بعضهم البعض، حين يبقى احتمال رغبة الناس بالأمان واحتمال أن يبادر إلى التماسه كل فرد منهم، ماثلاً أمامهم، يثير القلق في نفوسهم، ويضعف تأثير قراراتهم في تسكين النفوس، وفي الشعور بالأمن، وبالطمأنينة للسلامة، والثقة بالنصر، وبالتناصر..

يضاف إلى ذلك: أنه قد يكون هناك أناس مستضعفون مغلوبون على أمرهم، يقهرهم الأقوياء على مواقف لا يريدونها، ويسخِّرونهم لتحقيق مآربهم، فيكون إعطاء هذا الأمان فرصة لهم يعيد إليهم الخيار، ويمكنهم من الاختيار، وبذلك يصبحون هم الذين يتحملون المسؤولية لو خاضوا تلك الحرب، وارتكبوا أي خطأ، أو ذنب.

وليس لهم أن يعتذروا بالاستضعاف، وانسداد أبواب الخيارات الصحيحة أمامهم.

جعل علي عليه السلام على المقدمة:

وإن جعل قيادة ذلك الجيش إلى علي «عليه السلام» هو في حد ذاته أحد مفردات الحرب النفسية، الشديدة التأثير على الأعداء، الذين يعرفون علياً «عليه السلام»، وقد أذاقهم سيفه الويلات، وحلت بهم منه الكوارث والنكبات. وهو أيضاً يعطي المسلمين المزيد من القوة والاندفاع، والثقة بالنصر..

التشكيك في قيادة علي عليه السلام:

وقد حاول بعضهم التشكيك بجعل علي «عليه السلام» على مقدمة الجيش.

فقد قال الدياربكري: «واستعمل على مقدمة الجيش عكاشة بن محصن الأسدي، وعلى الميمنة عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة واحداً من أصحابه، وفي بعض الكتب علي بن أبي طالب.

وهذا غير صحيح: لأن الروايات الصحيحة تدل على: أن علياً في أوائل الحال لم يكن في العسكر. وكان به رمد شديد. ولما لحق بالعسكر، أعطاه الراية، وأمَّره على الجيش، ووقع الفتح على يده كما سيجيء» انتهى[1].

ونقول:

إن لنا على ما ذكره بعض المؤاخذات:

فأولاً: إن دعواه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل عمر بن الخطاب على الميمنة غريبة حقاً، فإننا لم نعهد في هذا الرجل طيلة حياته مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أية مواقف شجاعة، تؤهله لهذا المقام الخطير.

وقد كنا نتوقع: أن يذكروا هنا أشخاصاً آخرين ممن لهم بهم هوى، حتى لو كان سعد بن عبادة، أو الحباب بن المنذر، أو الزبير، الذي شفعت له عندهم حرب الجمل التي قادها ضد علي «عليه السلام»، أو محمد بن مسلمة، لأننا نعلم: أن لهم عناية خاصة بأمثال هؤلاء، وحرصاً على تسطير الفضائل والكرامات لهم.

وأما أبو دجانة، والمقداد، ونظراؤهم من الذين كان لهم ميل إلى علي «عليه السلام»، فلا نكاد نشعر بأن لهم نصيباً في شيء من ذلك..

ولعلهم قد أبهموا اسم الذي كان على الميسرة لأنه كان في جملة هؤلاء

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٢.

الذين لا يحبون ذكرهم في أمثال هذه المواقف، ولم يكن ثمة مجال لتبديله بغيره، لشدة ظهور أمره للناس.

ثانياً: سيأتي إن شاء الله تعالى: أن علياً «عليه السلام» كان على رأس جيش رسول الله «صلى الله عليه وآله» من حين خروجه من المدينة، وقد طال مقامه في خيبر عشرات الأيام، وربما بلغ أشهراً، فالرمد لم يصب علياً «عليه السلام» كل هذه المدة الطويلة، بل أصابه قبل قتل مرحب بوقت يسير، وإنما قتل مرحب في أواخر، بل في آخر أيام خيبر، وبعد حصار حصونهم المختلفة عشرات الأيام..

بل لقد حوصر حصن القموص نفسه عشرين يوماً كما سيأتي.

وسيأتي أيضاً في الفصل الثالث في فقرة «الرايات بدأت في خيبر»: أنه «صلى الله عليه وآله» قبل أن يبدأ القتال في حصن ناعم قد أعطى لواءه إلى علي «عليه السلام».. وحصن ناعم هو أول حصون خيبر فتحاً..

علي عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي صلى الله عليه وآله:

وقد لوحظ: أن علياً «عليه السلام» هو الذي تولى إسماع الناس ما تكلم به النبي «صلى الله عليه وآله».. وكأن هذا الأمر قد جاء وفق توجيه مسبق ينيط هذه المهمة بعلي «عليه السلام».

لأننا نعلم: أن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يقدم على أمر، إذا لم يكن هناك توجيه من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد ثبت ذلك بصورة قاطعة في نفس غزوة خيبر، حين قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: اذهب ولا تلتفت، فسار قليلاً، ثم قام ولم يلتفت،

فقال «عليه السلام»: علام أقاتلهم، كما سيأتي إن شاء الله..

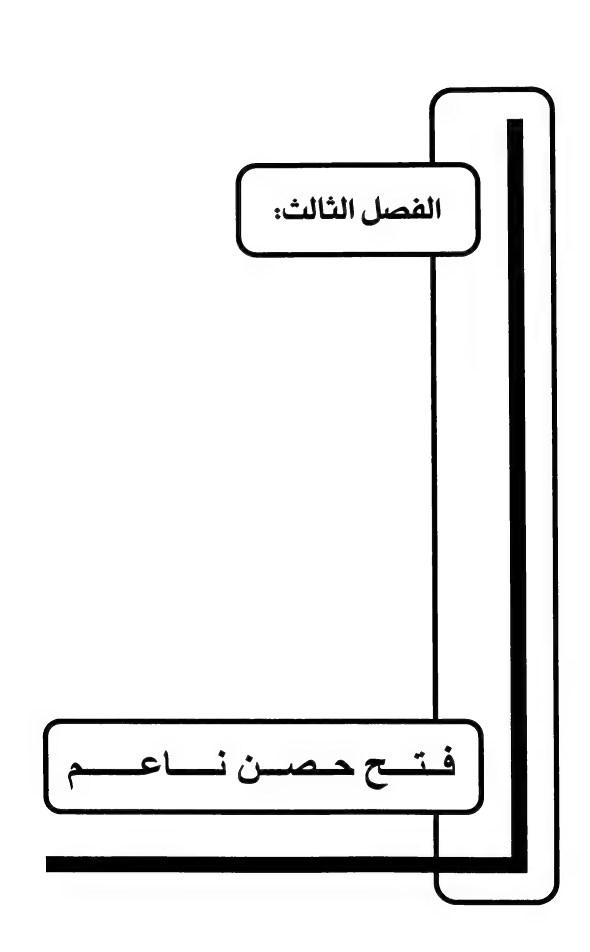
جبرئيل يحب علياً عليه السلام:

ثم يأتي إخباره «صلى الله عليه وآله» عن ضحك جبرئيل حين نادى «عليه السلام» في الناس بكلامه «صلى الله عليه وآله».

فإن ما يثير الانتباه هو: أن ذلك قد جاء توطئة للإعلان بحب جبرئيل «عليه السلام»، وحب الله تعالى لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو الحب الذي لم يوجب له «عليه السلام». أي نوع من أنواع الغرور غير المقبول، بل هو قد بادر إلى هضم نفسه، ولم يعطها مداها، ولا أتاح الفرصة لأن يتوهم أي كان أن لها أي دور، أو تأثير سلبي في أي شأن من شؤونه «عليه السلام»..

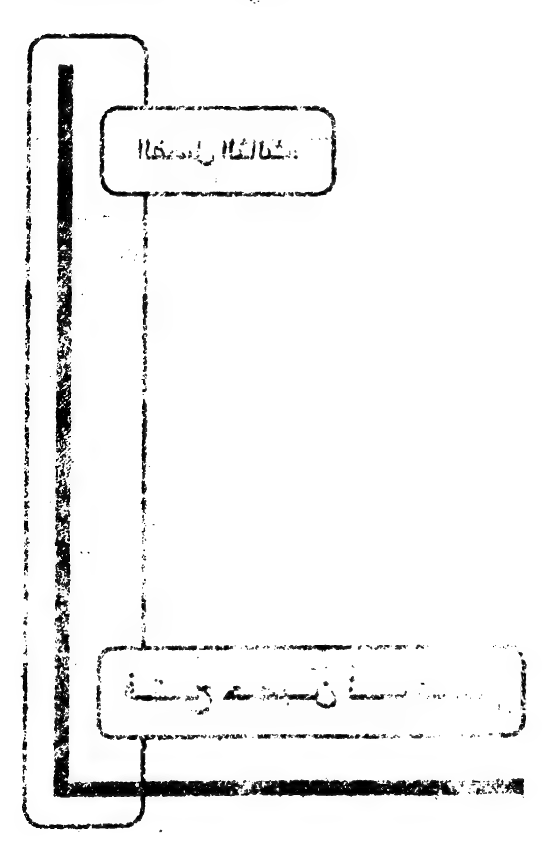
مع أنه هو الذي سيفتح الله تعالى خيبر على يديه، وسوف يتمنى المنهزمون الذين كانوا يجبِّنون أصحابهم، ويجبنهم أصحابهم: أن يعطيهم الرسول «صلى الله عليه وآله» الراية، التي لا نشك في أنهم لو حصلوا عليها، فسوف يفرون بها من جديد، مرة بعد أخرى..

وقد جاء بيان ذلك كله.. في سياق إعطاء الأمان لمن دخل النخل، ليكون ذلك بمثابة إعلان لهم: بأن هذا الذي سوف يقتل فرسانهم، ويفتح حصونهم، هو إنسان قريب من الله سبحانه وهو له حبيب.. وليس مجرد فارس شجاع، وبطل فاتك، لا يبالي بإزهاق الأرواح، ولا يهدف في حروبه تلك إلى أن يفرض إرادته على الآخرين بالجبروت وبالقهر، وقوة السلاح..



الفصل الثالث:

فـــتـــح حـــصـــن نــــاعـــــم



حصار حصن ناعم:

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد: وفرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، وإنما كانت الألوية[1].

وكانت راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوداء من برد لعائشة، تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، دفعه إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ودفع راية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عبادة.

وكان شعارهم: «يا منصور أمت»[2].

وأضاف الحلبي: راية إلى أبي بكر، وراية إلى عمر[3].

ثم صف رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه، ووعظهم، ونهاهم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٠ وأخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص٤٨ وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ والإمتاع ص٣١٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٠ وفي الهامش قال: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص٤٨ وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) والواقدي في المغازي ج٢ ص٦٤٩ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ والإمتاع ص٣١١ و ٣١٣.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥.

عن القتال حتى يأذن لهم، فعمد رجل من أشجع، فحمل على يهودي فقتله، فقال الناس: استشهد فلان.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أبعد ما نهيت عن القتال»؟.

قالوا: نعم.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» منادياً فنادى في الناس: «لا تحل الجنة لعاص».

وروى الطبراني في الصغير، عن جابر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال يوم خيبر: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله تعالى العافية، فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تقتلهم أنت.

ثم الزموا الأرض جلوساً، فإذا غشوكم فانهضوا، وكبروا» وذكر الحديث[1].

وقالوا: إن مرحباً هو الذي قتل ذلك الرجل الأشجعي[2].

وأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في القتال، وحثهم على الصبر،

---

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٢٨ وج٦ ص١٥١ والمعجم الصغير للطبراني ج٢ ص١١ وعيون الأثر ج٢ ص١٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٠ وفي هامشه عن: مسلم في الجهاد باب ٦ رقم (٢٠)، ونحوه عند البخاري في الصحيح حديث (٧٢٣٧) وسنن الدارمي ج٢ ص٢١٦ والمصنف لعبد الرزاق (٩٥١٣) (٩٥١٨) وسنن أبي داود في الجهاد باب ٩٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ وراجع: الإمتاع ص٣١٢.

(٢) الإمتاع ص٣١٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٩.

وأول حصن حاصره حصن ناعم، وقاتل «صلى الله عليه وآله» يومه ذاك أشد القتال، وقاتله أهل النطاة أشد القتال، وترس جماعة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليه يومئذٍ، وعليه ـ كما قال محمد بن عمر ـ درعان، وبيضة، ومغفر، وهو على فرس يقال له: الظرب، وفي يده قناة وترس[1].

وتقدم في حديث أنس: أنه كان على حمار، فيحتمل أنه كان عليه في الطريق، ثم ركب الفرس حال القتال. والله أعلم.

وجعلت نبل يهود تخالط العسكر وتجاوزه، والمسلمون يلتقطون نبلهم ثم يردونها عليهم. فلما أمسى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحول إلى الرجيع، وأمر الناس فتحولوا، فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغدو بالمسلمين على راياتهم حتى فتح الله الحصن عليهم.

وروى البيهقي من طريق عاصم الأحول، عن أبي عثمان الفهري، وعن أبي قلابة.

وأبو نعيم، والبيهقي، عن عبد الرحمن بن المرقع.

ومحمد بن عمر، عن شيوخه: أن المسلمين لما قدموا خيبر كان التمر أخضر، وهي وبيئة وخيمة، فأكلوا من تلك الثمرة. فأهمدتهم الحمى، فشكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «قرسوا الماء في الشنان ـ أي القرب ـ فإذا كان بين الأذانين ـ أي أذاني الفجر ـ فاحدروا الماء عليكم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٣ ص١٢٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ والإمتاع ص٣١٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٤ وراجع: الغدير للشيخ الأميني ج٧ ص٢٠٤.

حدراً، واذكروا اسم الله تعالى».

ففعلوا، فكأنما نشطوا من العقل[1].

ونقول:

على فرس، أو على حمار؟!

قد ذكر آنفاً: أنه «صلى الله عليه وآله» كان على فرس اسمه «الظرب» وهذا لا ينافي أنه «صلى الله عليه وآله» كان في خيبر على حمار، مخطوم برسن من ليف..

فلعل ركوبه الحمار كان في مسيره إلى خيبر، وفي غير ساحة القتال..

بل لقد صرحت رواية ركوبه الحمار: بأن ذلك كان وهو متوجه إلى خيبر، فراجع[2].

وقد تقدم بعض الحديث عن ذلك فلا نعيد..

قتال رسول الله ﷺ في خيبر:

وجاء في الروايات الآنفة الذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» قاتل يومه ذاك أشد القتال.

مع أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يباشر القتال بنفسه إلا في واقعة أحد.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٠ و ١٢١ وفي هامشه عن: ابن أبي شيبة ج٧ ص٤٥٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٤.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤.

يضاف إلى ذلك: أنه لو كان قد باشر القتال بنفسه لكان قد قتل أو جرح أحداً من المشركين، ولكن أحداً لم يذكر ذلك، مع أن هذا الأمر مما تتوفر الدواعي على نقله.

وقد يجاب عن ذلك: بأن المراد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قاتل بجيشه أشد قتال[1].

ويجاب أيضاً: بأنه ليس بالضرورة أن يكون ما ذكروه من أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقتل أحداً في غير غزاة أحد صحيحاً، فإنهم ذكروا هنا أيضاً ـ كما سيأتي ـ: أنه «صلى الله عليه وآله» رمى بسهم فما أخطأ رجلاً منهم[2].

الرايات بدأت في خيبر:

ثم إنهم قد ادَّعوا: أن راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسمى العقاب، وأن الرايات بدأت من خيبر، وأن اللواء غير الراية، وأن لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أبيضاً، وهو الذي أعطاه لعلي «عليه السلام» في خيبر..

ونقول:

أولاً: ذكروا: أن اللواء الذي دفعه «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام» يوم خيبر ـ وكان أبيضاً ـ كان يقال له: العقاب أيضاً[3].

ألا يفيد ذلك: أن اللواء هو نفس الراية؟!

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٢.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ عن سيرة الدمياطي.

ثانياً: قد صرحت الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» أعطى اللواء لعلي في قضية قتل مرحب، وفتح خيبر..

مع أن عبارة النبي «صلى الله عليه وآله» التي تناقلتها الروايات الكثيرة هي: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله الخ..».

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي «عليه السلام»: خذ هذه الراية وتقدم[1].

إلا أن يجاب عن هذا الأمر الأخير: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطاه الراية واللواء معاً..

ثالثاً: لقد صرحت الروايات التي ذكرناها في أوائل غزوة أحد: بأن لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» (أو رايته) ـ فقد عبرت الروايات بهذا تارة وبذاك أخرى ـ كانت مع علي «عليه السلام» في جميع المشاهد.

فلا معنى للتفريق بين اللواء والراية، ثم توزيع هذه أو تلك على هذا الرجل أو ذاك، وفقاً لبعض الإعتبارات التي يراد التسويق لها.

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ وكشف الغطاء ج١ ص١٥ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص٣٠٢ والعمدة لابن البطريق ص١٥٣ والطرائف لابن طاووس ص٥٧ والصوارم المهرقة للتستري ص٣٥ والبحار ج٣٩ ص٩٠ وبغية الباحث ص٢١٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٣٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣ والكامل لابن عدي ج٢ ص٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٨.

الزموا الأرض جلوساً:

وحول أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بلزوم الأرض، ثم النهوض، والتكبير..

نقول:

ألف: إن جلوسهم في البداية ربما يثير رغبة العدو في اغتنام الفرصة والهجوم عليهم، لأن حالة الجلوس قد تجعل هذا العدو يشعر بأن له هيمنة على الموقف، وأن الذين هم أمامه أقل حجماً وأضعف قدرة منه، فإذا بادر إلى الهجوم عليهم، وفوجئ بقيامهم، فإن انقلاب الصورة بسرعة سوف يحدث إرباكاً لدى هذا العدو المهاجم من حيث إيجاب ذلك تبدلاً سريعاً في مشاعره وارتجاجات قد تعيق ـ ولو للحظات ـ سيطرته على الموقف، واتخاذ القرارات المناسبة للحظة المناسبة في هذا الوضع المستجد..

فإذا صاحب ذلك تكبير هؤلاء الناهضين، فإن ذلك سيزيد من تزاحم الصور، واختلاطها، وسوف تظهر علامات الفوضى والإرباك، وفقدان القدرة على التمييز بين ما هو حسي وبين ما هو ذهني، مما له اتصال بالفكر والمشاعر، والتصورات العقيدية، بالإضافة إلى حالات من الهواجس المبهمة التي توقظ مشاعر الخوف على النفس، وتستدعي استحضار ما يفيد في حفظها، ودفع الأخطار التي تتزاحم احتمالاتها في مخيلتهم..

نداء لا تحل الجنة لعاص:

وقد تقدم أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» كان قبل ذلك أمر بلالاً فنادى: لا تحل الجنة لعاص، وذلك حين خرج رجل على جمل صعب،

فصرعه فمات.

وها هم يقولون هنا: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر منادياً لينادي بنفس النداء، وفي نفس غزوة خيبر أيضاً، وذلك في شأن رجل من أشجع، حمل على يهودي فقتله اليهودي!!

فهل جرى هذا النداء مرتين؟!

ألم يكن المفروض: أن يتعلم الناس من النداء الأول، فلا يقدم أحد منهم على معصية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!..

وربما يجاب عن هذا السؤال بالإيجاب، فيقال:

إن النداء في المرة الأولى لا يكفي للردع عن المخالفة في المرة الثانية؛ لأن النداء في المرة الأولى قد يفهم أنه نداء على أمر يعتقدون أن المخالفة فيه لا تشكل خطراً كبيراً، لأنها تكون في أمر هو أقرب إلى الأمور الشخصية التي تعني ذلك الراكب نفسه.

وينظر الناس إلى الأوامر والنواهي في مثله على أنها مجرد إرشادات ونصائح لا تشدُّد فيها. بخلاف موضوع إشعال نار الحرب بين الجيشين، بالمبادرة إلى البراز، فإن اتخاذ قرار القتال بصورة منفردة وشخصية، ومن دون مراجعة القيادة لا يمكن قبوله من أحد، لأنه قد يورط القيادة ويسوق الأمور إلى خلاف ما ترمي إليه، وقد يفسد عليها خططها، ويبطل تدبيرها..

إذن.. فقد لا يكون النداء الأول كافياً لردع الناس عن المخالفة الأقوى والأشد..

ونقول:

إنه إذا ثبت أن المخالفة في ذلك الأمر العادي محرمة، وأنها توجب

تحريم الجنة على العاصي، فإن ثبوت هذا التحريم للجنة في الأمر الثاني، يصبح أمراً بديهياً، ولا يصح ارتكابه من أحد..

فإذا حصل ذلك، فإن النداء بتحريم الجنة على مرتكبه يكون أشد ضرورة، وأكثر إلحاحاً. ولا سيما إذا كان من يبادر إلى القتال، قد ساقه إلى ذلك حبه للشهادة، وشدة شوقه إلى الله وحنقه على أعدائه تبارك وتعالى.

الإنضباط ضرورة لا تقبل الجدل:

وعلى كل حال: فإن هذا الأمر إذا كان قد حصل من ذلك الرجل فعلاً، فإنه يكون عملاً بالغ الخطورة، من حيث إنه يصادر قرارات القيادة، ويمهد لاستلاب زمام الأمور من يدها، وإضعاف هيمنتها، وإسقاط هيبتها، وقد يسعى الأعداء للتأثير على قراراتها بمثل هذه الأساليب بالاستفادة من عناصر مدسوسة، ووفق خطط مدروسة.

هذا عدا عن أن ذلك سوف يجعل القيادة تضيع في متاهات أهواء الناس، واختلاف أذواقهم ومشاربهم، فلا تعرف كيف تخطط، ولا ماذا تقرر، ولا كيف تفكر..

من أجل ذلك: فإن للانضباط الدور العظيم في إنجاح أية قضية، ولا بد أن تكون عقوبة من يخل بهذا الأمر كبيرة بحجم الفساد الذي تحدثه مخالفته، ويفرضه إخلاله..

تمني لقاء العدو:

وإذا ألقينا نظرة على الدعاء الذي طلب «صلى الله عليه وآله» من أصحابه أن يدعوا به ربهم عند لقاء العدو، فسوف تظهر لنا أمور كثيرة،

نذكر منها ما يلي:

ألف: إن تمني لقاء العدو، وإهمال التفكير في تلافي الحرب بوسائل الإقناع أو نحوها معناه: ترجيح خيار سفك دماء الناس المعارضين والتخلص منهم بأسلوب القتل والتدمير، على خيار السلم، والوئام، وعلى بذل الجهد في محاولات إقناع حثيثة ومتعاقبة، يمكن أن تكون ذات أثر في حسم الأمور.

مع أن ما يسعى إليه الإسلام هو الاستصلاح للناس، وليس الاستئصال لهم، إلا إذا فقدت جميع فرص الإصلاح، وأصبح وجودهم مضراً بالإنسان والإنسانية.

ب: إن الاستهتار بقدرات العدو يجر إلى كوارث ونكبات ربما لم يحسب لها حساب.

وهذا نوع من السذاجة الاختيارية، التي تصل إلى حد التفريط والتقصير غير المقبول.. حيث يؤدي إلى إهمال كثير من الإجراءات الاحتياطية، التي من شأنها أن تبعد شبح كثير من الضربات القوية التي ربما يكون العدو قد أعدَّ لها.

ج: إن تمني لقاء العدو يجسد شعوراً بالقوة الذاتية، وربما اغتراراً بالقدرة على التصرف، وعلى التأثير المستقل.. فكان لا بد من تصحيح هذه النظرة بالاستناد إلى أساس عقائدي متين. يستند إلى الاعتراف: بأن الله تعالى هو المتصرف بهم، لأنه الرب والإله.. وذلك بالتصريح أو التلويح بأمرين:

أحدهما: أن ربوبيته تعالى للجميع تشير إلى: أن حق التصرف منحصر به سبحانه.. وأن ما يفعله الناس إنما هو بإذن منه تعالى، من خلال إجراء

سنة إلهية جعلت من إرادة البشر حلقة في سلسلة العلل، ومن موجبات الفيض الإلهي للوجود على بعض الأشياء.

الثاني: أن ذلك التصرف يرتكز إلى حقيقة: أن نواصي كلا الفريقين بيده تعالى، فهو المالك الحقيقي، والمهيمن على الجميع من موقع القدرة، والقاهرية؛ لأنه رب الجميع.

يسلم الراعي وتعود الغنم:

روى البيهقي، عن جابر بن عبد الله، والبيهقي عن أنس، والبيهقي عن عروة، وعن موسى بن عقبة: أن عبداً حبشياً لرجل من أهل خيبر، كان يرعى غنماً لهم، لما رآهم قد أخذوا السلاح، واستعدوا لقتال رسول الله «صلى الله عليه وآله» سألهم: ما تريدون؟

قالوا: نقاتل هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي.

فوقع في نفسه ذكر النبي «صلى الله عليه وآله»، فخرج بغنمه ليرعاها، فأخذه المسلمون، فجاؤوا به لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي لفظ ابن عقبة: أنه عمد بغنمه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما شاء الله أن يكلمه.

فقال الرجل: ماذا تقول، وماذا تدعو إليه؟

قال: «أدعوك إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن لا تعبد إلا الله».

قال العبد: وماذا يكون لي إن شهدت بذلك، وآمنت بالله تعالى؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لك الجنة إن آمنت على ذلك».

فأسلم العبد، وقال: يا رسول الله، إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، منتن الريح، لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنة؟

قال: «نعم».

قال: يا رسول الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فكيف بها؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أخرجها من العسكر، وارمها بالحصباء، فإن الله عز وجل سيؤدي عنك أمانتك».

ففعل، وأعجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلمته، فخرجت الغنم تشتد مجتمعة، كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، فعرف اليهودي: أن غلامه قد أسلم.

ثم تقدم العبد الأسود إلى الصف، فقاتل، فأصابه سهم فقتله، ولم يصل لله تعالى سجدة قط، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدخلوه الفسطاط»، وفي لفظ: «الخباء».

فأدخلوه خباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إذا فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» دخل عليه، ثم خرج فقال: «لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه، وإن عنده لزوجتين له من الحور العين»[1].

وفي حديث أنس: فأتى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٩وفي هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج٤ ص٢٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٤٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ والإمتاع ص٣١٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٩ و ٦٥٠ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٣٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤٣ ودلائل النبوة ص١٨٨ وكنز العمال ج١٦ ص٧٤٣.

مقتول، فقال: «لقد حسَّن الله وجهك، وطيب ريحك، وكثَّر مالك. لقد رأيت زوجتيه من الحور العين، ينزعان جبته يدخلان فيما بين جلده وجبته»[1].

وعند ابن إسحاق: «ينفضان التراب عن وجهه، ويقولان: ترب الله وجه من تربك، وقتل من قتلك»[2].

ونقول:

أولاً: من الواضح: أنه إذا قامت الحرب بين فريقين، فأي مال يحصل عليه أحدهما فإنه يستولي عليه بعنوان أنه غنيمة. فلا يعقل أن يخرج الراعي بالغنم إلى أي مكان يصل إليه جيش المسلمين؛ لأن ذلك معناه: أن يستولي المسلمون على ذلك الغنم فور رؤيتهم له..

ولا يمهلون ذلك الراعي حتى يراجع أحداً في الأمر..

بل إنهم سوف يعتبرون نفس ذلك الراعي أحد الغنائم، إن كان عبداً، أو يعتبرونه أسيراً إن لم يكن كذلك.

اللهم إلا أن يكون ذلك قد حصل في فترة المفاوضات، والسعي لإقامة الحجة على اليهود، حتى إذا لم يستجيبوا لداعي الله سبحانه، وأصروا على معاندة الحق وأهله، وأعلنت الحرب، وتنابذ الفريقان، فإن كل فريق سوف يسعى إلى حماية ماله، ووضعه في أماكن مأمونة، بعيداً عن متناول يد عدوه.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٦٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٠٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٤٨.

ولكن ليس في الرواية ما يشير إلى ذلك، فيبقى مجرد احتمال معلق في الهواء.

ثانياً: إن وصول الغنم إلى أصحابها بمجرد رميها بالحصباء قد يوجب يقين أصحاب تلك الغنم بأنهم محقون، وبأن الله تعالى هو الذي رد عليهم غنمهم، لأنه راضٍ عنهم، ماضٍ لطفه فيهم..

وفي هذا إغراء بالعناد واللجاج، والتشبث بالباطل، ودخول الشبهة على المبطلين، فلا يعقل صدور عمل يؤدي إلى ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأما الاعتذار عن ذلك: بأن عدم أخذهم لذلك العبد، إنما هو لعدم كونه محارباً، فهو اعتذار واه، لأن المفروض: أن جميع من هم في تلك المنطقة، ويترددون إلى الحصون هم من المحاربين لأهل الإسلام..

والكلام إنما هو بالنسبة للناس العاديين، لا بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» المتصل بالوحي والغيب.

ومما يضحك الثكلى احتمال البعض: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما أرجع الغنم إلى الحصن بهذه الطريقة لكي يظهر لذلك العبد معجزة تقنعه بنبوته.

فإن الأمور لم تضق على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى حد أنه يصنع معجزة من شأنها أن تعيد لليهود قطيعاً كبيراً من الغنم، بحيث يعود إليهم لوحده..

وليس ثمة ما يدلهم على: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أرجعها إليهم، فإن دخول العبد في الإسلام قد لا يكون استناداً إلى عودة الغنم إليهم، بل لأنه قد استضعف وخاف..

هذا لو سلم أنهم عرفوا بإسلامه، ولم يثبت ذلك.

متى شبع النبي ﷺ من خبز الشعير؟!

وقالوا: إن حصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطاة على يد علي «عليه السلام».

وعن عائشة قالت: ما شبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بني قمة، أي وهي أول دار فتحت بخيبر، وهي بالنطاة، وهي منزل ياسر أخي مرحب، وظاهر السياق أنها ناعم[1].

ونقول:

إن ثمة قدراً من الجرأة من عائشة على مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث ساقت حديثها بنحو يوحي: بأن الجوع والشبع كان يمثل قضية ذات أهمية بالنسبة إليه «صلى الله عليه وآله»..

كما أنها عبرت بكلمة «ما شبع»، وهي لا تناسب رسول الله «صلى الله عليه وآله».. الذي لم يكن يتملى من الطعام، وفقاً لقاعدة: اجلس على الطعام وأنت جائع، وقم عنه وأنت تشتهيه.. مع ملاحظة النواهي الصادرة عنه «صلى الله عليه وآله» عن الأكل حتى الشبع، وعن التملي من الطعام، وهي لا يكاد يجهلها أحد..

وفي جميع الأحوال نقول:

لماذا يجعلون رسول الله «صلى الله عليه وآله» محور الحديث عن هذا

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩.

الأمر بالذات؟!.. وقد كان بإمكانهم جعل الحديث عن غيره، أو أن يستفيد المتحدثون من عناوين عامة، ليس فيها هذا الإيحاء غير المحبب، فيقولون مثلاً، ما شبعنا، أو ما شبع الناس، أو المسلمون، أو نحو ذلك.

محمود بن مسلمة يقتل في حصن ناعم:

ويقولون: إن السبب في قتل محمود بن مسلمة هو: أنه كان قد حارب في حصن ناعم حتى أعياه الحرب، وثقل السلاح. وكان الحر شديداً، فانحاز إلى ظل ذلك الحصن يبتغي فيئه.

قالوا: ولا يظن محمود أن في ذلك الحصن أحداً من المقاتلة، وإنما ظن أن فيه متاعاً وأثاثاً.

فألقى عليه مرحب حجر الرحا، فهشم البيضة على رأسه، ونزلت جلدة جبينه على وجهه، وندرت عينه. فأدركه المسلمون، فأتوا به النبي «صلى الله عليه وآله» فسوى الجلدة إلى مكانها، وعصبه بخرقة، فمات من شدة الجراحة. وتحول «صلى الله عليه وآله» خشية على أصحابه من البيات[1].

وجاء أخوه محمد بن مسلمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: إن اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة، وبكى.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموه، فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تقتلهم أنت.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٥ والإمتاع ص٣١١ و ٣١٢ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤.

ثم الزموا الأرض جلوساً، فإذا غشوكم، فانهضوا، وكبروا»[1].

ونحن نشك في صحة هذه الرواية من أساسها.

فأولاً: إن القتال كله كان مع المدافعين عن حصن ناعم، فما معنى قولهم: «ولا يظن محمود: أن فيه أحداً من المقاتلة، إنما ظن: أن فيه متاعاً وأثاثاً»؟! فهل ترك المقاتلون حصنهم، وتاهوا في الصحراء؟!

ثانياً: إذا كان اليهود بعد القتال قد دخلوا حصنهم. فإن من غير المعقول: أن يحارب محمود بن مسلمة اليهود حتى أعياه الحرب، وثقل السلاح، ثم يجلس في أسفل حصنهم ليستريح.

إذ أي عاقل لا يخطر في باله: أن اليهود قد يفكرون في إلقاء حجر عليه لقتله، وأن عليه أن يتحرز من ذلك؟!

وقد علم الناس كلهم: أن سبب حرب النبي «صلى الله عليه وآله» لبني النضير، حتى أجلاهم من ديارهم، هو: أنه جاءهم مع أصحابه في أمر، وجلس إلى بعض بيوتهم، فحاولوا إلقاء حجر عليه لقتله، فأخبره الله تعالى بذلك فقام وتركهم، وكانت الحرب.

فإذا كان هذا حال اليهود في السلم، فكيف ستكون حالهم في الحرب؟! ولا سيما بعد حصول معركة حامية يعيا فيها المحارب..

ألم يسمع محمود بحرب النضير؟!

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ وراجع: المعجم الصغير ج٢ ص١٣٦ والمستدرك على الصحيحين ج٣ ص٣٨ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٢٨ وج٦ ص١٥١ وكتاب الدعاء للطبراني ص٣٢٨ وكنز العمال ج٤ ص٣٦١ وعيون الأثر ج٢ ص١٣٦.

وألم يعرف سبب نشوبها، وهي الحرب التي انتهت إلى تلك النتائج الخطيرة والكبيرة على مستوى المنطقة بأسرها؟!

ثالثاً: كيف لم يحذِّر أحد من المسلمين محمود بن مسلمة من مغبة جلوسه في ذلك الموضع؟! أم يعقل أن يكون الجميع قد تركوه وحده، وغادروا المكان؟!

رابعاً: والغريب في الأمر: أنهم يذكرون عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال لمحمد بن مسلمة، حينها أخبره بقتل أخيه: إنه سوف يرسل رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليأخذ له بثأر أخيه، ثم أرسل علياً «عليه السلام»[1].

فلماذا لم يرسل محمد بن مسلمة نفسه. مع أنهم يدَّعون له مقاماً فريداً في الفروسية والشجاعة، حتى زعموا ـ كذباً وزوراً ـ: أنه هو الذي قتل مرحباً؟!

بالإضافة إلى ما لا يجهله أحد من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله الخ.. بعد فرار أبي بكر وعمر، ولأجل تلافي ما حصل.. لا في مناسبة إخبار محمد بن مسلمة له «صلى الله عليه وآله» بقتل أخيه محمود.

خامساً: والأغرب من ذلك، والأعجب: أن يجيب «صلى الله عليه وآله» ابن مسلمة على إخباره إياه بقتل أخيه، بقوله: لا تمنوا لقاء العدو الخ.. فهل تراه يحذِّر ابن مسلمة، من أن يحدث نفسه بلقاء العدو الذي قتل أخاه للتو؟!

وهل هو يخشى أن يصيبه ما أصاب أخاه؟!

____

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣.

وهل ينسجم هذا، وذاك مع ما زعموه من أن محمد بن مسلمة قد بارز مرحباً وقتله بأخيه؟!

أم أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يتنبأ له مسبقاً بفراره وفرار غيره حينما يواجهون اليهود في حصن القموص، حينما يرسلهم «صلى الله عليه وآله» بالراية إلى حرب الخيبريين؟!..

سادساً: قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن مرحباً هو الذي ألقى الرحى على محمود بن مسلمة، فقتله بها..

ولكن رواية أخرى تقول: إن الذي ألقى الرحى عليه هو كنانة بن الربيع..

وفي رواية ثالثة: أن قاتله هو شخص آخر، وهو الذي سلمه علي «عليه السلام» لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه..

وقد حاول الحلبي الجمع بين الروايتين الأوليين: بأن من الممكن أن يكون الرجلان قد اجتمعا على قتل محمود هذا[1].

ولكننا نقول له: إن مجرد الإمكان لا يكفي لصياغة التاريخ، بل ذلك يحتاج إلى شواهد وأدلة صالحة للاعتماد..

سابعاً: إن الظاهر هو: أن مرحباً كان حبيباً وقريباً لأخيه محمد بن مسلمة، فقد صرح أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأن محمداً كان ينقم على علي «عليه السلام» أنه قتل أخاه مرحباً[2].

---

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

(٢) الإمامة والسياسة (ط سنة ١٣٥٦ هـ بمصر) ج١ ص٥٤ وقاموس الرجال ج٨ ص٣٨٨ عنه.

ولعله كان أخاً له من الرضاعة، إن لم يكن أخاه لأمه..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن ذلك كله يشير إلى مدى الإصرار والحرص على الكذب والافتعال في هذا الأمر بالذات.

ولعلهم أرادوا إسداء خدمة لمحمد بن مسلمة، بتضخيم أمر قتل أخيه محمود من جهة، بادِّعاء: أن أعظم بطل في اليهود هو الذي قتله.. ثم بإظهار اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل قاتله، ثم سعيه للثأر لأخيه.

وذلك كله: في سياق التوطئة والتسويق المؤثر لادِّعاء: أن محمد بن مسلمة هو قاتل مرحب، بطل أبطال اليهود.

وبذلك يمكنهم أيضاً: حرمان علي «عليه السلام» من هذا الفضل، أو تشكيك الناس به على الأقل..

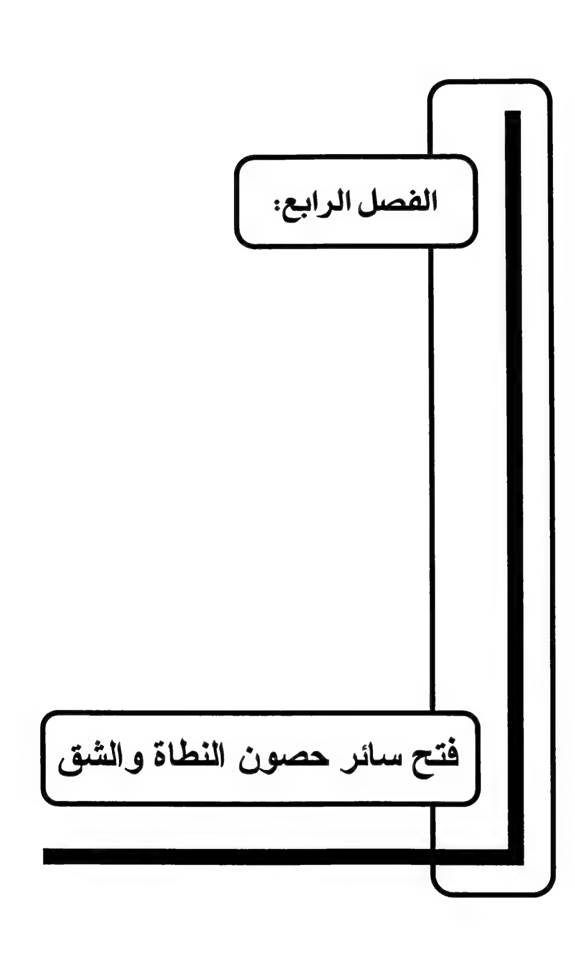
والأهم من ذلك كله: التقليل من شأن هذا النصر العظيم الذي سجله «عليه السلام»، بقتل مرحب، واقتلاع باب خيبر، وظهور فضله على الصحابة كلهم، بعد أن اتخذوا طريق الفرار سبيلاً للنجاة في الحياة الدنيا، دون أن يعبأوا بعقاب الآخرة.

أين قتل ابن مسلمة؟!

إن ظاهر بعض النصوص المتقدمة: أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن القموص[1]. مع أنه إنما قتل في حصن ناعم حسبما تقدم تفصيله..

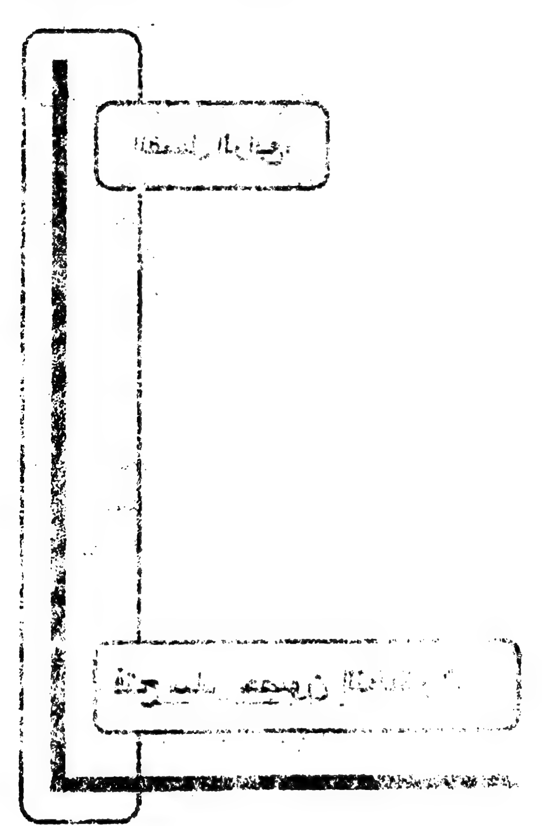
---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ عن البيهقي.



الفصل الرابع:

فتح سائر حصون النطاة والشق



حصار وفتح حصن الصعب بن معاذ:

لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاماً، وودكاً، وماشية، ومتاعاً من حصن الصعب بن معاذ ووجدوا فيه ما لم يكونوا يظنون، من الشعير، والتمر، والسمن، والعسل، والزيت، والودك[1]. وكان فيه خمسمائة مقاتل، وكان المسلمون قد أقاموا أياماً يقاتلون، ليس عندهم طعام إلا العلف[2].

بل **قال الواقدي**: إن الأطعمة كلها كانت في هذا الحصن[3].

وروى **محمد بن عمر، عن أبي اليسر كعب بن عمر**: أنهم حاصروا حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام، وكان حصناً منيعاً، وأقبلت غنم لرجل من يهود ترتع وراء حصنهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من رجل يطعمنا من هذه الغنم»؟

فقلت: أنا يا رسول الله.

فخرجت أسعى مثل الظبي.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢١ و ١٢٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٨ و ٦٥٩ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ و ٤٠.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٨.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٦٢.

وفي لفظ: مثل الظليم، فلما نظر إليّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» مولياً قال: «اللهم متعنا به».

فأدركت الغنم ـ وقد دخل أولها الحصن ـ فأخذتُ شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي، ثم أقبلت أعدو، كأن ليس معي شيء، حتى انتهيت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر بهما فذبحتا، ثم قسمهما، فما بقي أحد من العسكر الذين معه محاصرين الحصن إلا أكل منهما.

فقيل لأبي اليسر: كم كانوا؟

قال: كانوا عدداً كثيراً[1].

فيقال: أين بقية الناس؟.

فيقول: في الرجيع، بالمعسكر[2].

وروى ابن إسحاق، عن بعض قبيلة أسلم، ومحمد بن عمر، عن معتب الأسلمي، واللفظ له، قال: أصابتنا معشر أسلم مجاعة حين قدمنا خيبر، وأقمنا عشرة أيام على حصن النطاة، لا نفتح شيئاً فيه طعام، فأجمعت أسلم أن أرسلوا أسماء بن حارثة، فقالوا: ائت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقل له: إن أسلم يقرئونك السلام، ويقولون: إنّا قد جُهدنا من الجوع والضعف.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢١ وإمتاع الأسماع ص٣١٦ و ٣١٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٦٠ وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص١٤٩ وج٩ ص٣١٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٢١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٦٨.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٠.

فقال بريدة بن الحصيب: والله، إن رأيت كاليوم قط من بين العرب يصنعون هذا!!

فقال زيد (هند) بن حارثة أخو أسماء: والله، إني لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفتاح الخير.

فجاءه أسماء فقال: يا رسول الله إن أسلم تقرأ عليك السلام، وتقول: إنا قد جُهدنا من الجوع والضعف، فادع الله لنا.

فدعا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال: «والله ما بيدي ما أقويهم به، قد علمت حالهم، وأنهم ليست لهم قوة، ثم قال: «اللهم فافتح عليهم أعظم حصن فيها، أكثرها طعاماً، وأكثرها ودكاً»[1].

ودفع اللواء إلى الحباب بن المنذر، وندب الناس، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حصن الصعب بن معاذ.

قالت أم مطاع الأسلمية: لقد رأيت أسلم حين شكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما شكوا من شدة الحال، فندب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس فنهضوا، فرأيت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتح الله..

إلى أن قال: وكان عليه قتال شديد.

وبرز رجل من يهود يقال له: يوشع، يدعو إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاختلفا ضربات، فقتله الحباب.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢١ و ١٢٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ وإمتاع الأسماع ص٣١٦.

وبرز له آخر ـ يقال له: الزيال، أو الديال ـ فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري، فبادره الغفاري فضربه ضربة على هامته، وهو يقول: خذها وأنا الغلام الغفاري.

فقال الناس: «بطل جهاده».

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، فقال: «ما بأس به، يؤجر ويحمد»(١).

وروى محمد بن عمر، عن محمد بن مسلمة، قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» رمى بسهم فما أخطأ رجلاً منهم، وتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلي، وانفرجوا، ودخلوا الحصن(٢).

ووجدوا في حصن الصعب بن معاذ: آلة حرب، ودبابات، ومنجنيقاً.

وكان أحدهم قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بأن في حصن الصعب بن معاذ، في بيت منه تحت الأرض منجنيق، ودبابات، وسيوف(٣).

وحسب نص الحلبي: إن اليهود حملت حملة منكرة، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو واقف قد نزل عن فرسه، فثبت الحباب بن المنذر، فحرض «صلى الله عليه وآله» على الجهاد، فأقبلوا، وزحف بهم الحباب، فانهزمت يهود، وأغلقت الحصون عليهم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ و ٤٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٩ وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج٦ ص٩٤ و ٩٥ ورياض الصالحين للنووي ص٣٨٥ وعن سنن أبي داود ج٢ ص٢٦٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٢٢.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٤٠ وراجع ص٤١ عن الإمتاع.

ثم إن المسلمين اقتحموا الحصن، يقتلون، ويأسرون، فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير الخ..»[1].

ونادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كلوا، واعلفوا، ولا تحملوا، أي لا تخرجوا به إلى بلادكم[2].

وحسب نص الواقدي: وقد أقمنا عليه يومين نقاتلهم أشد القتال، فلما كان اليوم الثالث بكَّر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه الدقل في حربة له، وخرج وعاديته معه، فرموا بالنبل ساعة سراعاً، وترسنا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمطروا علينا بالنبل، فكان نبلهم مثل الجراد، حتى ظننت ألَّا يقلعوا، ثم حملوا علينا حملة رجل واحد.

فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو واقف، قد نزل عن فرسه، ومِدْعَم[3] يمسك فرسه.

وثبت الحُباب برايتنا، والله ما يزول، يراميهم على فرسه، وندب رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسلمين وحضهم على الجهاد ورغبهم فيه، وأخبرهم أن الله قد وعده خيبر يغنمه إياها.

قال: فأقبل الناس جميعاً حتى عادوا إلى صاحب رايتهم، ثم زحف بهم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٤٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٤٠ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٦١ وبغية الباحث ص٢١١ ونصب الراية للزيعلي ج٤ ص٢٦٧ والسير الكبير للشيباني ج٣ ص١٠١٨.

(٣) مدعم: هو العبد الأسود الذي كان مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الحباب، فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً، وترجع اليهود على أدبارها حتى لحمها الشر، فانكشفوا سراعاً، ودخلوا الحصن وغلّقوا عليهم، ووافوا على جدره ـ وله جدر دون جدر ـ فجعلوا يرموننا بالجندل[1] رمياً كثيراً، ونحونا عن حصنهم بوقع الحجارة، حتى رجعنا إلى موضع الحباب الأول.

ثم إن اليهود تلاومت بينها، وقالت: ما نستبقي لأنفسنا؟ قد قتل أهل الجد والجلد في حصن ناعم.

فخرجوا مستميتين، ورجعنا إليهم، فاقتتلنا على باب الحصن أشد القتال، وقتل يومئذٍ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أبو صياح، وقد شهد بدراً، ضربه رجل منهم بالسيف فأطن قحف رأسه. وعدي بن مرة بن سراقة، طعنه أحدهم بالحربة بين ثدييه فمات، والثالث الحارث بن حاطب وقد شهد بدراً، رماه رجل من فوق الحصن فدمغه.

وقد قتلنا منهم على الحصن عدة، كلما قتلنا منهم رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن.

ثم حمل صاحب رايتنا وحملنا معه، وأدخلنا اليهود الحصن، وتبعناهم في جوفه، فلما دخلنا عليهم الحصن فكأنهم غنم، فقتلنا من أشرف لنا، وأسرنا منهم، وهربوا في كل وجه، يركبون الحرة، يريدون حصن قلعة الزبير، وجعلنا ندعهم يهربون.

وصعد المسلمون على جدره، فكبروا عليه تكبيراً كثيراً، ففتتنا أعضاد

---

(١) الجندل: الحجارة. لسان العرب ج١٣ ص١٣٦.

اليهود بالتكبير، لقد رأيت فتيان أسلم وغفار فوق الحصن يكبرون، فوجدنا والله من الأطعمة ما لم نظن أنه هناك، من الشعير الخ..

ونادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كلوا واعلفوا ولا تحتملوا.

يقول: لا تخرجوا به إلى بلادكم.

فكان المسلمون يأخذون من ذلك الحصن مدة مقامهم؛ طعامهم وعلف دوابهم، لا يمنع أحد أن يأخذ حاجته، ولا يخمس الطعام.

ووجدوا فيه من البز والآنية، ووجدوا خوابي السّكَر، فأمروا فكسروها، فكانوا يكسرونها حتى سال السكر في الحصن، والخوابي كبار لا يطاق حملها.

وكان أبو ثعلبة الخشنى يقول: وجدنا فيه آنية من نحاس وفخار، كانت اليهود تأكل فيها وتشرب، فسألنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: اغسلوها واطبخوا وكلوا فيها واشربوا.

وقال: أسخنوا فيها الماء ثم اطبخوا بعد، وكلوا واشربوا.

وأخرجنا منه غنماً كثيراً، وبقراً، وحمراً، وأخرجنا منه آلة كثيرة للحرب، ومنجنيقاً، ودبابات وعدة، فنعلم أنهم قد كانوا يظنون أن الحصار يكون دهراً، فعجل الله خزيهم.

فحدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: لقد خرج من أطم من حصن الصعب بن معاذ من البز عشرون عكماً[1] محزومة من غليظ متاع

---

(١) العكم: ثوب يبسط، ويجعل فيه المتاع ويشد. تاج العروس ج٨ ص٤٠٤.

اليمن، وألف وخمس مائة قطيفة، يقال: قدم كل رجل بقطيفة على أهله، ووجدوا عشرة أحمال خشب، فأمر به فأخرج من الحصن ثم أحرق، فمكث أياماً يحترق، وخوابي سكر كسرت، وزقاق خمر فأهريقت.

وقالوا أيضاً: كان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل إلى حصن الصعب من حصون النطاة، ففتحه الله قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم. من بعد ما أقاموا على محاصرته يومين[1]».

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، هي التالية:

فرار المسلمين.. وثبات الحُباب:

١ ـ قد أظهر هذا النص: أن المسلمين قد فروا أمام اليهود، حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن هذه الهزيمة قد تكررت منهم.

وهذا أمر لا بد أن يزعج النبي «صلى الله عليه وآله» ويؤذيه، خصوصاً إذا كان هذا الفرار يشجع اليهود، ويزيدهم إصراراً على مواصلة الحرب، ويوجب تعرض المسلمين للمزيد من الأخطار، ويوقع في صفوفهم خسائر أكبر في الأرواح..

٢ ـ إن رواية الواقدي، زعمت: أن الحباب قد ثبت بالراية.

ولا ندري أين ثبت الحباب؟ ومتى؟

فإنه حامل الراية ـ إن صح أنه حاملها حقاً ـ فلا بد أن يكون في المقدمة.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩.

فهل انهزم عنه الناس، وبقي يقاتل وحده بين اليهود؟!..

أم أنه انهزم معهم، ثم لما وصل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثبت هناك؟!

فإن كان وحده، فلا بد أن نسأل ماذا جرى له مع اليهود؟ وكيف خرج سالماً من بينهم؟! وهل خرج خروج منهزم؟ أم خروج منتصر؟! وكيف؟ أم أنه بقي بينهم إلى حين انقضاء القتال، أو إلى حين معاودة المسلمين هجومهم؟! وكيف استطاع أن يحفظ نفسه منهم في هذه الحال؟

وأين كان عنه مرحب وسائر الأبطال اليهود في هذه المدة؟!

ولماذا لم يسجل التاريخ له هذه المفخرة العظيمة؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

٣ ـ إن ظاهر النص: أن المسلمين لم يرجعوا إلى القتال إلا بعد تطميعهم بالغنيمة، لأنه «صلى الله عليه وآله»: حضهم على الجهاد ورغبهم فيه، وأخبرهم أن الله قد وعده خيبر، يغنمه إياها..

٤ ـ ما معنى تخصيص فتيان أسلم وغفار بالمدح، وأن المتحدث قد رآهم فوق الحصن يكبرون؟! خصوصاً بعد أن ذكر: أن المسلمين صعدوا على جدر الحصن يكبرون، فكبروا تكبيراً كثيراً.

لماذا الإحراج؟:

إن ما فعلته قبيلة أسلم من شأنه أن يحرج رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل قد اقتضى الأمر: أن يظهر «صلى الله عليه وآله» للملأ ما لم تجر عادته على إظهاره، وهو أنه ليس بيده شيء يعطيهم إياه.

مع أن لهذا الإظهار سلبياته أيضاً، فإنه ربما يؤثر على سكينة ضعفاء

الناس وثباتهم، ويثير لديهم الكثير من الهواجس تجاه مصيرهم، وسيتمثل لهم الخطر الذي ينتظرهم أمام أعينهم.

وأما إذا بلغ ذلك إلى مسامع الأعداء، الذين يملكون الكثير من الطعام في حصونهم، فقد يزيدهم ذلك إصراراً على التحدي، ويدفعهم إلى التفكير في وسائل تسويف الوقت، انتظاراً لتأثير الجوع في ثبات عدوهم المحارب لهم، حتى يضطر إلى التخلي عن حصارهم، بحثاً عن لقمة تحفظ له خيط الحياة، وتمكنه من البقاء والنجاة.

أوسمة أسلم:

وقد تحدثت النصوص المتقدمة: أن أسلم هي التي عانت من الجوع، وأنها شكت ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدعا «صلى الله عليه وآله» لها، بعد أن أظهر الرقة والتعاطف معها، وقد تضمن دعاؤه أن يفتح الله عليهم أعظم حصن.

ثم ذكرت أم مطاع: أن أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب، وأن شمس ذلك اليوم لم تغب حتى فتح الله ذلك الحصن.

ونقول:

إن ما كانت تعاني منه قبيلة أسلم هو ما كان يعاني منه سائر المسلمين.. ولكن لعل أسلم تستحق كل هذه الأوسمة من هؤلاء، بل وأزيد منها، وأعظم وأفخم، لأنها هي التي ساعدت أبا بكر يوم السقيفة على نيل الخلافة، حيث جاءت إلى المدينة بقضها وقضيضها واحتلتها، واستخرجت كل معارض من بيته، وأتت به إلى المسجد ليبايع أبا بكر، تحت تهديد

السلاح، فراجع كتابنا: أفلا تذكرون، ومختصر مفيد.

الموقف الشائن:

وإن مطالبة قبيلة أسلم النبيَّ «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر؛ لها وجهان:

فإما أنهم يعلمون: أنه «صلى الله عليه وآله» يكابد ما يكابدون، ويعيش كما يعيشون، فلا يبقى لهذه المطالبة ما يبررها.

وإما أنهم كانوا يظنون برسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه يحتفظ بشيء من الطعام لنفسه، كان يتناوله في الخفاء، ويؤثر به نفسه عليهم، وهي تهمة شائنة، يعرف الناس كلهم بطلانها، وزيفها، وسوء سريرة من يأتي بها.. ولأجل ذلك اعترض عليهم رجل منهم، وهو: بريدة الأسلمي. ولامهم على فعلهم هذا.

ولعلنا **نرجح الاحتمال الأخير**، وهو: أن قبيلة أسلم كانت تظن برسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا، فإنها إحدى قبائل الأعراب التي كانت تحيط بالمدينة، ونزل القرآن ليخبر بوجود المنافقين في تلك القبائل.. ولا نريد أن نقول أكثر من هذا!!

اللواء للحباب بن المنذر:

هذا.. وقد ذكرت الفقرة السابقة أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعطى اللواء للحباب بن المنذر، بعد فتح حصن ناعم، وذلك حين مهاجمة حصن الصعب..

مع أننا نعلم: أن لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان مع علي

«عليه السلام» في جميع المشاهد، باستثناء تبوك..

وقد تقدمت النصوص الدالة على ذلك في واقعة أحد، فراجعها..

وما زعموه من أن علياً «عليه السلام» لم يحضر بداية حرب خيبر.. غير صحيح كما أظهرته النصوص حسبما أثبتناه في سياق حديثنا في وقائع هذه الغزوة..

الصعب أكثرها طعاماً:

زعمت الرواية المتقدمة: أن حصن الصعب كان أكثر حصون خيبر طعاماً، وأن الجوع قد أصاب أسلم، وسائر المسلمين، حتى فتح عليهم حصن الصعب، ولكننا في مقابل ذلك نرى:

ألف: أن عائشة تروي: أن حصن ناعم قد سد حاجتهم إلى الطعام، فلم تبق لديهم أية مشكلة، فقد قالت: ما شبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خبز الشعير والتمر، حتى فتحت دار بني قمة ـ وقالوا: إن المقصود: هو حصن ناعم[1].

ولا يعقل: أن يشبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويجوع من معه!!

كما لا يعقل: أن يكون المقصود: أنه شبع مرة واحدة ثم جاع.

ب: وأن اليهود كانوا موجودين في حصن ناعم بالمئات وكانوا قد أعدوا من الأطعمة ما يكفيهم في حصار المسلمين لهم مدة طويلة..

وبعد فرارهم وخروج الحصن من يدهم بقي ما كانوا قد أعدوه في

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ وراجع: معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٢ ص٥٢٣.

مكانه، ووقع في أيدي المسلمين..

بقي أن نشير إلى قولهم: إن اليهود جعلوا أموالهم في حصون الكتيبة[1].

لا يصح الاستدلال به هنا. إذ يجوز أن يكون المراد بأموالهم هو: خصوص النقود ونحوها، دون ما ذكرها هنا[2].

تسخين الماء في آنية اليهود:

وعن تسخين الماء في آنية اليهود، قبل استعمال المسلمين لها قال الحلبي: «حكمة تسخين الماء لا تخفى، وهي: أن الماء الحار أقوى في النظافة، وإخراج الدسومة، والله أعلم»[3].

ونضيف:

أن تدخل النبي الكريم في هذا الأمر يشير إلى: أن ثمة أمراً هاماً، يحتاج إلى معالجته، وإلا فقد كان من المناسب ترك هذا الأمر إلى سليقة الناس في تعاملهم مع أواني الآخرين.

ولكن الروايات عجزت عن التصريح بالأمر الذي دعاه «صلى الله عليه وآله» إلى هذا التدخل في هذه التفاصيل والجزئيات..

فهل السبب في ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخشى من كيد اليهود للمسلمين، بوضع سموم لا تزول بمجرد غسل الآنية بالماء؟..

أم أنه يريد أن يعرِّف الناس بمدى قذارة اليهود، وبُعدِهم عن فروض

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٦٤.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٤١.

النظافة، مهما كانت عادية وسطحية؟.

أو أنه يريد أن يتلافى دسومة كانت في تلك الأواني، هي بقايا أطعمة محرمة، يرى ضرورة تنزيه المسلمين عنها؟!..

أو أن الهدف هو تأكيد حالة الفصل بين المسلمين واليهود في تعاملهم مع بعضهم البعض، إذ ربما لم يكن المسلمون يتنزهون عن أي شيء من مستويات هذا التعامل، وحالاته، وكيفياته، في الوقت الذي كانت هناك حاجة إلى درجة من التحاشي عن هذا الاندماج المطلق بين الفريقين، وإيجاد مستوى من الإحساس بالفارق، وعدم الرضا بواقع اليهود، وبحالاتهم..

أعظم حصون خيبر:

وزعم حديث بني أسلم: أن حصن الصعب بن معاذ كان أعظم حصون خيبر..

مع أن النصوص تصرح: بأن حصن القموص كان أعظمها، وأنه كان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة، ثم فتحه الله تعالى على يد علي «عليه السلام»[1].

فلعلهم أرادوا بتهويل أمر حصن الصعب التفخيم والتعظيم للحُباب بن المنذر، ولبني أسلم وغفار، والتخفيف من وهج فتح حصن القموص، وقلع باب خيبر؟!

أم أنهم وقعوا تحت تأثير اسمه «الصعب» فاستنبطوا له هذه الصعوبة

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٤١ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤.

التي ميزته عن سائر الحصون..

أم أنهم أرادوا تبرير الهزيمة التي مني بها أولئك المتخاذلون، والتي حدثت أكثر من مرة حتى في هذا الحصن الذي لم يستحق سوى يومين من الحصار، ثم سقط أمام عزمة صادقة من عزمات أهل الإيمان .

قد يكون هذا الاحتمال الأخير هو الأوضح والأظهر، وقد يكون قد تناغم مع الاحتمال الأول حتى كان ما كان..

الإفتخار في الحرب:

وقد حكم الناس على عمارة بن عقبة الغفاري: بأنه قد بطل جهاده لمجرد قوله، حين ضرب هامة ذلك اليهودي:

خذها وأنا الغلام الغفاري ...

فصحح النبي «صلى الله عليه وآله» لهم هذا المفهوم الخاطئ، وحكم بأنه يؤجر ويحمد.

ونقول:

إن الافتخار في الحرب الموجب لإرعاب العدو، وهزيمته النفسية هو في حد ذاته جهاد يثاب الإنسان عليه. ويوجب الثناء والحمد لفاعله؛ لأنه يكون قد أسهم في كسر شوكة العدو، وإضعافه، وتمهيد السبيل إلى إلحاق الهزيمة التامة به..

كما أن إظهار القوة والعزة في قبال العدو، يمنح أهل الإيمان المزيد من الثبات، والثقة بالنصر، ويزيد في تصميمهم، وفي قوتهم، وعزيمتهم، فيجتمع على العدو ضعفان:

ضعف: نابع من داخل ذاته، من خلال الكبت والشعور بالخيبة.

وضعف آخر: ينشأ عن رؤية قوة المسلمين، وشدة اندفاعهم.

ويكون فيه للمسلمين قوتان:

إحداهما: نابعة من داخل ذاتهم.

والأخرى: تتبلور في ضعف عدوهم، وفي هزيمته الروحية.

حديث الشاتين، وقطيع الغنم:

ونحن لا نشك في كذب حديث قطيع الغنم، والاستيلاء على شاتين منه، وذلك لسبب بسيط، هو:

أولاً: إنه لا يعقل وجود قطيع الغنم هذا خارج الحصن، ثم لا يستولي عليه المسلمون، ليصبح من غنائمهم.

ثانياً: إذا كان أخذ المسلمين لذلك القطيع حلالاً، فلماذا لا يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» سرية قادرة على أخذ القطيع كله، أو جانب كبير منه. بل يكتفي بالأمر بأخذ شاة أو شاتين؟! وإن كان حراماً فكيف جاز له أخذ تينك الشاتين؟!

ثالثاً: إذا كان المقصود للنبي «صلى الله عليه وآله» هو: إطعام جيشه من ذلك القطيع، فلا تكفي ذلك الجيش الشاة والشاتان ولا العشرة..

وإن كان المقصود هو: أن يأكل النبي «صلى الله عليه وآله» ومن حوله من أهل بيته وخاصته، فذلك بعيد عن خلقه «صلى الله عليه وآله»..

ولأجل ذلك نقول:

لا يمكننا قبول ما ذكرته الرواية: من أن قسماً من المسلمين لم يستفيدوا

من لحم تينك الشاتين، وهم الذين كانوا في الرجيع. بل اقتصر الأمر على الذين كانوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موضعه الذي كان فيه..

رابعاً: قد صرحت الرواية نفسها: بأن المسلمين كانوا يحاصرون ذلك الحصن، وأنه كان قد مضى على حصارهم له ثلاثة أيام، فأين كان ذلك القطيع في تلك الأيام الثلاثة؟! ولماذا لم يره المسلمون، قبل أن يبادر إلى دخول الحصن؟! وأين كان المسلمون حين اقتربت الغنم من باب الحصن المفتوح، هل كانوا يحاصرونه؟ أم أنهم تركوه وابتعدوا عنه؟ ومن أين أقبلت غنم ذلك الرجل اليهودي؟!

وكيف يجرؤ أهل هذا الحصن المحاصر بالرجال على فتح أبواب حصنهم، وإخراج غنمهم منه، أو إدخالها إليه؟!.. وكيف؟! وكيف؟!..

الحُباب بن المنذر في الواجهة:

ويلاحظ هنا: أن الروايات قد اختارت الحباب بن المنذر ليكون هو المتصدر لواجهة الأحداث في حصن الصعب بن معاذ، وله نصيب أيضاً من ذلك في غيره.. ولكن لم يظهر لعلي «عليه السلام»، ولا لأبي دجانة، ولا للمقداد، ولا حتى للزبير، أو محمد بن مسلمة. وعشرات الفرسان الآخرين، لم يظهر لأحد منهم في هذا الحصن، مع أن محمود بن مسلمة كان قد قتل قبل ذلك في حصن ناعم، فلماذا لا يتحرك أخوه محمد في كل الحصون التي حوصرت عشرات الأيام حتى فتحت؟!..

ولماذا لم يطالب بالأخذ بثارات أخيه فيها، بل صبر إلى حصن القموص ليقتل مرحباً هناك بأخيه كما يزعمون؟!

ولماذا لم يلاحق مرحباً في حصن الصعب، أو النزار، أو حصون الشق أو غير ذلك؟!..

فأين كان هذا الرجل؟ وأين كان هؤلاء في هذا الحصار الذي استمر أياماً لحصن حصين فيه خمس مائة مقاتل، ولم يكن بخيبر حصن أكثر طعاماً، وماشية، ومتاعاً منه الخ.. كما زعموا؟!

ولماذا غابوا جميعاً عن الواجهة، وخبا وهجهم، وأفل نجمهم؟!..

فهل للحباب شأن في موضوع بعينه، يراد التسويق له؟!..

ابن مسلمة يقول: تبسم إليّ ﷺ:

وفي حديث رمي النبي «صلى الله عليه وآله» بسهم صائب في هذا الحصن، يقول محمد بن مسلمة: «وتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليّ».

ونحن لم نستطع أن نفهم سبب تبسمه «صلى الله عليه وآله» لخصوص محمد بن مسلمة، تاركاً حوالي ألف وخمس مائة مقاتل محروماً من نعمة هذه البسمة، ومن الإيحاء بمعانيها ومراميها، من دون سبب ظاهر؟!

فهل أُعْجِبَ ـ والعياذ بالله ـ النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه، حين أصاب ذلك الرجل، وظهر أنه يجيد الرمي، وأراد أن ينال إعجاب خصوص محمد بن مسلمة.. إن القول بهذا يتجاوز حدود إساءة الأدب ليكون إنكاراً لعصمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

أم أن لابن مسلمة خصوصية لديه «صلى الله عليه وآله» لم تكن لأحد سواه حتى لعلي «عليه السلام»، فضلاً عن غيره من أصحابه؟!

وهذا أمر ينكره ولا يعترف لابن مسلمة به أحد حتى محبوه، والمهتمون بشأنه، والساعون لتخصيصه بالكرامات والفضائل..

الإهتمام بالطعام والغنيمة:

والنصوص المتقدمة، وبعض النصوص الأخرى، قد أظهرت: أن ثمة اهتماماً خاصاً بالطعام والمال، وبالغنيمة، والغنم، بما في ذلك: السمن، والعسل، والسكر، والزيت، والشعير، والتمر، والودك، والشحم، والماشية، والمتاع..

وهي أيضاً تتحدث عن جوع، وشكوى، ودعاء، وابتهال..

فهل ذلك يعبر عن واقع المسلمين؟! أو هل هذا كان كل همهم، وغاية قصدهم؟!

مدة الحصار:

وقد صرحت النصوص أيضاً: بأمور متناقضة، فيما يرتبط بمدة الحصار لحصن الصعب.

فهي تارة تقول: إن الحصار دام أياماً، هي أكثر من ثلاثة أيام، بلا شك؛ لأن الاستيلاء على الشاتين كان بعد ثلاثة أيام من الحصار، ولا ندري كم دام الحصار بعدها؟!

وتارة تقول ـ كما يظهر من حديث أم مطاع ـ: إنهم فتحوه في يوم واحد..

ولكن نصاً آخر يقول: إن الحصار دام يومين فقط، فأي ذلك هو الصحيح؟

وألا يشير هذا إلى: أن ثمة تعمداً للاختلاق والكذب في هذا الأمر بالذات؟!

حصن قلة الزبير:

كان حصن قلعة الزبير في رأس قلعة أو قلَّة، لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال، فلما تحولت يهود من حصن ناعم، وحصن الصعب بن معاذ إلى قلَّة (أو قلعة) الزبير حاصرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه.

فأقام «صلى الله عليه وآله» محاصرهم ثلاثة أيام، فجاء يهودي يدعى غزال فقال: يا أبا القاسم، تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك؟

فأمنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهله وماله.

فقال اليهودي: إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، لهم دبول(١) تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون منها، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإن قطعت عنهم شربهم أصحروا لك.

فسار رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى دبولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال(٢).

وقتل من المسلمين يومئذٍ نفر، وأصيب من اليهود في ذلك اليوم عشرة، وافتتحه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان هذا آخر حصون النطاة.

---

(١) الدبول: الجدول (القاموس المحيط ج٣ ص٣٧٣).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٢ و ١٢٣ وفي هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج٤ ص١٢٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٦ و ٦٦٧. وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٤٠.

قيل: سمي هذا الحصن بحصن قلَّة الزبير، لأنه صار في سهم الزبير بن العوام بعد ذلك[1].

ونقول:

أولاً: إن إطلاق هذا الاسم على هذا الحصن لا يعقل أن يكون لأجل ما ذكروه، وذلك لما يلي:

ألف: لا شك في أنه قد كان لهذا الحصن اسم يتداوله أهل تلك البلاد أنفسهم، وذلك قبل أن يأتي النبي «صلى الله عليه وآله» إليه، فما هو هذا الاسم.

فإذا ظهر: أنهم كانوا يطلقون عليه نفس هذه التسمية، فذلك يدل على: أنه كان قد سمي باسم زبير آخر، ممن كان على دينهم، ومن الشخصيات المرموقة فيهم مثل الزبير بن باطا، أو غيره.

ب: إن من غير المعقول، ولا المقبول: أن يعطي «صلى الله عليه وآله» حصناً بأكمله إلى رجل واحد هو الزبير بن العوام..

ولماذا يعطي الزبير هذا العطاء الكبير، وهو لم يكن له ذلك الأثر العظيم في تلك الحرب..

ج: يضاف إلى ذلك: أن أراضي خيبر لم تقسم على المسلمين ليكون للزبير سهم بهذا الحجم بل أبقاها النبي «صلى الله عليه وآله» بيد اليهود، يعملون فيها على النصف من ثمارها.. وإنما أخرجهم منها عمر بن الخطاب كما سيأتي بيانه.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٦٠.

د: إنه إذا أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعطي أحداً شيئاً فإنه لا يعطيه حصناً أو قلعة ـ كما ورد في بعض التعابير ـ بل يعطيه أرضاً زراعية، يستطيع أن يستغلها، أو بستاناً يستفيد من ثمار أشجاره

ثانياً: إن هذا اليهودي قد بادر من عند نفسه ـ كما تقول الرواية ـ إلى إخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر خطير، من شأنه أن يسقط الحصن بأكمله في أيدي المسلمين، ويمكنهم من إلحاق هزيمة منكرة بمن هم على دينه، لا لشيء، بل لمجرد إعطائه الأمان على نفسه، وأهله وماله!!

غير أننا نلاحظ:

أن النصوص لا تصرح بما جرى لهذا اليهودي المخبر، فهل أخذ أسيراً، فخاف من القتل، فأقر بما أقر به؟!

أم أنه جاء باختياره متطوعاً بإخبار النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر الخطير؟! الذي يوجب حلول البلاء بمن هم على دينه؟!

ربما يقال: إن ظاهر النص هو هذا الأمر الثاني؛ لأنه قال: فجاء يهودي يدعى نزال، فقال: يا أبا القاسم الخ..

وعلى فرض صحة هذه الرواية ـ ونحن نشك في صحتها ـ فإن هذا يشير إلى: أن هؤلاء الناس لا يعيشون همَّ الدين، ولا يلتزمون بالمبادئ والقيم، بل ولا بالعادات والتقاليد، وإنما همتهم هي في حفظ أنفسهم وامتيازاتهم، حتى إنهم إذا قاتلوا فليس ذلك رغبة منهم في جنة، أو خوفاً من عقوبة الله تعالى لهم على تقصيرهم، وإنما من أجل الدنيا، أو استجابة لنزوات الميول والأهواء، أو لجاجاً، أو عناداً، بداعي الحقد والضغينة، أو لأن الشيطان يزين لهم أنهم ظاهرون ومنتصرون، أو سعياً لاكتساب ثناء لا

يدوم، أو مجد موهوم.. أو نحو ذلك.

بطولات موهومة:

وفي صورة تشبه الصورة التي سبقت، يذكر بعضهم: أنه «صلى الله عليه وآله» مكث سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة، يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال، ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان، فإذا أمسى رجع «صلى الله عليه وآله» إلى ذلك المحل. ومن جرح من المسلمين يحمل إلى ذلك المحل ليداوي جرحه. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين.

ونادى يهودي من أهل النطاة بعد ليل: أنا آمن وأبلغكم.

قالوا: نعم.

فدخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدله على عورة ليهود.

فدعا أصحابه وحضهم على الجهاد، فظفره الله تعالى بهم الخ..

وفي نص آخر: كان «صلى الله عليه وآله» يناوب بين أصحابه في حراسة الليل، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل «صلى الله عليه وآله» عمر، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر، وفرقهم، فأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل، فأمر عمر أن يضرب عنقه.

فقال: اذهب بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه، وانتهى به إلى باب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجده يصلي، فسمع «صلى الله عليه وآله» كلام عمر، فسلم وأدخله عليه، فدخل اليهودي، فقال «صلى الله عليه وآله» لليهودي: ما وراءك؟

فقال: تؤمنني يا أبا القاسم؟!

فقال: نعم.

فقال: خرجت من حصن النطاة، من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة.

قال: فأين يذهبون؟

قال: إلى الشق، يجعلون فيه ذراريهم، ويتهيأون للقتال.

وفي هذا الحصن الذي هو الحصن الصعب من حصون النطاة، في بيت فيه تحت الأرض، منجنيق، ودبابات، ودروع، وسيوف، فإذا دخلت الحصن غداً، وأنت تدخله.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن شاء الله.

قال اليهودي: إن شاء الله ـ أوقفتك عليه، فإنه لا يعرفه غيري. وأخرى..

قيل: ما هي؟

قال: يستخرج المنجنيق، وينصب على الشق (والمراد هو: حصن البريء)، ويدخل الرجال تحت الدبابات، فيحفروا الحصن، فتحته من يومك. وكذلك تفعل بحصون الكتيبة.

ثم قال: يا أبا القاسم، احقن دمي.

قال: أنت آمن.

قال: ولي زوجة فهبها لي.

قال: هي لك. ثم دعاه «صلى الله عليه وآله» إلى الإسلام.

فقال: انظرني أياماً.

ثم قال «صلى الله عليه وآله» لمحمد بن مسلمة: لأعطين الراية إلى رجل

يحبه الله ورسوله، ويحبانه.

وفي لفظ: قال «صلى الله عليه وآله»: لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله، لا يولي الدبر، يفتح الله عز وجل على يده، فيمكنه الله من قاتل أخيك الخ..»[1].

ونقول:

إن في هذه الرواية أموراً عديدة، لا بد من التوقف عندها، وهي:

نصب المنجنيق:

إن هذه الرواية ذكرت: أن المنجنيق قد نصب على حصن البريء من حصون الشق.. أو على حصن النزار[2].

مع أنهم يقولون: لم ينصب المنجنيق إلا في غزوة الطائف[3].

والغريب في الأمر: أن الحلبي يقول في وجه الجمع: إنه يجوز أن يكون قد نصب ولم يرم به هنا، ونصب ورمي به هناك[4].

لقد قال الحلبي هذا، مع أن التعبير الذي أورده هو نفسه يقول: لم ينصب المنجنيق إلا في غزوة الطائف، ولم يقل: لم يرم بالمنجنيق.. وما ذلك

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ و ٣٥ وراجع ص٤١ والإمتاع ص٣١٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٥ و ٦٤٧ و ٦٤٨ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٩٩.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٤١.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص٤١.

إلا لأن المفهوم من التعبير بنصب المنجنيق هو الرمي به.

والأولى أن يقال: إن الإشكال غير وارد من الأساس.

فإن الرواية لم تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» قد نصب ذلك المنجنيق، ورمى به.

بل قالت: إن ذلك اليهودي قد افترض أو اقترح ذلك، فبذلك ينحل الإشكال المتعلق بالمنجنيق.

يضاف إلى ما تقدم: أن هذه الرواية تدل على: أن أول حصن بدأ به من حصون الشق هو حصن البريء.

مع أنه سيأتي في فقرة «حصون الشق»: أن أول حصن بدأ به هو أبي. وبالتحديد بقلعة سموان.

ذراري اليهود لم تكن في حصن الشق:

ويفهم من الرواية السابقة: أن ذراري اليهود كانوا معهم في حصن النطاة، وأنهم نقلوهم بعد أن أرهقهم الحصار إلى حصن الشق[1].

ونقول:

أولاً: قد صرحوا: بأن الذراري لم يكونوا في حصن النطاة، بل كان فيه المقاتلون فقط.

ثانياً: إن هؤلاء الذراري لم يجعلوا في حصن الشق، بل كانوا في حصن الكتيبة كما هو معلوم، وقد جعلوهم ـ حسب تصريحهم ـ فيه قبل حصار

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٨.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم..

إلا أن يكون المقصود: هو بعض الذراري، الذين كانوا معهم يساعدونهم في إعداد الطعام والشراب للمقاتلين، أو للقيام على جرحاهم، أو نحو ذلك..

ابن مسلمة تارة، والحباب أخرى:

لقد ركزت الرواية المتقدمة على محمد بن مسلمة، وجعلته محور التحركات النبوية في حصون النطاة..

فهي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال، ويرجع في المساء.. فهل كانت قيادة الجيش الإسلامي قد أنيطت بابن مسلمة؟! فإن كان الأمر كذلك، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ ويقول: إن محمد بن مسلمة كان صاحب لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خيبر؟!

أما أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يأخذه لأجل القتال فقط، لا بعنوان قيادة، ولا غير ذلك؟

فالسؤال هو: إن المشاركين في القتال كثيرون، فلماذا خص الرواة ابن مسلمة بالذكر من بين ألف وخمس مائة مقاتل؟!..

ولماذا لم يذكروا علياً «عليه السلام»، أو أبا دجانة، أو المقداد، أو غير هؤلاء أيضاً؟!

أم يعقل أن يكون هؤلاء قد أصبحوا متخاذلين؟! وغير ذوي أثر، وأن ابن مسلمة أصبح أكثر نشاطاً وحركة منهم؟

هذا.. واللافت: أن الحباب بن المنذر قد غاب هنا أيضاً، ولم يكن له

نصيب يذكر، رغم أنه قد أعطي دوراً كبيراً في موقع آخر..

واللافت أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم ير محمد بن مسلمة أهلاً لأن يقتل قاتل أخيه، كما صرحت به هذه الرواية، فوعده بأن يعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبانه، يمكنه الله من قاتل أخيه (أي أخي محمد بن مسلمة)، فلماذا لا يمكّن الله محمد بن مسلمة نفسه من أن يقتل قاتل أخيه؟!

وإذا كان محمد بن مسلمة هذا لم يستطع أن يقتل قاتل أخيه، حتى احتاج إلى علي «عليه السلام» ليقوم بهذه المهمة.. فكيف كان يختاره النبي «صلى الله عليه وآله» ليذهب معه للقتال؟! وما هو نوع ومستوى القتال الذي كان يذهب به إليه؟!

بل سيأتي: أن محمد بن مسلمة نفسه قد انزعج من قتل علي «عليه السلام» لأخيه مرحب اليهودي، وحقد على أمير المؤمنين «عليه السلام» بسبب ذلك، واعتبر ذلك ذنباً له «عليه الصلاة والسلام».

موقع عثمان هو الأنسب:

ولعل أنسب ما في هذه الرواية إعطاء عثمان بن عفان مهمة حراسة منازل النساء، وأثقال العسكر، وهو الموضع الذي يحمل إليه المجروحون للتداوي.. لأنه أكثر المواضع أمناً، وأبعدها عن الخطر.

وقد كان عثمان ـ فيما يبدو ـ بحاجة إلى هذا الأمن، فقد أظهر ما جرى له في واقعة أحد: أنه لا يقدر على مواجهة الأهوال، أو ملاقاة الرجال. حيث إن فزعته ـ الشهيرة ـ في أحد جعلته يهرب في الهضاب والشعاب، ولا

يعود إلا بعد ثلاثة أيام، حتى قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: لقد ذهبت بها عريضة[١].

عمر يأمر بضرب عنق شخص:

وقد صرحت الرواية المتقدمة أيضاً: بأن عمر بن الخطاب حين مناوبته في حراسة العسكر قد أتي بيهودي، فأمر بضرب عنقه..

وسؤالنا هو:

أولاً: لماذا يأمر غيره بضرب عنق ذلك اليهودي، ولا يبادر هو إلى ذلك؟! أم أنه يريد أن يجد من يشاركه في هذا الفعل، ليكون اللوم عليه

---

(١) راجع: تفسير المنار ج٤ ص١٩١ والجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٤٤ وفتح القدير ج١ ص٣٩٢ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤١٤ وتفسير التبيان ج٣ ص٢٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٠٣ والإرشاد للشيخ المفيد ص٥٠ والبحار ج٢٠ ص٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٢١ عن الواقدي، لكن مغازي الواقدي المطبوع لم يصرح بالأسماء بل كنّى عنها في ج١ ص٢٧٧ إلا أنه في الهامش قال: في نسخة (عمر وعثمان) والكامل لابن الأثير ج٢ ص١٥٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٥ والدر المنثور ج٢ ص٨٨ و ٨٩ عن ابن جرير وابن المنذر، وابن إسحاق. وراجع: سيرة ابن إسحاق ص٣٣٢ وجامع البيان ج٤ ص٩٦ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٤ ص١١٣ والتفسير الكبير للرازي ج٩ ص٥٠ و ٥١ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٢٦. وراجع عن فراره يوم أحد وتخلفه يوم بدر: محاضرات الراغب ج٣ ص١٨٤ ومسند أحمد ج٢ ص١٠١ وج١ ص٦٨ والصراط المستقيم للبياضي ج١ ص٩١.

أخف؟! أو أنه لا يجرؤ على قتل أحد بنفسه؟!

ثانياً: كيف يجوز أن يأمر بضرب عنق ذلك اليهودي من دون استجازة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! بل حتى من دون أن يعلمه بأمره؟!

وهل للحارس أن يتولى ضرب أعناق الناس الذين يجدهم في نوبة حراسته؟! من دون مراجعة؟!

وكيف لا يُرْجِع أمره إلى النبي «صلى الله عليه وآله»؟! فلعل له فيه رأياً آخر وسياسة أخرى.

وهذا العمل هل يتوافق مع قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾؟![1].

ثالثاً: كيف يأمر بضرب عنق الرجل قبل استجوابه، ومعرفة نواياه، والذي جاء به، وما يحمل من معلومات تفيد المسلمين في حربهم؟! فلعل الأمور كانت تسير في غير الاتجاه الذي ظنه..

رابعاً: إن رواية الواقدي تقول: إن الذي أخذ ذلك العين هو عباد بن بشر، وليس عمر بن الخطاب، فجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر.

فتدخل عمر وقال: اضرب عنقه.

قال عباد: جعلت له الأمان الخ..[2].

---

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤١.

وفي جميع الأحوال نقول:

لا ندري لماذا يتدخل عمر، ويصدر الأوامر بهذه الطريقة، فلو أنهم أطاعوه في أوامر كهذه، فهل سيرضي ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

يضاف إلى ذلك: أننا قد ذكرنا في أواخر غزوة أحد: أن عمر كان يطلب ضرب عنق هذا وذاك في موارد ومناسبات مختلفة، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرفض ذلك. كما أنه قد طلب من عدد من الصحابة أن يبادروا إلى قتل بعض الناس، وكانوا يرفضون قبول ذلك منه، كما كان الحال بالنسبة لأبي جندل، الذي كان يحثه عمر، على قتل أبيه في الحديبية. فرفض أبو جندل ذلك.

فلماذا يصر عمر على مثل هذا الأمر في المواضع المختلفة؟!

ولماذا لا يبادر هو إلى قتل هذا وذاك ممن يصدر الأوامر لغيره بقتلهم؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

لا يعرف المنجنيق إلا هذا اليهودي:

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أنه كان في حصن الصعب موضع فيه منجنيق، ودبابات، ودروع، وسيوف. وأنه لا يعرف ذلك الموضع إلا ذلك اليهودي الأسير.

ونقول:

إن كان ذلك اليهودي هو الذي وضع تلك الأسلحة في ذلك الموضع، دون علم أحد، لأن اليهود كلفوه بذلك أو لأن تلك الأسلحة كانت ملكاً خاصاً به، فمن الطبيعي أن لا يعرفها أحد سواه..

وأما إذا كانت هذه الأسلحة قد هيأها أهل الحصن للدفاع بها عن حصنهم، فاللازم هو: أن يعرف زعماء اليهود، والقيمون على أمر الحرب بالموضع الذي وضعت فيه، ليستفيدوا منها حين تعرض الحاجة، إذ لا يعقل أن يكونوا قد نسوا هذه الأسلحة، أو نسوا موضعها..

وفي جميع الأحوال نقول:

لم يكن هذا اليهودي هو الزعيم الأوحد لليهود كلهم، ولا ملَّكوه أسرار حصونهم، ولم يجعلوا أسلحتهم تحت سلطته، ليتولى هو تغييبها عنهم وعن غيرهم.

لماذا خص النبي ﷺ ابن مسلمة بخطابه؟!

وقد ذكرت الرواية المتقدمة أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله»، قال لمحمد بن مسلمة: لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبانه.

غير أننا نقول:

أولاً: لا بد أن نسأل من جديد: لماذا يتم توجيه الخطاب لمحمد بن مسلمة دون سواه؟! فهل هو بهدف التعريض به لأنه كان قد فرَّ في تلك الأيام السبعة، التي كان النبي «صلى الله عليه وآله» يخرجه فيها إلى القتال.. حتى صح أن يطلق عليه اسم فرَّار؟!

ولماذا وعده بأن يمكنه الله تعالى من قاتل أخيه، مع أن ابن مسلمة نفسه لم يتمكن من ذلك طيلة تلك المدة، وما بعدها وإلى آخر أيام حرب خيبر.. حيث إن علياً «عليه السلام» هو الذي تمكن من ذلك القاتل، وليس ابن مسلمة..

ولماذا يهتم النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل قاتل أخي ابن مسلمة، ولا يذكر من عداه من الشهداء؟! ولا يعلن أنه يريد من علي «عليه السلام» قتل الذين قتلوهم؟!.. فهل لأن قاتله هو مرحب لعنه الله، وهو رأس الحربة لليهود، وأعظم فرسانهم، فإذا قتل مرحب، تقع الهزيمة بهم، ويحل الفشل والرعب فيهم؟!.. ويكون لذلك النصر العظيم نوع ارتباط ببني مسلمة ويكون ذلك بمثابة مكافأة لهم على خدماتهم للخليفة الثاني، من خلال محمد بن مسلمة بالذات حسبما أشرنا إليه في جزء سابق.

ثانياً: إن هذا القول: «لأعطين الراية غداً رجلاً الخ..» إنما كان بعد فتح حصون النطاة والشق كلها، وبعد وصوله «صلى الله عليه وآله» إلى حصن القموص ـ وهو أعظم حصون خيبر ـ وهو من حصون الكتيبة وهو آخر حصن فتح في خيبر كلها، أو قبل آخرها..

إسهامات عمر في فتح خيبر:

وهل يمكن أن نفهم من هذه الرواية، التي جعلت أسر اليهودي في نوبة حراسة عمر: أنهم أرادوا أن يجعلوا لعمر بن الخطاب سهماً كبيراً في فتح خيبر؟! بهدف تقليص الفارق بينه وبين علي أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي قتل مرحباً، وفتح الله تعالى خيبر على يديه، واقتلع باب الحصن، واتخذه ترساً. رغم عجز عشرات الأشخاص من حمله، أو عن إعادته إلى موضعه؟!

فإذا أُخِذَ رجل في نوبة حراسة عمر، وأدلى ذلك الرجل بمعلومات تؤدي إلى فتح أحد حصون خيبر، فلربما يفيد ذلك في إعادة رذاذٍ من ماء

الوجه الذي أريق في فرار عمر المتعاقب وكذلك فرار أبي بكر، وغيرهما. حتى صح أن تستعمل في حقهما صيغة المبالغة وهي كلمة: «فرَّار» (أي كثير الفرار) في مقابل «الكرَّار» (أي كثير الكر). وهو علي «عليه السلام» دون سواه..

قتل مرحب في القموص لا في الصعب:

وقد فهم من الرواية المتقدمة: أن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله الخ..» كان في حصون النطاة، وبالذات في الحصن الصعب، مما يعني: أن فرار عمر وأبي بكر، وغيرهما، وانهزامهم، وهم يجبِّنون أصحابهم ويجبِّنهم أصحابهم، قد كان في هذا الحصن بالذات.

مع أن كلمة المؤرخين متفقة والنصوص متضافرة، والروايات متواترة في أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن ناعم، وأن فرار عمر وأبي بكر ومبارزة مرحب وقتله على يد علي «عليه السلام»، ثم قلع باب الحصن، إنما كان في حصن القموص. وذلك بعد فتح حصون النطاة، وحصون الشق كلها، بل إن القموص آخر حصون خيبر فتحاً، أو قبل آخرها.

إلا أن يقال: إن مراد الرواية هو وصف الحصن بأنه صعب ولذلك أدخل الألف واللام على كلمة الحصن، وليس المراد الحصن المسمى بحصن الصعب بن معاذ.

وهذا يبقى مجرد احتمال، ولكنه احتمال ليس بالقوي.

حصون الشق:

قد ذكر الصالحي الشامي تبعاً لغيره:

أنه لما فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» من النطاة تحول إلى الشق.

وقد روى البيهقي، عن محمد بن عمر، عن شيوخه، قالوا: لما تحول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الشق، وبه حصون ذوات عدد، كان أول حصن بدأ به حصن أبي، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قلعة يقال لها: سموان، فقاتل عليها أهل الحصن، قتالاً شديداً.

وخرج رجل من يهود يقال له: غزول، فدعا إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاقتتلا، فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غزول، فبادر راجعاً منهزماً إلى الحصن، فتبعه الحباب، فقطع عرقوبه، فوقع فذفف عليه.

فخرج آخر، فصاح: من يبارز؟

فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فَقُتِل الجحشي.

وقام مكانه يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دجانة، وقد عصب رأسه بعصابته الحمراء، فوق المغفر، يختال في مشيته، فبدره أبو دجانة فضربه، فقطع رجله، ثم ذفف عليه، وأخذ سلبه، درعه وسيفه، فجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنفله رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك.

وأحجم اليهود عن البراز، فكبر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو دجانة، فوجدوا فيه: أثاثاً، ومتاعاً، وغنماً، وطعاماً.

وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحموا الجدر، كأنهم الظباء، حتى صاروا إلى حصن النزار بالشق.

وجعل يأتي من بقي من فلّ النطاة إلى حصن النزال ـ وفي الحلبية: يقال له: حصن البريء، وهو الحصن الثاني من حصني الشق ـ فغلقوه، وامتنعوا فيه أشد الامتناع.

وزحف رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم في أصحابه، فقاتلهم، فكانوا أشد أهل الشق رمياً للمسلمين بالنبل والحجارة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» معهم، حتى أصابت النبل ثياب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلقت به.

فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» النبل فجمعها، ثم أخذ لهم كفاً من حصى، فحصب به حصنهم، فرجف الحصن بهم، ثم ساخ في الأرض، حتى جاء المسلمون، فأخذوا أهله أخذاً[1].

ونقول:

إننا نشير إلى ما يلي:

١ ـ لا ندري إلى أي حد كان أولئك الذين يطلبون البراز بين الصفين مغرورين بأنفسهم، وواثقين بقوتهم!! خصوصاً إذا كنا مقتنعين، بأن الدافع الديني لم يكن هو المؤثر في اندفاعهم إلى الحرب، ولا في اتخاذ القرار بشأنها.

ولعلنا نستطيع أن نؤكد: أن حب الدنيا، وحب الشهرة فيها، جعلهم عاجزين عن تقييم الأمور بصورة منصفة وموضوعية، وسد عليهم باب التعقل، والتدبر، والإنصاف، حتى لأنفسهم، فكيف ينصفون غيرهم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٢٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٦٧ و ٦٦٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٤٠.

إن من يريد أن ينال بقتل الناس مجداً وشهرة، وأن يتلذذ بهذا المجد وبتلك الشهرة لا يملك أدنى حد من الشعور والوجدان الإنساني..

وغني عن البيان: أن صدود هؤلاء عن قبول الحق بعد وضوحه لهم يثبت بصورة قاطعة: أن أحداً لا يطلب الجنة بقتاله، ولا يسعى لتنفيذ أمر إلهي يخشى العقوبة على مخالفته..

٢ ـ وتعود الروايات المتقدمة للحديث عن الحباب بن المنذر من جديد، لتجعل له حصة في فتح هذا الحصن أيضاً، وقد قدمنا عن قريب بعض ما يفيد في تلمُّس الإشارات التي تعطي الانطباع عن حقيقة دوافع هؤلاء لنسبة مواقف وإنجازات لأناس لا يستحقونها في أنفسهم، وإنما تأتي على شكل مكافآت لهم على مواقف اتخذوها، أو نهج اتبعوه، أو أيدوه..

٣ ـ وعن تبختر أبي دجانة نقول: قد مر الحديث عن تبختر علي «عليه السلام» في غزوة الخندق، حينما قتل عمرو بن عبد ود، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعلن لكل الناس حينئذٍ: أنها مشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع، الذي يطلب فيه إرهاب العدو، وإضعاف شوكته، والحد من ميله للحرب، فإن ذلك يفيد في حفظ أرواح المسلمين، ودفع ويلات الحرب عنهم، فلعل الله سبحانه يقبل بقلوب هؤلاء الجاحدين، أو بقلوب من يلوذ بهم إلى الإسلام والإيمان، فيما لو أدركوا رعايته تعالى لمسيرة الإيمان، حيث يجد اليأس سبيله إلى قلوبهم من أن يستطيع باطلهم أن يتماسك أمام سطوة الحق وأهله..

٤ ـ والغريب هنا: أن الرواية المتقدمة: تذكر أنهم حين اقتحموا الحصن كان أبو دجانة يقدمهم، ولا ندري أيضاً أين كان أسد الله وأسد رسوله

الغالب، الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، الذي هو صاحب لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كل مشهد؟!

إذ يبدو لنا: أن هؤلاء قد انتهزوا فرصة الإشاعة الباطلة عن أنه «عليه السلام» كان مبتلى بالرمد، وأن التحاقه بالنبي «صلى الله عليه وآله» في خيبر قد تأخر إلى أيام حصن القموص، ونسوا: أن ذلك قد ثبت بطلانه، وزيفه.

حيث سيأتي إثبات رمد عينيه «عليه السلام» إنما اتفق له في آخر أيام حصار حصن القموص، حيث قتل مرحب..

وسيأتي: أنه لو صح ذلك لم يكن «عليه السلام» هو صاحب لوائه «صلى الله عليه وآله» في خيبر وفي كل مشهد..

ويضاف إلى ذلك: أنه إذا كان حصاره «صلى الله عليه وآله» لحصن القموص الذي قتل علي «عليه السلام» فيه مرحباً قد دام عشرين ليلة، فإن رمد عيني علي «عليه السلام» لم يستمر كل هذه المدة الطويلة..

وسيأتي توضيح ذلك إن شاء الله..

وعلينا ألَّا ننسى أن رمد علي «عليه السلام»، قد كان من ألطاف الله تعالى، فإنه تعالى قد صنع له ذلك، لكي يفرَّ أولئك الناس مرة بعد أخرى، ويظهر للناس من هو الفرَّار، ومن هو الكرّار..

٥ ـ وأما بالنسبة لارتجاف الحصن، وأنه ساخ في الأرض لما حصبه النبي «صلى الله عليه وآله»، بكفٍ من حصى. فهي إذا ثبتت تكون معجزة عظيمة للنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

وقد كان المفروض باليهود بعد حصول هذا الأمر العظيم: أن يستسلموا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن يؤمنوا به.

إذ لا يعقل: أن يستمروا على العناد والجحود، وهم يرون هذا العذاب الأليم يحيق بإخوانهم الذين كانوا في ذلك الحصن.

٦ ـ إنه إذا صحت هذه الحادثة فلا بد أن يزيد يقين أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتتأكد صلابتهم في مواجهة أعداء الله تعالى، فلا يفرون في تلك الحرب مرة بعد أخرى، حتى وصفهم «صلى الله عليه وآله» بأنهم فرّارون..

٧ ـ لا ندري الحكمة في جمع النبي «صلى الله عليه وآله» للنبال التي رماهم اليهود بها.. ونحن نرتاب أيضاً في صحة الرواية التي ذكرت ذلك.

ماذا عن فتح حصن النزار؟!

وقد رووا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظر إلى حصن النزار، فقال: هذا آخر حصون خيبر كان فيه قتال..

فلما فتحنا هذا الحصن لم يكن بعده قتال، حتى خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خيبر.

ونقول:

لا شك: في أن علياً «عليه السلام» قد قتل مرحباً وياسراً في حصن القموص، وهو من حصون الكتيبة، وإنما انتقل إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد فراغه من حصون النطاة والشق.

فما معنى قولهم: إنه لم يحصل قتال بعد حصن النزار؟! لا سيما وأن أبا بكر وعمر، وسواهما قد أخذوا الراية في حصن القموص، ورجعوا ولم يكن فتح ـ كما تصرح به الروايات ـ.

ويمكن أن يجاب: بأن المقصود: أن أبا بكر وعمر وسواهما، وإن أخذوا الراية والجيش، وتوجهوا نحو الحصن، ولكنهم بمجرد أن رأوا مرحباً واليهود فروا خوفاً ورعباً، وصاروا يجبِّنون أصحابهم، ويجبِّنهم أصحابهم..

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل المسلمين مع علي «عليه السلام»، فهربوا عنه، وتركوه وحده، فقتل مرحباً، وسائر الفرسان، ولم يكن قتال إلا ذلك..

وهذا يوجب الشك: في أن يكون الزبير أو محمد بن مسلمة قد قتل أحداً من الفرسان أيضاً..

ولأجل ذلك: صرحت الروايات والنصوص: بأن فتح حصون الكتيبة قد كان بيد علي «عليه السلام» وحده. ولا صحة لما زعموه: من حرب وقتال لأحد سواه «عليه السلام».

ولعل هذا يفسر لنا أيضاً ما سيأتي: من أن الكتيبة والوطيح وسلالم كانت لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. بالإضافة إلى فدك..

صفية في حصن النزار:

وقد ذكروا هنا أيضاً: أن صفية بنت حيي، وابنة عمها قد أخذتا من حصن النزار، وذلك لأن اليهود أخرجوا النساء والذرية إلى الكتيبة، وفرغوا حصن النطاة للمقاتلة.

ولكن كنانة بن الحُقيق قد رأى أن حصن النزار أحصن ما هنالك،

فأبقاها فيه، هي ونسيبات معها؛ فأسرت تلك النسوة في حصن النزار[1].

ونقول:

إن هناك نصوصاً كثيرة تقول: إن علياً «عليه السلام» هو الذي فتح الحصن، وجاء بصفية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

فإن كانت صفية قد سبيت في حصن النزار، فذلك يعني: أن علياً «عليه السلام»: هو الذي فتح هذا الحصن أيضاً، كما فتح حصن القموص، وذلك يدل على وجود تصرف خطير في الحقائق التاريخية، ومحاولة تحريف خطيرة لها..

يضاف إلى ذلك: أن هذا النص يفيد: أن رمد عيني علي «عليه السلام» الذي هيأ الفرصة لأخذ أبي بكر وعمر وغيرهما الراية في حصن القموص، وفرارهما ـ إن رمد عينيه «عليه السلام» هذا ـ قد كان بعد فتح حصن النزار، وفي أيام حصار حصن القموص، الذي استمر عشرين ليلة، كما سيأتي..

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٦٨ و ٦٦٩.

(٢) قد ذكرنا مصادر ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، وراجع: البحار ج٢١ ص٢٢ وعن الخصائص للنسائي ص٦٣ وفي هامشه عن أعلام النساء ج٢ ص٣٣٣ وأسد الغابة ج٥ ص٤٩٠ والدر المنثور ج١ ص٢٦٣.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

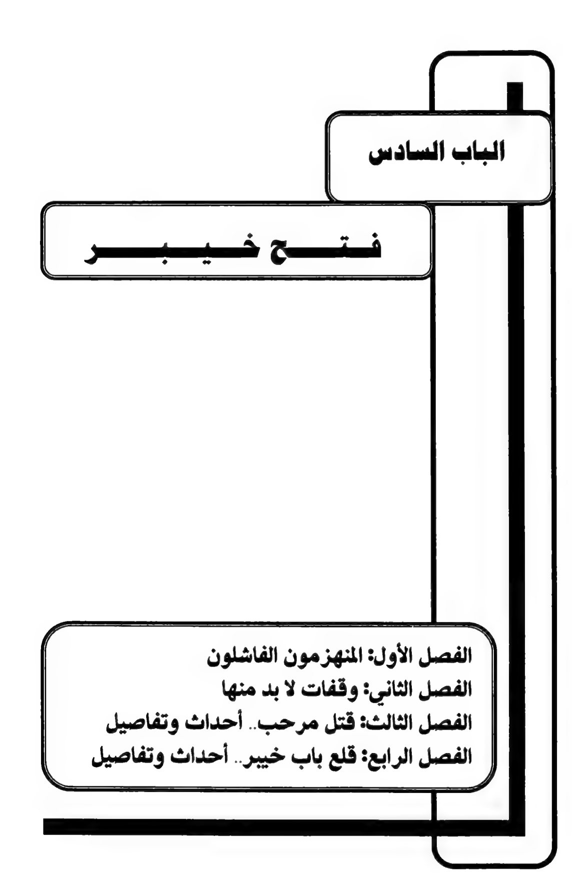
[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

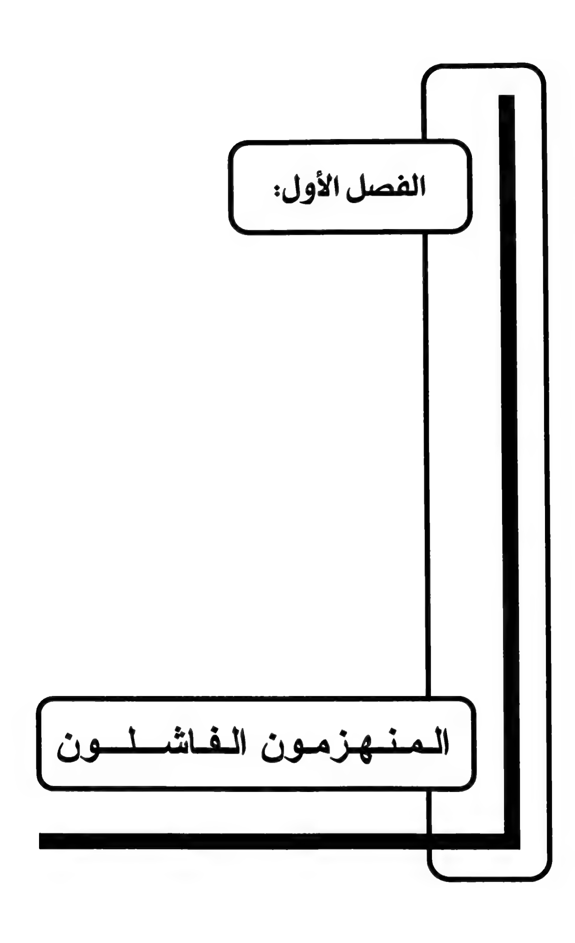
(٢) [illegible] ص ٢٢ [illegible] ص ٢٢٢



الباب السادس

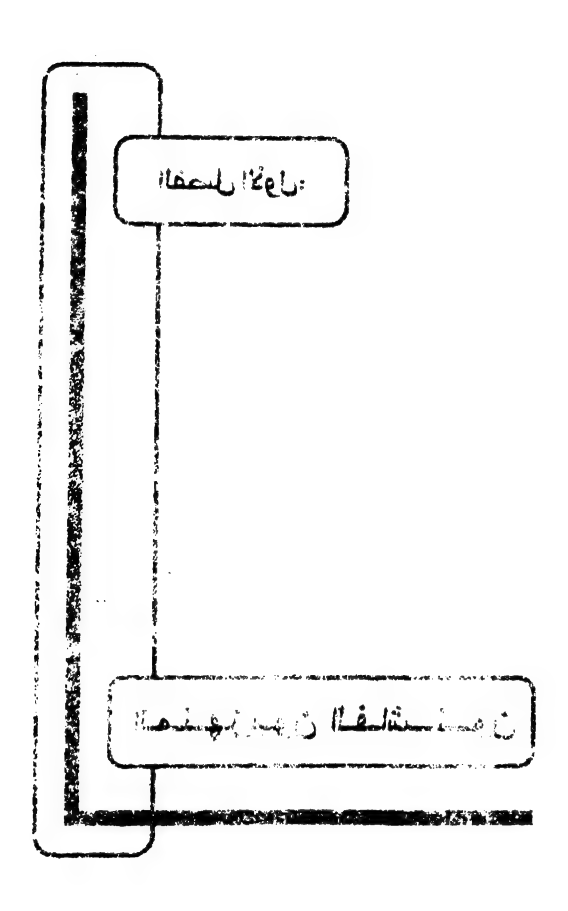
فتـــح خيـــبـــر

الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون
الفصل الثاني: وقفات لا بد منها
الفصل الثالث: قتل مرحب.. أحداث وتفاصيل
الفصل الرابع: قلع باب خيبر.. أحداث وتفاصيل



الفصل الأول:

المنهزمون الفاشلون



بداية:

إننا نستميح القارئ عذراً إذا رأى ـ في هذا الفصل بالخصوص ـ أن ثمة تبدلاً في طريقة العرض والمناقشة، حيث آثرنا: أن نقدم في البداية عرضاً لطائفة كبيرة من النصوص.. ثم ألحقناها ببعض ما اقتضته الحال من مناقشات لبعضها، وتوضيحات لبعضها الآخر، بالإضافة إلى ملاحظات، أو استفادات رأينا أن من المفيد الإلماح إليها، والوقوف عندها، في نطاق عرض الأحداث التي سجلوها على أنها سيرة وتاريخ..

وسوف نقتصر على أقل القليل من ذلك، حرصاً منا على عدم إرهاق القارئ بالجزئيات والتفاصيل، فنقول، ونتوكل على خير مأمول، وأكرم مسؤول:

القموص أعظم حصون خيبر:

قالوا: لقد كان بخيبر أربعة عشر ألف يهودي في حصونهم، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتحها حصناً حصناً، وكان من أشد حصونهم، وأكثرها رجالاً القموص[1].

---

(١) البحار ج٢١ ص٢١ عن إعلام الورى ج١ ص٢٠٧.

وقالوا أيضاً: لما فتح رسول الله «صلى الله عليه وآله» حصون النطاة، والشق، انهزم من سَلِمَ منهم إلى حصون الكتيبة.

وهي: القموص، والوطيح، والسلالم.

وأعظم حصونها: القموص، وكان حصناً منيعاً[1]. بل هو حصن خيبر الأعظم[2].

قال ابن وهب: قلت لمالك: وما الكتيبة؟!

قال: من أرض خيبر، وهي أربعون ألف عذق[3].

حصار القموص:

وقد فتح الله هذا الحصن العظيم على يد علي «عليه السلام»، بعد أن حاصره المسلمون عشرين ليلة[4].

وذكر موسى بن عقبة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حاصره

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٧٠ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٢٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٧٦.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ ومعجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٢ ص٥٢٢.

(٣) إمتاع الأسماع ص٣١٩ و ٣٢٠ وراجع: سنن أبي داود ج٢ ص٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣١٨ وعون المعبود ج٨ ص١٧٥ ونصب الراية للزيعلي ج٤ ص٢٥٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٢٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٢.

(٤) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٤١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤.

قريباً من عشرين ليلة. وكانت أرضاً وخمة.

وقال الواقدي: «وبالكتيبة من اليهود، ومن نسائهم، وذراريهم أكثر من ألفين.

فلما صالح رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهل الكتيبة أمن الرجال والذرية، ودفعوا إليه الأموال: البيضاء والصفراء، والحلقة، والثياب إلا ثوباً على إنسان»[1].

ثم ذكر: أن فلول النطاة والشق جاءتهم إلى الكتيبة، والوطيح وسلالم، فتحصنوا معهم في القموص أشد التحصين مغلقين عليهم لا يبرزون، حتى هم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرميهم بالمنجنيق[2].

رعب اليهود:

ويذكر الواقدي أيضاً: أن كنانة ابن أبي الحقيق كان رامياً، يرمي بثلاثة أسهم في ثلاث مائة ذراع، فيدخلها في هدف شبراً في شبر. فما هو إلا أن قيل له: هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أقبل من الشق في أصحابه، وقد تهيأ أهل القموص، وقاموا على باب الحصن بالنبل.. فنهض كنانة إلى قوسه، فلم يستطع أن يوترها لشدة الرعدة التي انتابته..

ثم ذكروا: أنه أرسل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلتقيه.. ويكلمه في الصلح.. فوقع الصلح بينهما كما سيأتي[3].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٦٩ وإمتاع الأسماع ص٣١٩.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٧٠.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٧٠.

ونقول:

لعل هذا النص يريد أن يقول:

إن الصلح كان على بقية حصون الكتيبة، أما حصن القموص فقد فتحه علي «عليه السلام» وحده، كما هو صريح كلمات المؤرخين ورواياتهم.

رايات الفاشلين:

وروى الشيخان، عن سهل بن سعد.

والبخاري، وابن أبي أسامة، وأبو نعيم، عن سلمة بن الأكوع.

وأبو نعيم، والبيهقي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه.

وأبو نعيم، عن ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد الخدري، وعمران بن حصين، وجابر بن عبد الله، وأبي ليلى.

ومسلم، والبيهقي، عن أبي هريرة.

وأحمد، وأبو يعلى، والبيهقي، عن علي «عليه السلام».

قال بريدة: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» تأخذه الشقيقة، فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر، فأخذ راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ وكانت بيضاء[1] ـ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، ولم يكن فتح. وقد

---

(١) الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢١ وراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص١٤٧ والعمدة لابن البطريق ص١٥٠ عن تفسير الثعالبي، والطرائف لابن طاووس ص٥٨ وإحقاق الحق ج٥ ص٣٧٣ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ =

جهد (وقتل محمود بن مسلمة)[١].

ثم أرسل عمر، فأخذ راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، ولم يكن فتح.

وفي حديث عن علي «عليه السلام» عند البيهقي: أن الغلبة كانت لليهود في هذين اليومين[٢]. انتهى.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل عمر في اليوم الأول، ثم أرسل أبا بكر في اليوم الثاني، ثم أرسل عمر في اليوم الثالث، ولم يكن

= والمناقب للخوارزمي (ط النجف) ص١٠٣ وفي (طبعة أخرى) ص١٦٧ والبحار ج٢١ ص٣ وج٣٩ ص١٠ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص١٣٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٧ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٢٩ ومجمع البيان ج٩ ص٢٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١٥٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢١٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤.

(١) راجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها عن البيهقي، وراجع ما تقدم من مصادر في الإحالة السابقة. غير أننا ذكرنا فيما تقدم: أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن ناعم.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ فما بعدها ودلائل النبوة ج٤ ص٢٠٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٤١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ ومعالم التنزيل (ط مصر) ج٤ ص١٥٦ وتذكرة الخواص ص٢٥ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨.

فتح[1].

وفي نص آخر عن بريدة: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه عمر من الغد، فخرج ورجع، ولم يفتح له. وأصاب الناس يومئذٍ شدة جهد، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني دافع اللواء الخ..[2].

وعند الطبري: فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يجبِّنه أصحابه ويجبِّنهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية ـ اللواء ـ غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر، وعمر، فدعا علياً «عليه السلام» الخ..[3].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وراجع: مناقب أهل البيت للشيرواني ص١٤١.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٣٥٣ وراجع: الخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص٥ والسيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ وأسد الغابة ج٤ ص٣٣٤ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٩٤ والعمدة لابن البطريق ص١٤٠ والطرائف لابن طاووس ص٥٥ والبحار ج٣٢ ص١٣٣ وج٣٩ ص٧ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٢ و ٩٣ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٧٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣١٨ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١ ص١٥٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٧ و ١٢٨ ولم يذكروا غير عمر في هذا النص، وكذا في الرياض النضرة =

وعن أبي ليلى، وعن ابن عباس: بعث أبا بكر فسار بالناس، فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الخ..[1].

زاد بعضهم قوله: ثم بعث رجلاً من الأنصار فقاتل ورجع، ولم يكن فتح[2].

فأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك فقال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه، ليس بفرار، يحب الله ورسوله، يأخذها عنوة».

وفي لفظ: «يفتح الله على يديه».

قال بريدة: فبتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غداً، وبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها.

= (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٨ والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢٦ والبحار ج٢١ ص٢٨ عن الخرايج والجرايح وراجع ص٣ وج٣٩ ص١٠، وراجع: العمدة لابن البطريق ص١٥٠ والطرائف لابن طاووس ص٥٨ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٢٠١ وخصائص الوحي لابن البطريق ص١٥٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٢.

(١) منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٥ ص٤٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ وراجع: مناقب ابن شهرآشوب ج٢ ص٣١٨ والبحار ج٣ ص٥٢٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٧ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج١ ص٤٩٧ وج٨ ص٥٢٢ وكنز العمال ج١٣ ص١٢١.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٤.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلهم يرجو أن يعطاها.

قال أبو هريرة: قال عمر: فما أحببت الإمارة قط حتى كان يومئذ[١].

قال بريدة: فما منا رجل له من رسول الله «صلى الله عليه وآله» منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تطاولت أنا لها، ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، وليس منةً[٢].

وفي حديث سلمة، وجابر: وكان علي تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرمد شديد كان به لا يبصر، فلما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: لا، أنا أتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»!!

فخرج فلحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» في الطريق، أو بعد وصوله إلى خيبر[٣].

ثم ذكر البخاري وغيره، قوله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً..

إلى أن قال: فنحن نرجوها، فقيل: هذا علي، فأعطاه، ففتح عليه[٤].

---

(١) ستأتي مصادر كثيرة لهذا الحديث إن شاء الله تعالى.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ وراجع: كنز العمال ج١٠ ص٤٦٣ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٤ ومصادر أخرى كثيرة.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ وراجع: صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وراجع ص٢٣.

(٤) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١.

وفي نص آخر: فإذا نحن بعلي، وما نرجوه، فقالوا: هذا علي الخ..»[1].

قال بريدة: وجاء علي «عليه السلام» حتى أناخ قريباً، وهو رَمِد، قد عصب عينية بشق برد قطري.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما لك؟

قال «عليه السلام»: رمدت بعدك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ادن مني.

فدنا منه، ثم ذكر أنه أعطاه الراية، فنهض بها معه، وعليه حلة أرجوان حمراء، قد أخرج خملها، فأتى خيبر الخ..»[2].

وفي نص آخر: قال بريدة: فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلى الغداة، ثم دعا باللواء، وقام قائماً.

قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: «أين علي»؟

قالوا: يشتكي عينيه.

قال: «فأرسلوا إليه».

قال سلمة: فجئت به أقوده، قالوا كلهم: فأُتي به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما لك»؟

---

(١) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص٢٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها، وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١٥٦ والمناقب للخوارزمي ص١٦٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢٢٠.

قال: رمدت حتى لا أبصر ما قدامي.

قال: «ادن مني».

وفي حديث علي عند الحاكم: فوضع رأسي عند حجره، ثم بزق في ألية يده، فدلك بها عيني.

قالوا: فبرئ، كأن لم يكن به وجع قط، فما وجعهما علي حتى مضى لسبيله، ودعا له، وأعطاه الراية[1].

---

(١) راجع هذه الكرامة الجليلة في المصادر التالية: منتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٤ ص١٢٧ و ١٢٨ والصواعق المحرقة (ط الميمنية) ص٧٤ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج١ ص٢٣٧ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٠٧ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص١٧٦ ومصابيح السنة (ط الخيرية بمصر) ج٢ ص٢٠١ والإستيعاب (مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ والشفاء (ط مصر) ج٢ ص٢٧٢ وجامع الأصول ج٩ ص٤٦٩ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص٢٥٨ وكفاية الطالب ص١٣٠ و ١١٦ و ١١٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج٢ ص١٨٨ وج١ ص٥٠ وصحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٥ ص١٩٥ وج٧ ص١٢٠ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٣٨ والخصائص للنسائي (مطبعة التقدم بمصر) ص ٤ و ٥ و ٦ و ٧ والسيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ وطبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٧ والمعجم الصغير ص١٦٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ و ١٠٨ و ١١٦ وراجع ص١٢٥ ولباب التأويل ج٤ ص١٥٢ و ١٥٣ وتاريخ =

وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل سلمة بن الأكوع إلى علي «عليه السلام»، فجاء يقوده وهو أرمد[1].

قال سهل: فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، وحق رسوله. فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[2].

= الخميس ج٢ ص٤٨ و ٤٩ والبحار ج٢١ ص٢٩ عن الخرايج والجرايح، ومعارج النبوة ص٢١٩ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ فما بعدها وتاريخ الخلفاء (ط مطبعة السعادة) ص١٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ وتذكرة الخواص ص٢٤ و ٢٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢١٩ و ٢٢٠ وأسد الغابة ج٤ ص٢١ و ٢٥ و ٢٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ و ١٢٢ ومصادر كثيرة أخرى.

(١) صحيح مسلم ج٥ ص١٩٥ ومسند أحمد ج٤ ص٥٤ وطبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٧ ومناقب آل أبي طالب لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص١٧٦ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٣٠ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج١ ص٢٣٧ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٧ ولباب التأويل للخازن ج٤ ص١٥٢ و ١٥٣.

(٢) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٧ ص٢١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ والخصائص للنسائي ص٦ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والسنن الكبرى ج٩ ص١٠٧ وتذكرة الخواص ص٢٤ وأسد الغابة ج٤ ص٢٨ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والبداية والنهاية ج٤ =

وقال أبو هريرة: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لعلي: «اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت».

قال: علام أقاتل الناس؟

قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله».

فخرجوا، فخرج بها ـ والله يأيح ـ يهرول هرولة، وإنَّا لخلفه نتبع أثره. حتى ركزها تحت الحصن.

فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟

قال: علي.

أو قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال اليهودي: غلبتهم (أو علوتم)، والذي أنزل التوراة على موسى. فما رجع حتى فتح الله تعالى على يديه[1].

= ص١٨٤ فما بعدها وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ وراجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج٢ ص١٨٤ و ١٨٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ و ١٢٥ والأنس الجليل (ط الوهبية) ص١٧٩ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ و ٣٦ و ٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص١٧٥ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والإكتفاء للكلاعي (ط مكتبة الخانجي) ج٢ ص٢٥٨ والكامل (ط دار صادر) ج٢ ص٢٢٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، وذخائر العقبى ص١٨٤ ـ ١٨٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ والبحار ج٢١ ص١٦.

وعن حذيفة: «لما تهيأ علي «عليه السلام» للحملة، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«يا علي، والذي نفسي بيده، إن معك من لا يخذلك. هذا جبريل «عليه السلام» عن يمينك، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة.

يا علي: إنك سيد العرب، وأنا سيد ولد آدم».

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» ألبسه درعه الحديد[1]، وشد ذا الفقار في وسطه، وأعطاه الراية، ووجّهه إلى الحصن.

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ الخ..[2].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ وراجع: تحف العقول ص٣٤٦ وعن عون المعبود ج٨ ص١٧٢ و السيرة الحلبية.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ وراجع: شرح اللمعة للشهيد الثاني ج٧ ص١٥٢ وزبدة البيان للأردبيلي ص١٢ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٦ وج١٢ ص٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٥٠٧ و ٥٠٨ وعن الإحتجاج ج١ ص١٦٧ والعمدة ص١٤٢ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٧ والطرائف لابن طاووس ص٥٦ وعن ذخائر العقبى ص٧٣ والبحار ج٢١ ص٣ و ج٣٩ ص٨ و ١٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٨٧ و ٢٨٨ ومناقب أهل البيت ص١٣٧ والغدير ج٢ ص٤١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٠ وأضواء على الصحيحين للنجمي ص٣٤١ وفضائل الصحابة ص١٦٦ وعن مستدرك أحمد ج٥ ص٣٣٣ وعن صحيح البخاري ج٤ ص٢٠ و ٢٠٧ وج٥ ص٧٧ وعن صحيح مسلم ج٧ ص١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ =

فخرج علي بها، وهو يهرول»[1].

وفي نص آخر: أركبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم خيبر، وعممه بيده، وألبسه ثيابه، وأركبه بغلته، ثم قال له: «امض يا علي، وجبرئيل عن يمينك، وميكائيل عن يسارك، وعزرائيل أمامك، وإسرافيل

= ص١٠٧ وعن فتح الباري لابن حجر ج٧ ص٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٦ و ١١٠ و ١٣٧ وعن الخصائص للنسائي ص٥٦ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٠٧ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٨ والمعجم الكبير ج٦ ص١٥٢ و ١٩٨ ورياض الصالحين ص١٤٥ ونظم درر السمطين ص٩٩ وفيض القدير ج٦ ص٤٦٥ ومجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٢٠١ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٦ و ٨٨ وأسد الغابة ج٤ ص٢٨ وعن الإصابة لابن حجر ج١ ص٣٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢١١ وبشارة المصطفى ص٢٩٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥١ وجواهر المطالب ج١ ص١٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ وينابيع المودة ج١ ص١٥٣ ومعجم النورين للمرندي ص٢٤٢.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ وراجع: الأربعون حديثاً لابن بابويه ص٥٦ ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٢ ص١٢٨ والعمدة ص١٥٣ والطرائف لابن طاووس ص٥٧ والبحار ج٣٩ ص٩ وج٧٢ ص٣٣ وبغية الباحث ص٢١٨ والمعجم الكبير ج٧ ص٣٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٩ و ٩٠ والجواهر في نسب علي وآله للبري ص٧٠ والبداية النهاية ج٤ ص١١٢ وج٧ ص٣٧٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٨ والجمل للمفيد ص١٩٦ ومصادر كثيرة أخرى.

وراءك، ونصر الله فوقك، ودعائي خلفك»[1].

رايتان أم ثلاث؟!

وقد ذُكِرَ في بعض النصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا بكر، فرجع منهزماً، ثم أرسل عمر، فرجع منهزماً أيضاً..

وبعضها اقتصرت على عمر..

وبعضها ذكر: أنه أرسل عمر مرتين، مرة قبل أبي بكر، ومرة بعده.

لكن الذي لفت نظرنا هو: إضافة راية ثالثة لرجل من الأنصار، وأنه رجع منهزماً أيضاً[2].

والظاهر: أن المقصود بذلك هو: سعد بن عبادة، بل لقد صرح الواقدي باسمه، وبأنه قد رجع مجروحاً[3].

مع أن الذي ذكرته الروايات الكثيرة، هو: هزيمة أبي بكر وعمر، وربما اقتصرت بعض الروايات على ذكر عمر أيضاً. فهل السبب في هذه الإضافة لسعد، وربما لابن مسلمة وغيره، هو إخراج هذا الأمر عن دائرة قريش، وعن دائرة الذين استأثروا بالأمر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لتشمل الهزيمة زعيم الأنصار، الذي نافسهم في السقيفة، فأرادوا أن ينيلوه شرف الهزيمة والفرار الذي باؤوا به؟!

---

(١) راجع: البحار ج٢١ ص١٨ و ١٩ وفي هامشه عن مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧٨ وعن الإرشاد.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣.

وإلا، فلماذا اختاروا سعد بن عبادة دون سواه لهذا الأمر؟!

إرسال عمر مرتين:

وقد لوحظ أيضاً: أن بعض النصوص تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل عمر إلى اليهود مرتين، مرة قبل إرسال أبي بكر، ومرة بعده..

وربما يمكن تفسير ذلك أيضاً: بأن عمر كان يدَّعي لنفسه الشدة والصلابة، ويُظْهِر ذلك للناس، حتى إنه يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل هذا، وبقلع ثنايا ذاك، ويصر على قتل الأسرى في بدر.. وعلى القتال في الحديبية.. و.. و..

فكأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يظهر: أن هذا كله لم يكن لأجل شجاعة فيه، بل هو لأمور أخرى..

والشاهد على ذلك: هذا الذي جرى في خيبر، فإن أمكن لعمر أن يتعلل بشيء في هزيمته في اليوم الأول، فبأي شيء يعتذر أو يتعلل في اليوم الثاني؟!

ثم إن إرسال أبي بكر، وغيره، قد جاء ليؤكد على: أن هذا السنخ من الناس ليس هو الذي يفتح الله تعالى على يده الحصون، ويقرَّ بقلع أبوابها العيون..

بل الذي يقوم بهذه المهمات الجسيمة، والإنجازات الهائلة والعظيمة هو نوع آخر من الناس، مطمئنة نفسه، وراضية بلقاء الله تعالى.. كرار.. غير فرار.. لا يتمنى الإمارة لنفسه، حتى في ذلك اليوم، بل هو يرى أنه لا أحد أن يستطيع أن يمنع ما يعطيه، فيقول: «اللهم لا مانع لما أعطيت».

أين ابن مسلمة، والحباب، والزبير؟!

ويبقى أمامنا سؤال يقول: لماذا لم يعط النبي «صلى الله عليه وآله» الراية في اليوم الثاني لمحمد بن مسلمة، أو للحباب، أو للزبير؟! الذين ينسبون لهم البطولات العظيمة في خيبر، حتى ليدَّعون أن ابن مسلمة هو الذي قتل مرحباً.

نعم، لماذا صرف النظر عن هؤلاء جميعاً؟! وأطلق تعريضه بهم ليشمل وصف الفرار كل واحد منهم، بعد أن حصر وصف الكرار بعلي «عليه السلام» دون سواه؟!

فلماذا لم يحفظ لهم ماء الوجه، لو كانوا قد ثبتوا ولم يهربوا مع الهاربين؟!

ونحن نكاد نطمئن إلى أنهم قد أهملوا ذكر ابن مسلمة مع الفارين بالراية ـ كما سيأتي ـ لأنهم ادخروه لقتل مرحب، بدلاً من علي «عليه السلام» كما سنرى..

كتائب اليهود تهاجم الأنصار:

وقد ذكر الواقدي، ما جرى بطريقة تشير إلى أمور يحسن لفت النظر إليها، فهو يقول ما ملخصه: إنه «صلى الله عليه وآله» دفع لواءه إلى أحد المهاجرين، فرجع ولم يصنع شيئاً.

فدفعه إلى آخر: فكذلك.

فدفع لواء الأنصار إلى رجل منهم: فكذلك أيضاً.

فحث «صلى الله عليه وآله» المسلمين على الجهاد.

وسالت كتائب اليهود، أمامهم الحارث أبو زينب يهدُّ الأرض هداً،

فأرجعهم صاحب راية الأنصار إلى الحصن.

فخرج ياسر [أو أسير] معه عاديته[١]، وكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موقفه، فاشتد ذلك على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبات مهموماً.

[وخرج مع ذلك سعد بن عبادة].

وكان سعد بن عبادة قد جرح، وجعل يستبطئ أصحابه، وجعل صاحب راية المهاجرين يستبطئ أصحابه، ويقول: أنتم، وأنتم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إن اليهود جاءهم الشيطان، فقال لهم: إن محمداً يقاتلكم على أموالكم، نادوهم:

قولوا: لا إله إلا الله، ثم قد أحرزتم أموالكم ودماءكم، وحسابكم على الله.

فنادوهم بذلك، فنادت اليهود: إنَّا لا نفعل. ولا نترك عهد موسى والتوراة بيننا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله[٢]، ليس بفرار[٣].

أبشر يا محمد بن مسلمة، غداً إن شاء الله يقتل قاتل أخيك، وتولِّي عادية اليهود.

---

(١) أي معه الجماعة الذين يَعْدُن للحرب.

(٢) في الإمتاع لم يذكر كلمة: «ويحب الله ورسوله». فراجع ص٣١٤.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ و ٦٥٤ والإمتاع ص٣١٣ و ٣١٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤.

وفي نص المقريزي: «ثم خرج مرحب، فحمل على علي، وضربه، فاتقاه بالترس، فأطن ترس علي رضي الله عنه، فتناول باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن.

وبعث رجلاً يبشر النبي «صلى الله عليه وآله» بفتح حصن مرحب.

ويقال: إن باب الحصن جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

وروي من وجه ضعيف عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً، فكان جهدهم أن أعادوا الباب الخ..»[1].

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات، نجملها على النحو التالي:

ألف: تعمد التعتيم على الحقائق:

إن أول ما يطالع من يقرأ هذه الرواية، هو تعمد التكتم على المهاجِرَيْن

---

(١) الإمتاع ص٣١٤ و ٣١٥ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣٣٣ وقال في الهامش: انظر حديث فتح خيبر في تاريخ مدينة دمشق ج١ ص١٧٤ و ٢٤٨ والثاقب في المناقب ص٢٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٢٥ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) للعلامة الحلي ص١٢٨ والبحار ج٢١ ص١ وج٤١ ص٢٧٩ والإمام علي للهمداني ص٦١٣ وكشف الخفاء ج١ ص٢٣٢ و ٣٦٦ ومجمع البيان ج٩ ص٢٠٢ والميزان ج١٨ ص٢٩٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢١٦ عن دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢١٢ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٣ عن المناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٣٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٩.

اللذين فرَّا أولاً، وذلك بأساليب متعددة، منها:

١ ـ كتمان اسميهما.. وقد جاء ذلك في نصوص أخرى أيضاً.

مع ملاحظة: أن ثمة إيحاءً بالتكتم على اسم الأنصاري الثالث، بالرغم من أن الراوي يتعمد التصريح أخيراً باسم سعد بن عبادة الذي جرح، حيث يظهر بوضوح أنه هو المقصود، فإنه جعله في مصاف المهاجرَيْن اللذين فرا، ولم يصنعا شيئاً.

ثم أوغل الراوي في حشد الأمارات والدلالات عليه، حين ذكر: أن ذلك الأنصاري جعل يستبطئ أصحابه.. تماماً كما جعل المهاجريان يستبطئان أصحابهما..

٢ ـ إنه غيَّرَ في التعابير بطريقة لا يفهم القارئ أن هؤلاء قد هربوا، فضلاً عن أن يكون الهروب مخزياً..

بل هو قد أبعد ذهن القارئ عن موضوع الفرار بصورة تامة، ويكاد لا يشير إليه، بل هو يهيء الأجواء ليفهم الناس عكس الحقيقة، إذ غاية ما يفهم من الكلام، أنهما قد بذلا جهداً، وحاربا ولم يتمكنا من فتح الحصن.

٣ ـ إنه تكتم أيضاً على أمر آخر قد صرحت به الروايات، وهو: أن الهارب الأول صار يجبِّن أصحابه (أي يتهمهم بأنهم جبناء)، ويجبِّنه أصحابه (أي يتهمونه هو بأنه جبان)، فذكر الراوي هنا عوضاً عن ذلك عبارة: يستبطئ أصحابه ويقول: أنتم، وأنتم..

ب: لواء الأنصار، أم لواء النبي ﷺ؟!

ويلاحظ أيضاً: أن الراوي هنا.. قد نسب اللواء الذي أخذه المهاجري

الأول، والمهاجري الثاني إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فقال: دفع لواءه إلى أحد المهاجرين..

ولكنه: نسب اللواء الذي أعطاه للأنصاري إلى الأنصار، لا إلى رسول الله، فقال: «فدفع لواء الأنصار إلى رجل منهم».

وهذا يدل: على أن فرار ذلك الأنصاري إنما كان بلواء الأنصار، لا بلواء الجيش كله.. فهو لواء لفرقة خاصة.

وأما فرار الأولين، وهما من المهاجرين، فقد كان بلواء رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهو لواء الجيش.

فإن كان الراوي يريد إعطاء امتياز للمهاجريين (وهما أبو بكر وعمر طبعاً) على ذلك الأنصاري (وهو سعد بن عبادة المنافس لهما في يوم السقيفة).. فإنه يكون قد وقع في أمر لا يريده، وهو أمر بالغ الخطورة.

حيث أوضح: أنهما قد هربا بلواء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن الواضح: أن الهزيمة لحامل لوائه «صلى الله عليه وآله» ـ وهو لواء الجيش كله ـ تبقى هي الأشر، والأضر، والأخطر، والأمر، عليه «صلى الله عليه وآله»، وعلى الإسلام والمسلمين، وهي جريمة عظيمة وهائلة..

ج: حفظ ماء وجه الأنصاري:

ويلاحظ: أن الراوي نفسه، الذي يريد أن يكرس الامتيازات للرجلين المهاجريين، بالتأكيد على فرار أحد منافسيهما، وهو ابن عبادة، قد أقر لسعد بن عبادة بأنه حقق إنجازاً ـ مهما كان متواضعاً ـ عجز ذانك الرجلان عن تحقيقه، حيث ذكر: أنه قد أرجع كتائب اليهود إلى الحصن، ومعهم قائدهم

الحارث أبو زينب، الذي كان يهدّ الأرض هداً.

د: أين كان المهاجرون؟!

والسؤال المحير هنا هو: لماذا يتصدى خصوص ذلك الأنصاري والأنصار الذين كانوا معه للحارث أبي زينب، وللكتائب التي كانت معه، حتى ردّوهم إلى الحصن. وأين كان المهاجريان اللذان أخذا لواء النبي «صلى الله عليه وآله»، وهربا به؟!!..

والأغرب من ذلك: أنه بعدما عادت كتائب اليهود مع الحارث أبي زينب إلى الحصن بجهد الأنصار فقط، قد عادت لتخرج من جديد بقيادة ياسر اليهودي، وتهاجم الأنصار، دون سواهم مرة أخرى..

ولا ندري لماذا لا تتعرض للمهاجرين في هذه المرة.. أيضاً؟!

كما أننا لا ندري: لماذا لم يُعِنْ المهاجرون الأنصار؟!

ولماذا تركوا اليهود يزيلون الأنصار عن مراكزهم، حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موقفه؟!

فإن كانوا لا يحبذون إعانة الأنصار لأمر مَّا كان في نفوسهم عليهم، فهل من المعقول أن يتركوا اليهود يخلصون إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في موقفه؟!

وماذا سيكون عذرهم لو أن اليهود تمكنوا من إلحاق الأذى به «صلى الله عليه وآله»؟!..

هـ: نداء رسول الله ﷺ في اليهود:

وقد ذكرت تلك الرواية المتقدمة أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله».. قد

أخبر عن مقالة الشيطان لليهود: إن محمداً يقاتلكم على أموالكم..

وهو نداء شيطاني حقاً، من شأنه أن يثير حفيظة أناس يعرف الناس كلهم: أن حبهم للمال يفوق كل حب، والمال هو هاجسهم الأول والأخير، ويرون: أن فقدهم للمال يوازي فقدهم للحياة.

وقد أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بنداءٍ يبطل تأثير مقولة الشيطان هذه، ويفقدهم ذريعةً كانوا يرون أنها تكفي لتبرير طغيانهم عليه «صلى الله عليه وآله».

فإنه «صلى الله عليه وآله» أظهر في ندائه لهم: أن أموالهم، وكذلك دماؤهم ليست هدفاً له «صلى الله عليه وآله»، رغم كل ما فعلوه معه، من نقض عهود، ومن تحريض، ومن تآمر، وسعي للإعداد والاستعداد لحربه، وإنما هدفه هو: أن يعلنوا أنهم ملتزمون بتوحيد الله سبحانه..

مع تقديم تعهد صريح منه «صلى الله عليه وآله»، بالاكتفاء منهم بهذا الإعلان، فلا يكون هناك أي بحث عن دخائلهم، وعن مكنونات نفوسهم، ولا يتعرض للكشف عن ضمائرهم، فإن حسابهم على الله وحده، وليس لأحد غيره الحق في التعرض لشيء من ذلك.

فنلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يطلب لنفسه منهم مالاً، ولا سلطة، ولا سعى لمحاسبتهم على ما بدر منهم، ولا غير ذلك.

ولكن اليهود رفضوا حتى الإعلان عن الالتزام بالوحدانية، وأكدوا التزامهم بالخط الذي هم عليه، رغم ظهور الحجة، وسطوع البرهان على نبوته «صلى الله عليه وآله»، حتى إنهم ليجدونه «صلى الله عليه وآله»، مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه «صلى الله عليه وآله» كما

يعرفون أبناءهم.

و: الصحابة يفرون حتى عن علي عليه السلام!!

وقد صرحت الرواية: بأن الذين ذهبوا مع علي «عليه السلام» قد فروا عنه «صلوات الله وسلامه عليه» أيضاً، وتركوه، ليواجه كتائب اليهود وحده، وكانت بقيادة الحارث أخي مرحب. فقتله علي «عليه السلام».. وهرب الذين كانوا مع الحارث إلى الحصن، وأغلقوا عليهم..

ثم خرج مرحب، فقتله علي «عليه السلام» أيضاً على الباب، وفتح الباب..

والذي يبدو لنا: أن الرواة المغرضين قد حاولوا تلطيف أمر هذا الفرار، فقالوا: إن علياً قد أخذ الراية وهرول نحو الحصن وفتحه، وقلع بابه ودخله، قبل أن يلحق آخر الناس أولهم، أو قبل أن يلبس الناس سلاحهم، أو قبل أن يتم اصطفاف الخيل، أو نحو ذلك مما سنذكره فيما سيأتي إن شاء الله، تحت عنوان: علي يفتح خيبر وحده.

تعابير ذات مغزى:

وعن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لأبعثن رجلاً لايخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله.

قال: فاستشرف لها من استشرف.

قال: أين علي «عليه السلام»؟!

قالوا: هو في الرحل، يطحن.

قال: وما كان أحدكم ليطحن؟

قال: فجاء وهو أرمد، لا يكاد يبصر.

قال: فنفث في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً، فأعطاه إياها، فجاء بصفية بنت حيي الخ..»[1].

ونقول:

١ ـ قد تحدثنا في موضع آخر من هذا الكتاب عن قوله «صلى الله عليه وآله»: «لا يخزيه الله أبداً». فيمكن الاكتفاء بما ذكرناه هناك..

٢ ـ لقد كان علي «عليه السلام» يمارس عملية الطحن، حين تخلف في الرحل، بسبب الرمد الذي جعله لا يبصر.

فلم يكن «عليه السلام» ـ حتى وهو في هذه الحالة الصعبة ـ فارغاً، ينتظر خدمة الآخرين له.. بل يؤدي وظيفة تفيد هذا الجيش المقاتل لأعداء

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٣٣١ والخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص٨ وفي (طبعة أخرى) ص٦٣ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٢ وكفاية الطالب (ط مكتبة الغري) ص١١٦ وراجع: العمدة لابن البطريق ص٨٥ و ٢٣٨ وذخائر العقبى ص٨٧ وحلية الأبرار ج٢ ص والبحار ج٣٨ ص٢٤١ وج٤٠ ص٥٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١١٢ و ٢٩٢ والمراجعات ص١٩٦ والغدير ج١ ص٥٠ وج٣ ص١٩٥ ومواقف الشيعة ج٣ ص٣٩٣ وعن مجمع الزوائد ج٩ ص١١٩ وكتاب السنة لابن عاصم ص٥٨٩ والسنن الكبرى ج٥ ص١١٣ وعن خصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٨ و ٩٩ و ١٠١ وج٤٦ ص١٥٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٦٨ وعن الإصابة لابن حجر ج٤ ص٤٦٧ وعن البداية والنهاية ج٧ ص٣٧٤ والمناقب للخوارزمي ص١٢٥.

الله تعالى، وجد نفسه قادراً على أدائها..

وقد تركه الناس يمارس هذا العمل، وسارعوا إلى الحضور عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، على أمل أن يفوزوا بشرف حمل الراية حين علموا: بأن ثمة أوسمة هامة، تؤهلهم لتبوء مناصب، وتحلهم في مراتب كانوا يحلمون بها، ومنها: أن حاملها سوف يفتح الله على يديه.

نعم، لقد سارعوا إلى مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستشرفوا للراية، وطلبوها، رغم الفرار الذي كان قد صدر منهم عن قريب.

فهل كانوا ذاهلين عن أن الله تعالى إنما يفتح على يدي من كان كراراً غير فرار؟!.

ومن كان الله ورسوله أحب إليه حتى من نفسه؟!.

ومن كان باذلاً نفسه في كل ما يرضي الله ورسوله، حتى صار حبيباً لهما؟!

ومن لا يعتبر إعطاء الراية له مكسباً دنيوياً، بل هو يعتبره عطاءً إلهياً يعبر عنه بقوله: اللهم لا مانع لما أعطيت؟![1].

ومن لا يخالف ما يأمره به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى فيما قد يراه الكثير من الناس شكلياً، أو أمراً عادياً؟!

حتى إنه حينما قال له: اذهب ولا تلتفت، مشى قليلاً، ووقف ولم يلتفت، وسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علام أقاتلهم؟! أو علام أقاتل الناس؟!

---

(١) قد ذكرنا مصادر هذه الكلمة في موضع آخر من هذا الكتاب.

ومن الواضح: أن الالتزام بأوامر النبي «صلى الله عليه وآله» وتنفيذها حرفياً، هو الأمر الذي يجب الالتزام به، ولا يجوز التخلف عنه، وهو الذي يدخل السرور على قلبه «صلى الله عليه وآله».

٣ ـ ولأجل تركهم إياه يمارس ذلك العمل، وإسراعهم إلى ما يرون الحصول عليه مكسباً وامتيازاً دنيوياً، جاء اللوم لهم من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليؤكد على لزوم معرفة أقدار الرجال، وإعطاء كل ذي حق حقه..

والأهم من ذلك: أن يوكل كل عمل للشخص المناسب له، فلا يوكل أمر الطحن، أو استقاء الماء لقادة الجيش، ولعلماء الأمة وربانييها؛ لأن ذلك معناه: هدر الطاقات، وتعطيل القدرات، خصوصاً إذا حصل ذلك في الأوقات العصيبة، والظروف الحساسة، والمصيرية.

٤ ـ وعن النصوص التي تتعمد كتمان أسماء الفارين نعود فنقول:

لماذا يتعمدون تجهيل الناس بهذا الأمر؟!

ألا يعتبر ذلك: من مفردات الخيانة للأمة، ومن التدليس على الناس؟!

وهو تدليس شديد الإضرار بالأمة، عظيم الأثر على الدين، ولا نريد أن نقول أكثرمن ذلك.

أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟!

وحول قول علي «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»: علام أقاتلهم؟ نقول:

١ ـ لعل سؤال علي «عليه السلام» عن غاية القتال قد فاجأ الكثيرين من

الصحابة الذين كانوا حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والذين قد يكون أكثرهم إنما يقاتل من أجل الغنائم، أو المناصب، أو الشهرة، أو حباً بالأمارة؛ أو لأجل أن يفرضوا الإسلام عليهم بالقوة والقهر، أو نحو ذلك..

فأراد علي «عليه السلام» أن يعرف الجميع: أنه لا بد أن يكون كل عمل يقوم به الإنسان هادفاً.

ثم أن يكون الهدف في مستوى العمل نفسه، من حيث خطورته، ومن حيث حساسية آثاره.

٢ ـ ومن جهة أخرى نلاحظ: أنه لم يقل: أقاتلهم حتى يكونوا مسلمين، بل قال: حتى يكونوا مثلنا..

ولعل السبب في ذلك: أنه «عليه السلام» لو استعمل كلمة «المسلمين» لجاء الجواب بنعم، أو بلا..

ولكنه حين قال: حتى يكونوا مثلنا.. احتاج إلى توضيح مستوى المثلية المطلوبة، وأن المطلوب أولاً: هو الدرجة التي توجب حقن دمائهم.. أما سائر المراتب والدرجات، فإنما تحصل بالسعي الدؤوب من قبل الأفراد أنفسهم، كل بحسب حاله، وقدراته، وطبيعة قناعاته..

والذي تحقن به دماؤهم، هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

عرّفهم ما يجب عليهم:

ومن الأهمية بمكان الوقوف عند قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»، حين قال له: علام أقاتلهم؟!: «عرِّفهم ما يجب عليهم من حق الله تعالى، وحق رسوله». وذلك بالتزامن مع دعوتهم إلى الإسلام الأمر الذي

يدل على أن دعوتهم إلى الإسلام لا يقصد بها إكراههم عليه، وفرض قبوله عليهم بلا مناقشة.. بل هي دعوة تستند إلى الإقناع، وتعتمد على إقامة الحجة، والتوعية، والتعريف بما يجب وما لا يجب.

حق الله وحق رسوله:

ثم إن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «عرفهم ما يجب عليهم من حق الله ورسوله»، قد تضمن طلبه «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر تعريفهم بحق الله تعالى عليهم، وهو توحيده، وعبادته، وطاعته. ولا يطلب تعريفهم بأوامر الله، ونواهيه لهم، فإن هذا يأتي في مرحلة لاحقة، حيث لا بد لهم من السعي إلى الحصول على هذا الأمر..

كما أنه لم يطلب تعريفهم بشيء يعود نفعه إليه «عليه السلام» كشخص، ولا يريد منهم شيئاً لنفسه، بل يطلب «صلى الله عليه وآله» منه «عليه السلام» أن يعرفهم بحق من تكون له صفة الرسولية والنبوة، وهو القبول منه، وعنه، وتوقيره ونصرته، والشهادة والاعتراف له بذلك..

لأن يهدي الله بك نسمة:

ثم هو يعقب ذلك بالتوجيه الكريم والعظيم، حيث يقول له: لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم..

ليفهم الجميع: أن مسؤوليتهم هي هداية الناس.. وأن هذا هو الخير العظيم الذي يجب أن تنصرف إليه الهمم، وتعقد عليه العزائم، فلا يكون همهم الحصول على الأموال والجواري، والمناصب، ولا فتح الحصون، وقتل الرجال. بل يكون كل همهم منصرفاً إلى فتح القلوب أولاً، حتى إذا أصبحت الحصون

أقفالاً على تلك القلوب، فلا بد حينئذٍ من دكِّها وتحطيمها، وإزالة تلك الأقفال عنها.

وقد ورد أيضاً أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لأن يهدي الله بك نسمة (أو رجلاً) خير لك مما طلعت عليه الشمس[1]، وهذه الكلمة وتلك تعطي الانطباع عن حقيقة القيمة التي للإنسان بنظر الإسلام، حتى إن نسمة واحدة سواء كانت رجلاً أم أنثى، صغيرة كانت أم كبيرة، إذا هُديت بك، فهي خير من كل ما طلعت عليه الشمس..

---

(١) راجع: البحار (ط كمباني) ج٦ ص٤٤٠ و (ط جديد) ج٣٢ ص٤٤٨ وج٩٧ ص٣٤ وج١٠١ ص٣٦٤ وج١ ص٢١٦ وج١٩ ص١٦٧ وج٢١ ص٣٦١ ومختلف الشيعة ج٤ ص٣٩٤ ومنتهى المطلب للحلي ج٢ ص٩٠٤ وتذكرة الفقهاء للحلي ج١ ص٤٠٩ وج٩ ص٤٤ وكشف اللثام ج٢ ص١٩٦ و ٢٧٦ ورياض المسائل ج١ ص٤٨٦ وج٧ ص٤٩٣ وجواهر الكلام ج٢١ ص٥٢ والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٣١ والكافي ج٥ ص٢٨ و ٣٦ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٤١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٠ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٠ وج١٢ ص٢٤١ وج١٧ص٢١٠ ومصباح الشريعة ص١٩٩ والنوادر للراوندي ص١٤٠ والإقبال لابن طاووس ج٢ ص٥٨ واليقين لابن طاووس ص١٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٣ وج١٠ ص٥٠٢ ونهج السعادة ج٢ ص١٥٨ وج٥ ص٢١٤ ودرر الأخبار ص١٧٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٦٨ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٣٤ والمعجم الكبير ج١ ص٣١٥ و ٣٣٢ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٤ والجامع الصغير ج٢ ص٤٠١ وكنز العمال ج١٠ ص١٥٦ وج١٣ ص١٠٧ والسير الكبير ج١ ص٧٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٨.

وهذا معناه: أن كل قتال شرعه الإسلام، إنما شرعه وفق هذه النظرة ومن خلالها، إذ لا مجال للتناقض والاختلاف في دين الله سبحانه وتعالى، فهذا التشريع إنما كان بهدف حفظ البشرية، ومن أجل إزاحة مصادر الخطر عنها، واستئصال جراثيم سرطانية، لا مجال للحياة معها.

اليهود، وكلمة التوحيد:

وقد قال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وهذا يشير إلى أن توحيد اليهود مشوب بالشرك أو بغيره من المعاني التي تنافيه، وتخرجه عن حقيقته، مثل اعتقادهم بأن عزيراً ابن الله، واعتقادهم بالتجسيم الإلهي، ونسبة أمور مشينة إلى الذات المقدسة، مثل أن يده ـ سبحانه ـ مغلولة، وكذلك نسبة الظلم، والعجز إليه تبارك وتعالى، وغير ذلك.

التدرج في الاعتقادات، وفي الأحكام:

وقد جعل النبي «صلى الله عليه وآله» ميزان حفظ الأموال، وحقن الدماء.. شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما اتضح من جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»..

وذلك: لأن للاعتقادات مراتب، ولكل مرتبة منها آثارها.. فالاعتراف بوجود الله سبحانه، وبأن له رسلاً وكتباً، وشرائع ـ كما هو الحال في أهل الكتاب ـ أقل قبحاً من الإلحاد، ومن الشرك.

ولذلك كانت لهؤلاء أحكام تختلف عن أحكام أولئك، فيجوز مثلاً التزويج بالكتابية متعة، ولا يجوز تزويجهم مطلقاً، ويصح أيضاً اعتبارهم من أهل الذمة، ويمنع التعرض لهم في ممارساتهم الدينية، وفق حدود وقيود

معينة. ويمكن الدخول في عهد معهم، وما إلى ذلك.

فإذا دخلوا في الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإنه يضاف إلى ذلك: أنه يوجب بمجرده حقن دمائهم، ويمنع من التعرض لأموالهم، ولا حاجة في ذلك إلى عقد وعهد، ولا يصح اعتبارهم أهل ذمة..

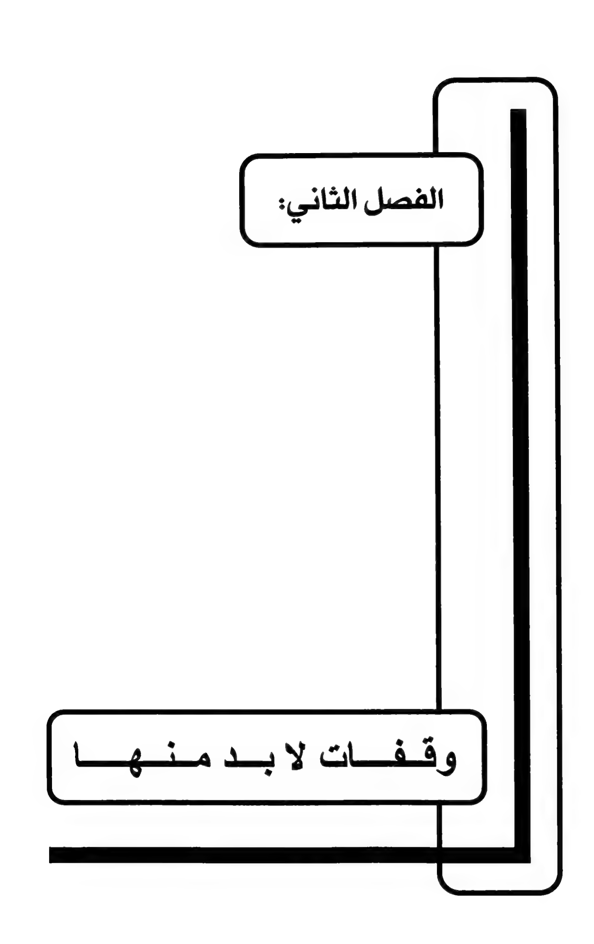
ويجوز أيضاً: التزوج والتزويج منهم، ويحكم بحلية ذبائحهم، وبطهارتهم، وهم يرثون ويورثون الخ..

فإذا اعتنقوا مذهب الحق: فإن ذلك يرتب أحكاماً أخرى لهم وعليهم. فتحرم غيبتهم، وتجب حقوق الأخوة الإيمانية لهم، وتترتب عليهم أيضاً أحكام أهل المذهب، فلا يقبل منهم التصرف الموافق للمذاهب الأخرى، فلا يمضى عليهم الطلاق بالثلاث، ويحكم ببطلانه، ولا يقبل طلاقهم من غير شهود، فإذا صاروا من أهل العدالة، صحت الصلاة خلفهم، وقبلت شهادتهم، وما إلى ذلك.

ثم إن الواحد منهم يتدرج في مراتب الفضل والكمال، فيكون عالماً، ويكون عابداً تقياً، وقد يصل إلى أن يكون ولياً من الأولياء.

ومن البشر من يصطفيهم تعالى للإمامة وللنبوة، وإن للنبوة مراتب أيضاً تختلف وتتفاوت، فيكون النبي «صلى الله عليه وآله» من أولي العزم، أو من غيرهم، أو تكون له مرتبة النبوة الخاتمة، التي هي المرتبة العظمى والمنزلة الأسمى.. وللإمامة أيضاً مراتب، وأعظمها مقام الإمامة للنبوة الخاتمة، فإنها أعظم من مقام الإمامة بدون هذه الخصوصية.

وعلى كل حال: فإن الله يزيد في المقام، ويوجب الحقوق، ويجعل الأحكام التي تناسب هذه الخصوصية أو تلك..



الفصل الثاني:

وقفات لا بد منها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هل قاتل المهزومون في خيبر؟!

زعمت بعض النصوص المتقدمة: أن أبا بكر وعمر قد قاتلا قتالاً شديداً، وقد جهدا فلم يفتح لهما..

ونحن ليس فقط نشك في صحة ذلك، بل نرجح: أنهما قد هزما قبل مباشرة القتال، أو أنهما باشراه مع ظهور الخوف والجبن، فانهزما بسرعة قبل إنجاز أي شيء مؤثر، أو صالح لأن يوصف بأنه قتال..

ونستند في ذلك إلى ما يلي:

أولاً: أشارت بعض النصوص، وبعضها كاد أن يصرح: بأن عمر قد رجع قبل أن يصل إلى ساحة الحرب..

فقد ورد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا أبا بكر في اليوم الأول، وقال: خذ الراية.

فأخذها في جمع من المهاجرين، فاجتهد فلم يغن شيئاً. فعاد يؤنب القوم الذين اتبعوه ويؤنبونه..

فلما كان من الغد تعرض لها عمر، فسار بها غير بعيد، ثم رجع يجبِّن أصحابه ويجبِّنونه.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ليست هذه الراية لمن حملها، جيؤوني بعلي.

فقيل: إنه أرمد.

فقال: أرونيه، تروني رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله[1].

وقد ورد في حديث بريدة أيضاً قوله: «فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذها عمر من الغد، فخرج ورجع ولم يفتح له..».

وفي حديث ابن أبي ليلى، وابن عباس: بعث أبا بكر، فسار بالناس؛ فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر، فانهزم بالناس حتى انتهى إليه.

وفي نص آخر: دفع «صلى الله عليه وآله» اللواء لرجل من المهاجرين، فرجع ولم يصنع شيئاً. فدفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً.

وكل ذلك قد تقدم مع طائفة من مصادره..

ثانياً: إن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد غضب واستاء مما حصل، وصرح بما قد يُشْعِر: بأن هذا الفعل مقصود من المهاجرين والأنصار، حيث قال: هكذا تفعل المهاجرون والأنصار؟! ـ حتى قالها ثلاثاً ـ لأعطين..[2].

وقالوا أيضاً: فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: «ما بال أقوام يرجعون منهزمين، يجبنون أصحابهم؟!

أما والله لأعطين الخ..»[3].

وذكر نص آخر: انهزام أبي بكر وعمر وقال: حتى ساء رسول الله

---

(١) البحار ج٢١ ص١٥ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٦ وراجع: مدينة المعاجز ج١ ص١٧٤.

(٢) البحار ج٢١ ص١٢ عن الإحتجاج ج٢ ص٦٤.

(٣) البحار ج٢١ ص٢٨ عن الخرايج والجرايح ج١ ص١٥٩.

«صلى الله عليه وآله» ذلك، فقال: لأعطين الراية الخ..»[1].

فهذا الغضب والاستياء من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدل على: أن هزيمتهم لم يكن لها ما يبررها أصلاً.

بل إن قوله ثلاث مرات: هكذا تفعل المهاجرون والأنصار، يشير إلى أسف بالغ، وحسرة قوية، قد انتابته من فعلهم هذا، حيث يدل ذلك على أن ما يجري ليس بسبب قوة اليهود، بل هو نتيجة تخاذل، وجبن من أصحابه، ولهذا الجبن والخور دلالته السلبية..

ومما يؤكد ذلك كله: أن نفس المهاجرين والأنصار كانوا يتبادلون الاتهامات حول ما يجري، الأمر الذي يدل على قناعتهم بأن مسؤولية ما حصل تقع على عاتقهم أنفسهم.

ثالثاً: لو صح قولهم: إنهما قاتلا قتالاً شديداً، وجهدا، لم يصح تعريض النبي «صلى الله عليه وآله» بهما وبمن معهما، وإظهار الإزراء عليهما، وفضحهما على رؤوس الأشهاد. بل كان اللازم تقدير جهودهما، وجهادهما، وإغداق الأوسمة عليهما، فهذا الاستياء، وذلك التعريض والتأنيب، وإظهار الأسى والغضب يدل دلالة واضحة على أنهما قد ارتكبا بفرارهما أمراً عظيماً، وأن هذا الفرار كان على درجة كبيرة من القباحة والشناعة، جعلتهما يستحقان ذلك كله..

وبات من الضروري عقوبتهما بهذه الطريقة المؤلمة، التي تخلد اسميهما في سجل لا يحب أحد أن يكون له اسم فيه، وهو سجل الفرارين في

---

(١) البحار ج٢١ ص٢١ عن إعلام الورى ج١ ص٢٠٧.

الحروب، ثم هو يصف علياً «عليه السلام» بأوصاف، ويمنحه أوسمة تستبطن التعريض بهما، من حيث إنهما لا يستحقان شيئاً منها..

بل هي تظهر أنهما يحملان نقيضها، وهو الأمر القبيح الذي لا يصح الانطواء عليه بأي حال.

والأوصاف هي التالية:

١ـ يحب الله ورسوله:

فهو «صلى الله عليه وآله» قد وصف علياً «عليه السلام» بأنه يحب الله ورسوله ، مشيراً بذلك ـ فيما يظهر ـ إلى أن غيره لم يكن كذلك، فإن ادَّعى ذلك لنفسه، فأمثال هذه الدعاوى تكون ساقطة عن الاعتبار، لأن شواهد الامتحان في ساحات الجهاد والنزال، تكذبها.

ولو أن أياً منهما كان صادقاً فيما يدَّعيه لنفسه لفعل نفس ما فعله علي «عليه السلام»، ولم يؤْثر حفظ نفسه، والنجاة بها، ولو بارتكاب الفرار من الزحف، الذي هو من المحرمات العظيمة، مع علمه بما يترتب على هذا الفرار من سلبيات تتمثل باشتداد ميل الأعداء إلى الحرب، وتؤدي إلى هزيمة روحية للأولياء في ساحات الطعن والضرب.

ويتأكد ضعف المستوى من خلال ما جرى بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين عمر بن الخطاب، فقد قال عمر: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه.

فقال عمر: فأنت الآن ـ والله ـ أحب إلي من نفسي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الآن يا عمر؟![1].

ولا بد أن نتذكر هنا الآية الشريفة التي تقول:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2]

٢ـ يحبه الله ورسوله:

وإذا كان علي «عليه السلام» يحب الله ورسوله، فإن ذلك يستتبع القيام بما يمليه هذا الحب من الالتزام، والوفاء، والتضحية في سبيل الله ورسوله.. الأمر الذي ينشأ عنه حب الله ورسوله له «عليه السلام» أيضاً..

فكان من الطبيعي أن يأتي الوسام الآخر، وهو: أنه «عليه السلام» يحبه الله ورسوله، وهو وسام عظيم، خصوصاً مع ما يتضمنه هذا الوصف من التعريض بالذين هربوا، ليدل فرارهم على: أنهم لم يكونوا كذلك،

---

(١) مسند أحمد ج٤ ص٣٣٦ وصحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٨ ص١٦١ وعمدة القاري ج١ ص١٤٤ والمعجم الأوسط ج١ ص١٠٣ وكنز العمال ج١٢ ص٦٠٠ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٦ وج٣ ص٤٧٦ وتاريخ دمشق ج١٩ ص٨٧ وفتح الباري ج١ ص٥٦ وراجع: المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص٤٥٦ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٩.

(٢) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

فالمعيار لكسب رضا الله تعالى، ونيل محبته ومحبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ هو العمل الصالح، والجهاد، والتضحية، ولا تكفي الدعاوى العريضة، والعجيج، والضجيج في الرخاء، ثم الهرب في ساحات الجهاد، والحاجة إلى التضحية والفداء..

التزوير الرخيص.. تصرف وحذف:

وفي بعض الروايات جاءت العبارة هكذا: فقال «صلى الله عليه وآله» لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله[1].

وبعضها اكتفى بذكر الفقرة الثانية وهي قوله «صلى الله عليه وآله»: يحب الله ورسوله[2].

---

(١) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح) ج٥ ص١٧١ و ٢٣ والخصائص للنسائي (طبعة التقدم بمصر) ص٧.

(٢) منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٣٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ وراجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج٢ ص١٨٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥٢ و ٢٥٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٠٨ وجامع الأصول ج٩ ص٤٧٢ والإكتفاء (ط مكتبة الخانجي) ج٢ ص٢٥٨ وتذكرة الخواص ص٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ ومسند أحمد ج١ ص٣٣١ وج٢ ص٣٨٤ وج٤ ص٥٤ ولسان العرب ج١٤ ص٣٥٢ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ وسنن ابن ماجة (ط مكتبة التازية بمصر) ج١ ص٥٦ والسيرة النبوية لابن هشام (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٣٢ و ٤ و ٨ و ٧ وحلية الأولياء ج٤ ص٣٥٦ وج١ ص٦٢.

وبعضها اقتصر على الفقرة الأولى[1]. وهي قوله: يحب الله ورسوله.

ونقول:

إن هؤلاء ما فتئوا يسعون إلى الانتقاص من علي «عليه السلام»، وإخفاء فضائله بكل حيلة ووسيلة، وقد بدأت هذه السياسات منذ الصدر الأول، فقد أخفى أعداؤه «عليه السلام» فضائله حسداً، وأخفاها محبوه وأولياؤه خوفاً، وظهر من بين هذين ما ملأ الخافقين..

وعلينا في مثل هذه الموارد التي تغيظ حساد علي «عليه السلام» ومناوئيه، أن نتوقع ظهور حسيكة النفاق، وأن يتجلى الحقد الأعمى بصورة يصعب التستر عليها.. وهكذا كان، فإنهم حاولوا حتى إنكار قتله «عليه السلام» لمرحب، ونسبوه لمحمد بن مسلمة كما سيأتي بيانه إن شاء الله..

ونسبوا قتل سائر الفرسان إلى أبي دجانة تارة، وإلى الزبير أخرى.. ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الشانئون والحاقدون.. فإن فضائل علي «عليه السلام» وكراماته قد ظهرت في أصح الكتب عند شيعته، وعند غيرهم أيضاً، وأسفر الصبح لذي عينين.

أقوال النبي ﷺ في المصادر والمراجع:

وفي جميع الأحوال نقول:

قد ذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال في خيبر بعد فرار المهاجرين والأنصار:

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣.

لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»[1].

---

(١) تاريخ بغداد ج٨ ص٥ ومسند أحمد ج١ ص٩٩ و ١٨٥ وج٥ ص٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ وصحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وتاريخ البخاري ج١ ق٢ ص١١٥ وج٤ ص١١٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ فما بعدها، وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ و ١٢٠ وج٥ ص١٩٥ وتذكرة الخواص ص٢٤ و ٢٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢١٩ و ٢٢٠ وأسد الغابة ج٤ ص٢٥ و ٢٨ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ وسنن ابن ماجة (ط مكتبة التازية بمصر) ج١ ص٥٦ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٣٨ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٤ و ٥ و ٣٢ و ٦ و ٧ و ٨ ومنتخب كنز العمال ج٥ ص٤٤ و ٤٨ وج٤ ص١٣٠ و ١٢٧ و ١٢٨ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص٧٤ والمناقب المرتضوية (ط بمبي) ص١٥٨ ومدارج النبوة للدهلوي ص٣٢٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية) ج١ ص٢٣٧ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٩ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ وتاريخ الخلفاء (مطبعة السعادة بمصر) ص١٦٨ ونور الأبصار ص٨١ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص١٦٩ وتاج العروس ج٧ ص١٣٣ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٦ و ١٥٧ ومشارق الأنوار للصغاني (ط مكتبة الأستانة) ج٢ ص٢٩٢ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والعقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج٣ ص٩٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص١٧٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ و ١٣٢ و ٤٣٧ والشفاء (ط مصر) ج١ ص٢٧٢ والريـاض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ وج٢ ص١٨٨ =

ليس بفرار[1]

أو كرار غير فرار[2].

لا يرجع حتى يفتح الله عليه[3].

= و ١٩٠ ولباب التأويل ج٤ ص١٥٢ و ١٥٣ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ ومصابيح السنة (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج٢ ص٢٠١ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ وجامع الأصول ج٩ ص٤٦٩ و ٤٧١ و ٤٧٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ والبحار ج٢١ ص٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الورى ص١٠٧ و ١٠٨ وعن الخصال ج٢ ص١٢٠ و ١٢٤.

(١) مسند أحمد ج١ ص١٣٣ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٥ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والإستيعاب (مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٥ ص٤٨ وج٤ ص١٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ والبحار ج٢١ ص٢٠ عن الخصال ج٢ ص١٢٠ و ١٢٤.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٣٥٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ والبحار ج٢١ ص ٢٨ و ٢١ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الورى ص١٠٧ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٥ ص٤٨ والمناقب المرتضوية (ط بمبي) ص١٥٨ ومعارج النبوة ص٢١٩ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ و ١٨٧.

(٣) المعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ والمغازي ج٢ ص٦٥٣ والبحار ج٢١ ص٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الورى ص١٠٧ وعن الخصال ج٢ ص١٢٠.

يفتح الله على يديه[1].

أو قال: لا يولي الدبر، يفتح الله عليه[2].

فاستشرف لها الناس، فبعث علياً[3].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ ومصادر أخرى.

(٢) المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ وتاريخ بغداد ج٨ ص٥ والسنن الكبرى ج٩ ص١٠٧ والإستيعاب (مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ وتذكرة الخواص ص٢٤ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٥ ص٤٨ وج٤ ص١٣٠ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص٧٤ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٤ ولباب التأويل ج٤ ص١٨٢ و ١٨٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ ومعارج النبوة ص٢١٩ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخلفاء (ط مكتبة السعادة بمصر) ص١٦٨ ونور الأبصار ص٨١ وإسعاف الراغبين بهامشه ص١٦٩ وتاج العروس ج٧ ص١٣٣ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١.

(٣) مسند أحمد ج١ ص١٣٣ وراجع: تاريخ البخاري (ط حيدر آباد الدكن) ج١ ق٢ ص١١٥ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ وسنن ابن ماجة (ط المكتبة التازية بمصر) ج١ ص٥٦ والجامع الصحيح ج٥ ص٦٣٨ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٤ ص١٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها وراجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣.

أو فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها[1].

وفي اليوم التالي غدا الناس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلهم يرجو أن يعطاها[2].

وعند الراوندي: فتطاول جميع المهاجرين والأنصار، فقالوا: أما علي فهو لا يبصر شيئاً، لا سهلاً ولا جبلاً[3].

---

(١) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ وتاج العروس ج٧ ص١٣٣ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١ فما بعدها ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٠٥ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والسنن الكبرى ج٩ ص١٠٧ وجامع الأصول ج٩ ص٤٧٢ وتذكرة الخواص ص٢٤ وأسد الغابة ج٤ ص٢٢ والصواعق المحرقة (ط الميمنية بمصر) ص٧٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ وتاريخ الخلفاء (ط مكتبة السعادة بمصر) ص١٦٨ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ١٦٩ ونور الأبصار ص٨١.

(٢) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ والخصائص للنسائي ص٦ ومصابيح السنة (ط مكتبة الخيرية بمصر) ج٢ ص٢٠١ وتذكرة الخواص ص٢٤ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص٧٤.

(٣) البحار ج٢١ عن الخرايج والجرايح.

وعند الطبري: فتطاولت لها قريش ورجال، كل واحد منهم يرجو أن يكون هو صاحب ذلك(١).

وفي نص آخر: تطاول لها أبو بكر وعمر(٢).

ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم:

قال ابن الصباغ: «وفي صحيح مسلم: قال عمر بن الخطاب: فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، فتساورت لها، وحرصت عليها حتى أبديت وجهي، وتصديت لذلك ليتذكرني..

ثم قال: قالوا: وإنما كانت محبة عمر لما دلت عليه من محبته الله ورسوله، ومحبتهما له، والفتح»(٣).

ونقول:

إن سائر الروايات قد اقتصرت على القول: بأن عمر قال: ما أحببت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٠٧ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢١٩ وراجع: منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨.

(٢) راجع: منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ ص٣٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٨١ و ١٨٩.

الإمارة إلا يومئذٍ.

قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها[1].

فدعا علياً فأعطاه إياها، وقال: امش، ولا تلتفت.

فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟!

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم ومالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله[2].

---

(١) صحيح مسلم (ط محمد علي صبيح) ج٧ ص١٢١ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ والتاج الجامع للأصول ج٣ ص٣٢٦ ومسند أحمد ج٢ ص٣٨٤ وعن صحيح البخاري ج٧ ص٥٤٤ (٤٢٠٩ و ٤٢١٠) والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص٧ والطبقات لابن سعد (ط دار الثقافة الإسلامية مصر) ج٣ ص١٥٦ ومعارج النبوة ص٢١٩ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٠٥ وجامع الأصول ج٩ ص٤٧٢ وتذكرة الخواص ص٢٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ و ٧٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ والنهاية لابن الأثير ج٢ ص٤٢٠ وينابيع المودة ج١ ص١٥٤ والبحار ج٣٩ ص١٢ و ١٣ وشرح صحيح مسلم للنووي ج١٥ ص١٧٦ والديباج على مسلم ج٥ ص٣٨٧ ورياض الصالحين للنووي ص١٠٨ والجوهرة في نسب علي بن أبي طالب وولده ص٦٨ وشرح أصول الكافي للمازندراني ج٦ ص١٣٦ وج١٢ ص٤٩٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨.

(٢) صحيح مسلم (ط محمد علي صبيح) ج٧ ص١٢١ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ =

فهل كانت لدى ابن الصباغ نسخة من صحيح مسلم تختلف عن النسخة التي وصلت إلينا..

أم أن أحداً قد كتب في هامش نسخته توضيحاً لكلام عمر، فظنه ابن الصباغ جزءاً من الرواية، فأدرجه فيها..

أو أن ابن الصباغ نفسه قد شرح كلمة عمر بالنحو المتقدم، لكن نساخ كلامه قد أسقطوا (كلمة).

أي أن كل ذلك محتمل ويؤيد هذا الاحتمال الأخير: أن الماحوزي نقل كلام ابن الصباغ بإضافة ما يدل على أنه بصدد توضيح كلام عمر فراجع[1].

٣ ـ كرار غير فرار:

وإذا أردنا العودة إلى شرح كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي في خيبر، فإننا نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» لا يكتفي بالإشارة إلى فرار هؤلاء الناس، بل هو يتحدث عن أنهم كثيرو الفرار، حتى كأن هذا الأمر قد أصبح عادة لهم، في حين أن علياً «عليه السلام» ليس بفرار، بل هو كثير الكر، حتى أصبح

= والتاج الجامع للأصول (ط مصر) ج٣ ص٣٢٦ ومسند أحمد ج٢ ص٣٨٤ والخصائص للنسائي ص٧ والطبقات لابن سعد (ط دار الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ وتذكرة الخواص ص٢٤ و ٢٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨.

(١) كتاب الأربعين للماحوزي ص١٨١ و ١٨٩.

ذلك عادة له أيضاً..

٤ـ لا يولي الدبر:

ثم أكد ذلك بقوله: لا يولي الدبر، مستفيداً من تعبير يؤكد شعور السامع بالنفرة من عملهم هذا.

٥ـ لا يرجع حتى يفتح الله عليه:

ثم يزيد «صلى الله عليه وآله» في توضيح ما يرمي إليه، بقوله: لا يرجع.. أي كما رجع أولئك، حتى يفتح الله سبحانه عليه، لأن الفتح كرامة إلهية، ولطف رباني، يختص الله به من هو أهل للكرامة، ومستحق للطف.. وهو ذلك الذي يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد مهد تلك المقدمات لينتهي إلى هذه النتيجة، بصورة عفوية وطبيعية.

فكأنها من القضايا التي تكون قياساتها معها..

٦ـ لا يخزيه الله أبداً:

وورد في بعض النصوص قوله «صلى الله عليه وآله»: لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، أي إنه «صلى الله عليه وآله» قد تقدم خطوة أخرى في سياق الإعلان عن قبح الفرار الذي حصل، ليدلنا ذلك على أنه لا يمكن المرور عن هذا الأمر مرور الكرام، لشدة خطورته، وعميق تأثيره، مما يعني بقاء تبعاته وآثاره تلاحق الذين صدر منهم ذلك، وتلقي بكلاكلها على سمعتهم، وعلى موقعهم. وذلك حين ألمح على سبيل التعريض الذي هو

أبلغ من التصريح إلى أن الفرار من موجبات الذل، والمهانة، والخزي، الذي هو أشر أنواع السقوط.

ولتُلاحظ: كلمة أبداً أيضاً في كلامه «صلى الله عليه وآله»، فإنها قد جاءت لتفيد المزيد من التأكيد على براءة ونزاهة ذلك المبعوث من هذا الأمر الشنيع.

حتى أنت يا عمر؟!:

وقد روي: أن عمر لما سمع النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، قال: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ وراجع: شرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٦ و ١٣٧ و ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٥٠٣ وأمالي الطوسي ص٣٨٠ والعمدة ص١٤٤ و ١٤٩ والطرائف لابن طاووس ص٥٩ والبحار ج٢١ ص٢٧ وج٣٩ ص١٠ و ١٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٩٠ ومقام الإمام علي للعسكري ص٣٠ و ٤٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٢٢٩ وأضواء على الصحيحين ص٤٣٢ وعن صحيح مسلم ج٧ ص١٢١ وعن فتح الباري ج٧ ص٤٧ و ٣٦٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١ و ١٨٠ وعن خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٧ ورياض الصالحين للنووي ص١٠٨ وعن تفسير ابن كثير ج١ ص٣٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٤٥٩ وج٤٢ ص٨٣ و ٨٤ وعن الإصابة ج٤ ص٤٦٦ وعن البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٧٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤٢٢ وعن عيون الأثر ج١ ص٢٩١ ونشأة التشيع ص١٢٠ وعن التاج الجامع للأصول ج٣ ص٣٣١ ورواه الشيخان.

ونقول:

١ ـ الظاهر هو: أنه قد ذكر ذلك عن نفسه ليقول للناس: إنه لم يكن من طلاب الدنيا فما جرى بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما كان لأجل الحفاظ على الإسلام، وعلى أهله..

٢ ـ إن عمر قد فهم من الأوصاف التي أوردها النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه يقصد ترشيح صاحب تلك الأوصاف لما هو أعظم من قيادة الجيش ومن أخذ الراية يوم خيبر.

فهو يريد أن يقول:

إن الذي يفتح الله على يديه، ويحب الله ورسوله، هو الذي يصلح لحمل الأمانة من بعده، وهو سيد العرب كما تقدم.

أما من عداه فليس له الحق؛ لأنه لا يؤمن على ذلك.

فكأن عمر أراد أن يظهر: أن هذه الميزات كانت موجودة فيه، ولذلك رشح نفسه للإمارة، وصار يتعرض لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

٣ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد منح أبا بكر وعمر، كلاً على حدة فرصة للفوز بالفتح، وتحقيق النصر العظيم، فضيعاها. ورجعا منهزمين.

بل ورد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد منح الفرصة لعمر مرتين، فما معنى تجدد حب الإمارة لدى عمر، بعد أن أعلن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه سيعطي الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؟!

فقد يقال: إن ذلك جاء بدافع الحسد المذموم..

وقد يقال: إن هذا الأمر قد جاء نتيجة الإحساس بأنه بعد فراره هو

وصاحبه قد أصبحا في موضع التهمة، وأن عليه أن يستعيد شيئاً من ماء الوجه، مع علمه بمقصود النبي «صلى الله عليه وآله»، فعرض نفسه لذلك، وطلب الراية لنفسه، مع يقينه بأنه لن يختاره، هو ولا غيره من الفارين، فإن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين، ولا يصح، ولا يفيد تجريب المجرب، إلا من السفيه، وغير المتوازن. وحاشا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يكون كذلك.

٤ ـ إن المفروض: أن يكون نفس كلام النبي «صلى الله عليه وآله» مانعاً لعمر، ولغيره ممن هم مثله من التصدي للراية، ولا يجوز لهم بمقتضاه أن يطلبوها من جديد، إذ إن الكرار غير الفرار، هو ذلك الذي كان من عادته الكر، دون الفر، وقد ظهر عملياً أنه ليس كذلك، فما معنى صدور هذا التمني منه، وما معنى أن يتطاول لها؟. وما معنى رجاءه أن يُدْعى لها؟ ثم أن يبادر إلى طلبها؟!

٥ ـ إن عمر يقول: إنه لم يتمن الإمارة إلا يومئذٍ، مع أنه هو نفسه يقر ويقسم على أنه قد تمنى هذا الأمر مرة أخرى، وذلك عندما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: لتسلمن، أو لأبعثن إليكم رجلاً مني، وفي رواية: مثل نفسي، فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ وراجع: الطرائف لابن طاووس ص٦٥ والبحار ج٣٨ ص٣٢٥ وج٤٠ ص٨٠ والمناقب للخوارزمي ص١٣٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٨١ والعدد القوية للحلي ص٢٥٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٦٠ وفي الهامش روى الحديث في أواسط ترجمة أمير المؤمنين =

قال عمر: فوالله، ما تمنيت الإمارة إلا يومئذٍ، وجعلت أنصب صدري له، رجاء أن يقول: هو هذا.

فالتفت «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام»، وقال: هو هذا، هو هذا.

فعمر يقول هنا: ما تمنيت الإمارة إلا يومئذٍ.

وفي غزوة خيبر يقول: ما تمنيت الإمارة، إلا ذلك اليوم.. فأيهما هو الصحيح؟!..

أم أنه قد تمنى الإمارة في كلا الموردين؟!

هذا كله.. عدا عن السؤال الذي يطرح نفسه، وهو: أنه حين هاجم بيت الزهراء «عليها السلام»، بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واعتدى عليها بالضرب، وتسبب في إسقاط جنينها المحسن، وفي استشهادها «عليها السلام»، ألم يكن ذلك منه حباً بالإمارة، وطلباً لها، وإزهاقاً لأرواح أقدس الخلق من أجلها؟!

وكيف نفسر قول أمير المؤمنين «عليه السلام» له حينئذٍ: احلب حلباً لك شطره؟![1].

= «عليه السلام» من كتاب الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٤٦ وأما عبد الرزاق فروى الحديث في فضائل علي «عليه السلام» تحت الرقم ٢٣٨٩ من كتاب المصنف ج١١ ص٢٢٦، وليلاحظ: ترجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج٢ ص٣٧٣.

(١) راجع: الإحتجاج ج١ ص٩٦ والصراط المستقيم ج٢ ص٢٢٥ وج٣ ص١١ و ١١١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٧٣ والبحار ج٢٨ ص٢٨٥ و ٣٨٨ =

وقوله «عليه السلام» عنه، وعن أبي بكر: لشد ما تشطرا ضرعيها؟![1].

وغير ذلك..

مقارنة ذات مغزى:

وعلينا أن نتأمل كثيراً في موقف عمر الآنف الذكر، حيث تمنى الإمارة في خيبر تارة، وفي ثقيف أخرى.. وبين موقف أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه لما بلغه ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله»، عن الذي سوف يعطيه الراية، قال: «اللهم لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت..»[2].

= وج٢٩ ص٥٢٢ و ٦٢٦ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٠٠ والسقيفة للمظفر ص٨٩ والغدير ج٥ ص٢٧١ ونهج السعادة ج٥ ص٢١٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٨ وتثبيت الإمامة ص١٧ وأنساب الأشراف ص٤٤٠ والإمامة والسياسة (تحقيق زيني) ج١ ص١٨ وبيت الأحزان ص٨١ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص٢٥٧.

(١) نهج البلاغة (الخطبة الشقشقية) ج١ ص٣٣ ورسائل المرتضى ج٢ ص١٠٩ والإحتجاج ج١ ص٢٨٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٦٧ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٩٠ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٥٧ والنص والإجتهاد ص٢٥ والغدير ج٧ ص٨١ وج١٠ ص٢٥ والمعيار والموازنة لابن الإسكافي ص٤٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٦٢ و ١٧٠ والدرجات الرفيعة ص٣٤ وبيت الأحزان ص٨٩ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص٢٨٢ وشرح شافية ابن الحاجب للأسترآبادي ج١ ص٧٨.

(٢) البحار ج٢١ ص٢١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٧ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٤.

فهو «عليه السلام» يعتبر: أن ذلك كرامة إلهية، يختص الله تعالى بها من يشاء.

أما بالنسبة لتمنيات عمر، فنقول:

ألف: إن كان يقصد بأنه أحب الإمارة، طمعاً منه في ملاقاة العدو، فيرد عليه:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قبل ذلك قد نهى عن لقاء العدو، وقال: لا تتمنوا لقاء العدو[1]. فما معنى أن يخالف عمر هذا النهي

---

(١) قد تقدم الكلام حول هذه الفقرة في فصل سابق وراجع: المعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ والمستدرك على الصحيحين ج٣ ص٣٨ وتنوير الحوالك ص٦٤٤ والمحلى لابن حزم ج٧ ص٢٩٣ وفقه السنة للسيد سابق ج٢ ص٦٤٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٤٠ وسنن الدارمي ج٢ ص٢١٦ وعن صحيح البخاري ج٤ ص٩ وعن صحيح مسلم ج٥ ص١٤٣ وعن سنن أبي داود ج١ ص٥٩٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٦ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٤٥ وج١٤ ص٢٠٧ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٦٠ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٨٩ ومسند أبي يعلى الموصلي ج٢ ص١٥١ ومسند ابن أبي أوفى ص١١٧ والكافي في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٣٧٣ والأذكار النووية ص٢٠٩ و ٢١٠ ورياض الصالحين للنووي ص٨٦ و٥٣٤ و ٥٤٠ والجامع الصغير ج٢ ص٧٢٩ وكنز العمال ج٤ ص٢٩١ و ٣٦١ وفيض القدير ج٦ ص٥٠٤ وكشف الخفاء ج٢ ص٣٤٩ و ٣٥٩ وإرواء الغليل ج٥ ص٧ وتفسير الثوري ص١١٩ وعن تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤١٧ وج٢ ص٣٢٨ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٣٣ و ٢٤٥ وعن الدر المنثور ج٣ ص١٨٩ وتفسير الثعالبي ج١ ص٤٨٩ وسير أعلام النبلاء ج٦ ص٧ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٨٣ وج٥ ص١٢٠ وج٩ ص١١٤.

من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ثانياً: إنه قد جرب حظه مرتين، ومع هذا العدو بالذات، ولم يتغير شيء بين الأمس واليوم.

ب: وإن كان قد تمنى وتطاول إلى الحصول على الإمارة، لما دلت عليه من محبة الله ورسوله، وحصول الفتح، فهو أعجب، وأعجب. فإن كل الناس يعرفون ـ وعمر بن الخطاب منهم ـ: أن في جهاد العدو رضا الله ورسوله.

وأن محبة الله ورسوله لا تنال إلا بالعمل الصالح، والطاعة والانقياد في الحرب والسلم، والسراء والضراء، وهو عارف بنفسه إن كان قد أطاع الله ورسوله، ولبى نداء الواجب في جهاد العدو أم أنه لم يقم بذلك.

سعادتهم برمد علي عليه السلام:

لقد أظهرت النصوص المختلفة: أن قريشاً والمتأثرين بمنهجها، والتابعين لها، كانوا سعداء بابتعاد علي «عليه السلام» عن الساحة، ولعلهم ظنوا: أن كل الدور سيكون لهم، وأن الانتصارات والإنجازات ستحقق على أيديهم، وأن جميع الأوسمة، ستكون من نصيبهم..

وهذا أول الغيث، فإنه «صلى الله عليه وآله» يعلن عن وسام جديد وهو: أنه سيعطي الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه..

وفي جميع الأحوال نقول:

إنه بعد أن قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً الخ.. غدت قريش يقول بعضهم لبعض:

«أما علي فقد كفيتموه، فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه»[1].

غير أن علياً «عليه السلام» لما سمع مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «اللهم لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت».

وربما يكون قد دار في خلدهم: أن هذه الأوسمة تعطى جزافاً، وأن وجود علي «عليه السلام» بينهم كان هو العائق لهم عن نيلها.. وأن فرارهم السابق لا يضر، فلعل الجيش الذي سوف يقودونه سيجد الفرصة لتحقيق النصر أو لعل بعضهم قد ظن أن هذا الفتح ـ الذي وعدهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ سيكون سهلاً؛ لأنه وعد تضمن الإشارة إلى التدخل الإلهي الذي يأتي بالفتح، فلا تعب ولا نصب، بل هي معجزة يظهرها الله تعالى، وينتهي الأمر.. وهم أهل لأن يظهر الله سبحانه المعجزات لمصلحتهم ومن أجلهم..

وهذا سوف يعوضهم عن النكسة التي مني بها أحباؤهم، الذين هربوا بالراية أكثر من مرة في هذه الحرب.

ولعل فيهم أيضاً من احتمل أن يكون لغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» تأثير على روحيات المقاتلين، الذين سوف يهاجمون الحصن بقوة واندفاع، يوفر على حاملي الراية جهداً، ويحقق لهم نصراً على أيدي غيرهم، ويظهر لهم فضلاً يكون لهم بمثابة الغنيمة الباردة التي يحلم بها الضعفاء، والفرارون عادة..

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣١٩ والبحار ج٢١ ص٢١ عن ابن جرير وأبي إسحاق، وإعلام الورى ج١ ص٢٠٧.

يضاف إلى ذلك: أن نفس هذا التصدي، واستعراض العضلات، ربما يسهم في تبرئة القادة الذين فروا، وكان أصحابهم يجبنونهم، ويجعل التهمة بالجبن والفرار موجهة لغيرهم، أكثر مما هي موجهة إليهم.

والأهم من ذلك كله: أن أي رجل يأخذ الراية لسوف يكون له كل الفضل على الذين هربوا حتى لو كان هو واحداً منهم، ولا سيما بعد غضب الرسول «صلى الله عليه وآله»، واستيائه، وبعدما قاله في حقهم تصريحاً تارة، وتلويحاً أخرى.

كلهم يرجو أن يُعطاها:

ولا ندري كيف يرجو أولئك الذين فروا بالراية، مرة بعد أخرى وربما أكثر من ثلاث مرات، أن يعطيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الراية مرة رابعة، أو خامسة؟!

فهل هم يحسبون أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يملك موازين صحيحة؟

أم يظنون أنه شديد النسيان إلى هذا الحد؟

أم أنه يخضع لتأثيرات الهوى، والميول، والعصبيات؟!

أم أنهم هم أنفسهم قد خولطوا في عقولهم؟!

أم أنهم يظنون أن الرسول سوف يخصهم بمعجزة إلهية، يستطيع هو أن يختار لها من أحب؟!

ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هو الذي يقول: لا يلدغ المؤمن

من جحر مرتين[1]، فكيف يتوقع منه أبو بكر وعمر أن يعطيهما الراية، وهما

---

(١) راجع: مجمع الزوائد ج٨ ص٩٠ ومسند ابن راهويه ج١ ص٣٩٥ والأدب المفرد ص٢٧٢ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٢٤٠ والديباج على مسلم ج٦ ص٢٩٩ وعن فتح الباري ج١٠ ص٤٣٩ و ٤٤٠ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٤٣٨ والمعجم الكبير ج٢ ص٢٢٢ و ج١٧ ص٢٠ والمعجم الأوسط ج٧ ص٣٤ و ٨٣ وج١ ص٣١ ومسند الشاميين ج١ ص١٦١ ومعرفة علوم الحديث ص٢٥٠ ومسند الشهاب ج٢ ص٣٤ ورياض الصالحين ص٧١١ وعن الجامع الصغير ج٢ ص٧٥٨ وعن كنز العمال ج١ ص١٤٧ و ١٦٦ وفيض القدير ج٦ ص٥٨٨ والفتوح لابن أعثم ج٣ ص٥٧ وسبل السلام للعسقلاني ج٤ ص٥٥ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٥٥١ والصراط المستقيم ج١ ص١١٤ وعن بحار الأنوار ج١١٠ ص١٠ وعن مسند أحمد ج٢ ص١١٥ وسنن الدارمي ج٢ ص٣١٩ وعن البخاري ج٧ ص١٠٣ وعن مسلم ج٨ ص٢٢٧ وعن سنن أبي داود ج٢ ص٤٤٨ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٢٠ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٨ ص١١٤ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٩٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص٢٠٧ وكشف الخفاء ج٢ ص١٨٥ و ٣٧٤ و ٣٧٥ والأحكام لابن حزم ج٧ ص٩٦٨ والضعفاء الكبير للعقيلي ج١ ص٧٤ والمجروحون لابن حبان ج١ ص٤٠ والكامل لابن عدي ج٣ ص٣٣١ و ٤٤٤ و ج٤ ص٦٥ والعلل للدارقطني ج٩ ص١٠٩ و ١١١ وتاريخ بغداد ج٥ ص٤٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٥ ص٣٧٢ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٤٠ و ٣٤٢ والذريعة ج٢٥ ص٥١ وتاريخ جرجان ص٣١٤ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٨١ و ج٤ ص٥٣ وتنزيه الأنبياء ص١١٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٤ و ٦١٨ والشفاء لعياض ج١ ص٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٨٦ وج٣ ص٩٢ وعن عيون الأثر ج١ ص٤٠١.

لا يكادان يلتقطان أنفاسهما من عناء الهروب، الذي يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعالج سلبياته وآثاره؟.

وكيف يتطاولان لها، وهما السبب في اتخاذ النبي «صلى الله عليه وآله» هذا القرار الحاسم، وهو أن يعطي الراية لكرار غير فرار؟!.

حتى قريش:

والأغرب من ذلك أن يصرح المؤرخون: بأن قريشاً هي التي تطاولت لهذا الأمر، ورجا كل واحد منهم أن يكون هو صاحب الراية، فما هو المبرر لهذا الطموح القبائلي القرشي؟!

ومتى كانت قريش ـ بما هي قبيلة ـ مهتمة بأمر الجهاد والتضحية والعطاء؟! فإننا لا ننكر: أن بعض أفرادها قد جاهد وضحى، ولكنهم لم يكونوا أفضل من غيرهم في ذلك..

أم يظنون: أن يغلب الحس العشائري على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيخص عشيرته بالامتيازات، ولو لم تكن مستحقة لها؟!

لماذا الإعلان المسبق؟!

وقد لوحظ هنا أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وعد الناس بأن يعطي الراية في اليوم التالي لرجلٍ ذكره لهم بوصفه دون اسمه..

مع أنه كان يمكنه «صلى الله عليه وآله»: أن يسكت في ذلك اليوم، ثم يطلب في اليوم التالي حضور علي «عليه السلام»، فيعطيه الراية، ويمكن أن يطلق عليه تلك الأوصاف في ساعة إرساله «عليه السلام» للقتال..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» أراد للناس أن يفكروا في هذا الأمر، وأن

يطبقوه على هذا تارة، وعلى ذاك أخرى.. وأن يتمناها الفرارون، وأن تشرئب إليها الأعناق، في الوقت الذي كان لا يمر في خيال الجميع أو في وهمهم حتى احتمال أن يكون المقصود هو علي «عليه السلام» لأن الجميع يعرفون أنه «عليه السلام» يعاني من الرمد ما يعاني.. ولذلك لم يعطه رسول الله «صلى الله عليه وآله» الراية في أيام رمده، حتى أظهر الله تعالى ضعف وخور أولئك القوم، وعرف الناس حقيقتهم، وأنهم لم يكونوا أهلاً لما يؤملونه، وليسوا في المواضع التي يضعون أنفسهم فيها.

وقد استقرت كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» ـ في وصف صاحب الراية ـ في أنفسهم، وطبقوها على الكثيرين منهم، واستمرت الاحتمالات والمقارنات بين الأوصاف وبين ما ظهر من صفات المدَّعين للمقامات طيلة تلك الليلة.. حتى تبين لهم في اليوم التالي خطؤهم جميعاً في حساباتهم، وأن أحداً من الناس الذين فكروا فيهم لا يملك تلك الصفات.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» أجَّل إطلاق كلماته تلك لليوم التالي فلربما لا يفكر أحد بتلك الصفات، ولا يقوم بأية مقارنة تطبيقية، بل قد يظن الكثيرون أنها مجرد مدائح طارئة، وأوسمة يطلقها الرئيس على القادة عادة، لتشجيع فرسانهم، وشحذ عزائمهم، وقد لا تكون فضفاضة على أصحابها في مجال التطبيق.

التدخل الإلهي:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أنه حين ظهر إحجام هؤلاء الناس عن القيام بواجبهم الشرعي في دفع العدو، تدخل الله تعالى لحفظ دينه

بصورة إعجازية، وذلك بشفاء علي «عليه السلام» من دون أن يؤثر ذلك على خيار واختيار أعدائه تعالى، أي أنه تعالى لم يحل بينهم وبين ما يريدون، ولم يشل حركتهم، ولم يمنعهم من ممارسة حقهم الطبيعي، فليس لهم أن يشعروا بأنهم قد ظلموا في ذلك..

كما أنه لم يقهر المسلمين ولا علياً «عليه السلام» على التصدي للحرب، بل اكتفى بإزالة الموانع من طريق علي «عليه السلام» بشفاء عينيه، وأفسح المجال له لكي يختار، بعد أن أساء الآخرون الاختيار، فاختاروا الحياة الدنيا، وأنفسهم، وأظهروا: أن أنفسهم أحب إليهم من الله ورسوله..

النبي ﷺ يصنع المعجزة:

وشفاء عيني علي «عليه السلام» وإن كان معجزة صنعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم، ولكنها لم تكن المعجزة التي يتوقف عليها إقناع الناس بالنبوة. لأن معجزة النبوة هي القرآن الكريم.

وقد كان الناس مقتنعين بنبوته «صلى الله عليه وآله»، بالاستناد إليها، أو إلى غيرها من موجبات ذلك..

كما أن هذا الشفاء لم يأت ابتداءً من الله تعالى ليظهر سبحانه فضل النبي «صلى الله عليه وآله»، أو علي «عليه السلام». بل هو أمر تعمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه أن يفعله. وقد اختاره، وقصد إلى إيجاده بعد أن لم يكن، مما يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» عارف به، ومختار له، واثق بالنتيجة قبل حصولها.. وعارف بأنه يملك القدرة على فعله، من خلال ما خوله الله تعالى إياه..

وهذا يشير إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» يملك قدرات تمكِّنه من التأثير التكويني في أمور واقعية ومادية خارجية، من دون استخدام الوسائل المعتادة. بل من خلال هذه القدرات التي يملكها، وأن القضية ليست مجرد دعاء، قد استجابه الله تعالى له.

وهذا يفسر ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد تفل في عيني علي «عليه السلام»، وبزق في إلية يده، فدلك بها عينيه، أو نحو ذلك.

ولا بد من التوقف والتأمل في حقيقة أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بالدعاء والطلب إلى الله تعالى أن يشفيه، بل قرن ذلك بممارسة عملية تؤكد: أنه يريد أن ينجز عملاً يقع تحت قدرته وباختياره.

متى رمدت عينا علي عليه السلام؟

وأما حديث: أن علياً «عليه السلام » قد تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبقي في المدينة، فلما سار «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر، قال علي: لا، أنا أتخلف؟!

فلحق برسول الله «صلى الله عليه وآله». فلا يصح؛ وذلك لما يلي:

أولاً: إذا كان علي «عليه السلام» يعاني من رمد في عينيه، حتى إنه لم يكن يبصر، فإنه كان غير قادر على السير إلا بقائد يقوده، ومدبر يدبره، فإلى من أوكلت هذه المهمة يا ترى في كل هذه المدة الطويلة؟! فإن كان قائده هو سلمة بن الأكوع.

فإن الرواية قد صرحت: بأنه جاء به يقوده إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في قضية قتل مرحب فقط..

فكيف جاء من المدينة؟! وكيف كان ينتقل من حصن إلى حصن، ومن مكان إلى مكان لقضاء حوائجه؟!

وبعد.. فإن تخلف علي «عليه السلام» في المدينة لا بد أن يكون بإذن من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. كما أن مسيره لا بد أن يكون بإذن منه، فهل استأذن «عليه السلام» في الخروج من المدينة؟ أم أنه فعل ذلك من عند نفسه؟ وإذا كان قد خرج بإذنه «صلى الله عليه وآله» وبعلمه، فلماذا لم يخرجه معه، فإن حاله لم يختلف؟ وإن كان قد أذن له بالخروج، فكيف أذن له وهو بهذه الحالة؟ وكيف؟ وكيف؟

ثانياً: إنهم يقولون: إن سبب رمد عيني علي «عليه السلام» هو دخان الحصن الخيبري نفسه، وليس شيئاً آخر عرض له في المدينة، فراجع[1]. فإذا صح هذا، فلا يكون ثمة مبرر لبقائه في المدينة، كما زعموا.

ثالثاً: صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطى اللواء في غزوة خيبر إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»[2].

وقد أعطاه إياه في أول حصن ورد عليه، وباشر معه القتال فيه، وهو حصن ناعم، وقد هاجم هو نفسه ذلك الحصن بالذات، فقتل معه «عليه السلام»[3] عبد يهودي اسمه ياسر، وكان قد أسلم آنئذٍ.

---

(١) راجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ والمسترشد للطبري ص٢٩٩ وراجع: كنز العمال ج١٠ ص٩٢.

(٢) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٤٨ والمطالب العالية ح٤٢٠٢ والمغازي للواقدي ج١ ص٤٠٧ وج٢ ص٦٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٩.

فكيف يعطيه اللواء، وهو لا يبصر طريقه؟!

رابعاً: قال المفيد: «كانت الراية يومئذٍ لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب»[1].

أي إن هذا الرمد قد عرض له بعد أن تسلم الراية..

خامساً: إن الرواية نفسها تدل على أن رمد عيني علي «عليه السلام» قد كان طارئاً في تلك الفترة، وأنه لم يدم برهة، بحيث يصل خبر ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

فقد ذكرت الرواية: أنه في يوم قتل مرحب: أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصلى الغداة، ثم دعا باللواء، ووعظ الناس، فقال: أين علي؟

قالوا: يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه..

فلما جيء به قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ما لك؟!

قال: رمدت، حتى لا أبصر ما قدامي.

فظاهر السياق يعطي: أن الناس كانوا يرون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن على علم بأمر الرمد، فأخبروه به.

وسؤال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: ما لك؟ وجواب علي «عليه السلام» له يقطع كل عذر، ويزيل كل شبهة في ذلك.

ولو كان علي «عليه السلام» غائباً عن ساحة القتال كل هذه الأيام، لعلم بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا سيما وأنه هو الذي يعتمد

---

(١) راجع: الإرشاد ج١ ص١٢٦.

عليه في حروبه، وهو القريب منه، والذي يواصل الاتصال به، والتفقد له، وهو حامل لوائه، وقائد جيوشه..

علي عليه السلام فاجأهم:

وفي البخاري وغيره: أن علياً «عليه السلام» رمدت عيناه في المدينة، فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحق به، فوصل في لحظة إعطاء الراية.

ففاجأ حضور علي «عليه السلام» الناس، لأنهم كانوا لا يرجون حضوره، حتى إنهم حين رأوه قالوا بعفوية: هذا علي.

ونقول:

قد ذكرنا فيما تقدم: أن رمد عيني علي «عليه السلام» إنما حصل في أواخر أيام الحصار، بل لقد صرحت بعض الروايات: أن الرمد إنما أصابه بسبب دخان الحصن..

وأما الحديث الدال على أنهم فوجئوا بحضور علي «عليه السلام»، فقد يكون بعضه صحيحاً إذا كان أكثر الناس لم يلتفتوا، أو لم يسمعوا كلام النبي «صلى الله عليه وآله»، حين سأل عن علي «عليه السلام»، فتصدى عمار بن ياسر، أو سلمة بن الأكوع لإخباره أو إحضاره. فلما جاء به فوجئوا بحضوره.

أما إن كان المقصود: أنهم كانوا يعتقدون أن رمده قد منعه من الخروج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة إلى خيبر، ثم لحق به ..

فقد تقدم: أنه لم يفارق رسول الله «صلى الله عليه وآله» منذ خروجه من المدينة، حسبما أوضحناه.

لباس علي عليه السلام في الحر والبرد:

ورووا عن علي «عليه السلام» أنه قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث إليَّ وأنا أرمد العين يوم خيبر، فقلت: يا رسول الله، إني أرمد!!

فتفل في عيني، فقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذٍ.

وذكروا: أنه «عليه السلام» كان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين. ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين[1].

ونقول:

أولاً: قد ذكروا: أن رجلاً دخل على علي «عليه السلام» وهو يرعد

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٩٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ وسنن ابن ماجة (ط المكتبة التازية بمصر) ج١ ص٥٦ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٥ والعقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج٣ ص٩٤ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٢ وتذكرة الخواص ص٢٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج٢ ص١٨٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥٢ و ٢٥٣ والبحار ج٢١ ص٤ و ٢٠ و ٢٩ عن الخرايج والجرايح، وعن الخصال ج٢ وعن دلائل النبوة للبيهقي والميزان (تفسير) ج١٨ ص٢٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص١٢١ عن ابن جرير، والبزار، وأحمد، وابن أبي شيبة، والطيالسي، والمستدرك، والبيهقي، وغيرهم والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٩٧ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٨٨ و ٨٩ ومجمع البيان (ط سنة ١٤٢١هـ) ج٩ ص١٥٥.

تحت سمل قطيفة، (أي قطيفة خلقة) فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل لك في هذا المال نصيباً، وأنت تصنع بنفسك هكذا.

فقال: لا أرزؤكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة[1].

قال الحلبي: «قد يقال: لا مخالفة، لأنه يجوز أن تكون رعدته رضي الله عنه ليست من البرد، خلاف ما ظنه السائل، لجواز أن تكون لحمى أصابته في ذلك الوقت»[2].

ويرد عليه:

أن هذا تأويل بارد، ورأي كاسد، بل فاسد؛ فإن ظاهر الكلام: أن رعدته قد كانت بسبب رقة ما يلبسه، وهو قطيفة خلقة (أي بالية)، وأنه لو استفاد من نصيبه من المال، ولبس ما يدفع هذا البرد لم يكن ملوماً. فما يجري له كان هو السبب فيه، وهو الذي أورده على نفسه.. وقد أصر «عليه السلام» على عدم المساس بالمال الذي تحت يده.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٧٧ وعن ينابيع المودة ج٢ ص١٩٥ والبحار ج٤٠ ص٣٣٤ والتذكرة الحمدونية (ط بيروت) ص٦٩ ومختصر حياة الصحابة (ط دار الإيمان) ص٢٥٣ والأموال (ط دار الكتب العلمية) ص٢٨٤ وقمع الحرص بالزهد والقناعة ص٧٩ وصفة الصفوة (ط حيدرآباد الدكن) ج١ ص١٢٢ وحلية الأولياء ج١ ص٨٢ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٢٩٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٢٨٤ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٧٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦.

ولعلهم أرادوا في جملة ما أرادوه من هذا الحديث: أن يشككوا الناس بزهده «عليه السلام» في ملبسه، وأن يقولوا لهم: إن ذلك بسبب عدم شعوره بحر ولا برد.

ثانياً: إننا لا نجد أي ارتباط بين شكوى علي «عليه السلام» من الرمد، وبين الدعاء المنسوب للنبي «صلى الله عليه وآله» وهو: اللهم أذهب عنه الحر والبرد. فإنه «عليه السلام» لم يكن يشكو من حر ولا برد.

بل كانت شكواه من رمد عينيه، فهل هذا إلا من قبيل أن تقول لإنسان: إني عطشان، فيقول لك: نم على السرير؟!

ثالثاً: حتى لو كان قد دعا له بإذهاب البرد والحر عنه.. فإنه لا يجب استمرار أثر ذلك حتى الممات، بل يكفي أن لا يشعر بالبرد والحر في ذلك اليوم، أو في أيام خيبر مثلاً.

ويدل على ذلك: أنهم قد رووا عن بلال، قوله: أذَّنت في غداة باردة فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم ير في المسجد أحداً، فقال: أين الناس يا بلال؟!

قال: منعهم البرد.

فقال: اللهم أذهب عنهم البرد.

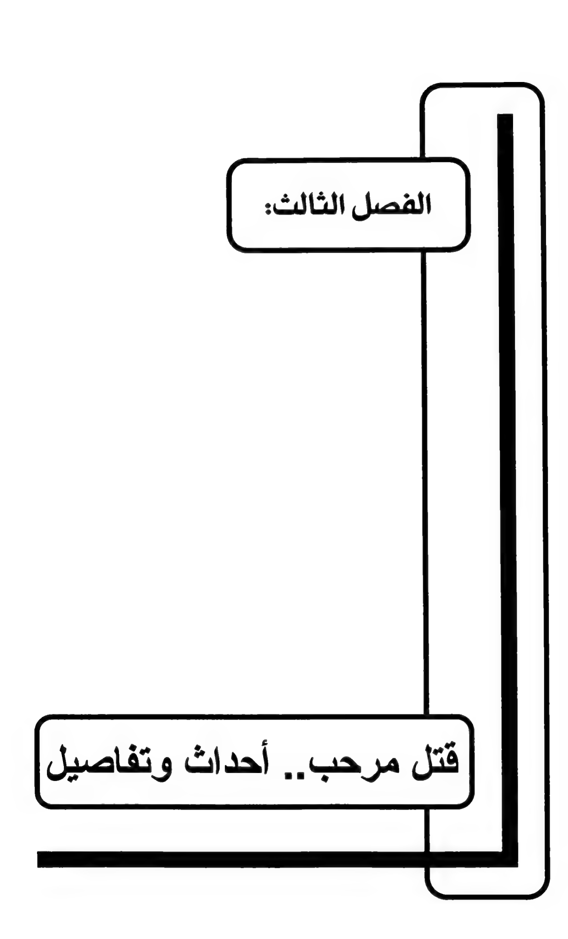
قال بلال: فرأيتهم يتروحون[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٤ عن البيهقي، وأبي نعيم، والطبراني ومجمع الزوائد للهيثمي ج١ ص٣١٨ والكامل لابن عدي ج١ ص٣٤٦ والموضوعات لابن الجوزي ج٢ ص٩٣ وأسد الغابة ج١ ص٢٠٩ وميزان الإعتدال ج١ ص٢٨٩ ولسان الميزان لابن حجر ج١ ص٤٨٢ والبداية والنهاية ج٦ ص١٨٥.

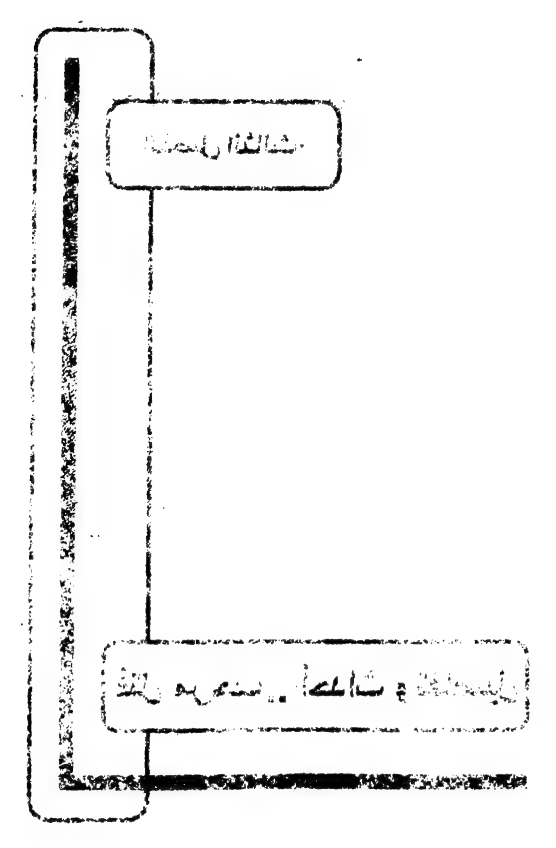
فلماذا لم يستمر ذهاب البرد عنهم إلى أن خرجوا من الدنيا؟ كما يزعمونه بالنسبة لعلي «عليه السلام»؟!

أم أن هذه هي القصة الواقعية، وقد استُفيد منها في قصة خيبر، لحاجة في أنفسهم؟!



الفصل الثالث:

قتل مرحب.. أحداث وتفاصيل



علوتم والذي أنزل التوراة:

وعن قول اليهودي لما سمع باسم علي «عليه السلام»: علوتم، والذي أنزل التوراة على موسى، نقول:

إن أبا نعيم قال: «فيه دلالة على أن فتح علي لحصنهم مقدم في كتبهم، بتوجيه من الله وجهه إليهم، ويكون فتح الله تعالى على يديه».

وهي التفاتة جليلة من أبي نعيم، ويؤيدها:

أولاً: ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي «عليه السلام»: خذ الراية، وامض بها فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في قلوب القوم..

واعلم يا علي، أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه (إيليا)، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي.

فإنهم يُخذلون إن شاء الله تعالى الخ..»[1].

ثانياً: إن مرحباً نفسه قد هرب لما سمع باسم علي «عليه السلام»، وكانت ظئره قد أخبرته: بأن اسم قاتله حيدرة.

---

(١) البحار ج٢١ ص١٥ عن الإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٦ وراجع: كتاب الأربعين للماحوزي ص٢٩٥ وكشف الغمة للإربلي ج١ ص٢١٣.

وقد زعموا: أنها قالت له ذلك: لأنها كانت تتعاطى الكهانة.

والجواب: إن كونها تتعاطى الكهانة لا يعطيها القدرة على معرفة الغيب الإلهي، فإنه تعالى وحده ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ..﴾[1].

ويشهد لذلك: أننا وجدنا في جملة الأقوال حول تسمية علي «عليه السلام» بحيدرة: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحيدرة..

وسيأتي بعض الحديث عن ذلك، تحت عنوان: «من سمى علياً «عليه السلام» بحيدرة» إن شاء الله تعالى.

ولعل هناك من يريد اعتبار قول اليهودي: علوتم (أو غلبتم) والذي أنزل التوراة على موسى، قد جاء على سبيل التفؤل بالاسم..

ونحن وإن كنا لا نصر على بطلان هذا الاحتمال، باعتبار أن الذين يشتد تعلقهم بالدنيا يتشبثون ولو بالطحلب، ويخافون حتى من هبوب الرياح، ويتشاءمون ويتفاءلون بالخيالات والأشباح..

غير أننا نقول:

إنه مع وجود الشواهد والمؤيدات لما ذكره أبو نعيم، لا يبقى مجال لترجيح الاحتمال الآخر..

ونزيد هنا: أن ما أكد لهم صحة ما ورد في كتبهم، هو ما تناهى إلى مسامعهم من مواقف علي «عليه السلام» التي تظهر أنه أهل لما أهَّله الله تعالى له، كما دلت عليه معالي أموره في المواقع المختلفة في الحرب، وفي

---

(١) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الجن.

السلم على حد سواء، ومن ذلك مبيته «عليه السلام» على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، وجهاده في بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والنضير، و.. و.. الخ..

قتل علي عليه السلام مرحباً والفرسان الثمانية:

قالوا: ثم خرج أهل الحصن إلى ساحة القتال.. أما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه لما أصبح أرسل إلى علي «عليه السلام» وهو أرمد، فتفل في عينيه. قال علي «عليه السلام»: فما رمدت حتى الساعة. ودعا له، ومن معه من أصحابه بالنصر.

فكان أول من خرج إليهم الحارث أبو زينب، أخو مرحب في عادية (أي ممن يعدون للقتال على أرجلهم) ـ قال الحلبي: وكان معروفاً بالشجاعة ـ فانكشف المسلمون، وثبت علي «عليه السلام»، فاضطربا ضربات، فقتله علي «عليه السلام».

ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وأغلقوا عليهم، ورجع المسلمون إلى موضعهم..

وخرج مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب الخ....

فحمل عليه علي «عليه السلام» فقطَّره (أي ألقاه على أحد قطريه، أي جانبيه) على الباب، وفتح الباب، وكان للحصن بابان[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ و ٦٥٤ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤.

ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وبرز عامر، وكان رجلاً جسيماً طويلاً، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين برز وطلع عامر: «أترونه خمسة أذرع»؟ وهو يدعو إلى البراز.

فخرج إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذفَّف عليه، وأخذ سلاحه.

قال ابن إسحاق: ثم برز ياسر وهو يقول:

قد علمت خيبر أني ياسر ... شاكي السلاح بطل مغاور

إذا الليوث أقبلت تبادر ... وأحجمت عن صولة المساور

إن حسامي فيه موت حاضر

قال محمد بن عمر: وكان من أشدائهم، وكان معه حربة يحوس الناس بها حوساً.

فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت إلا خليت بيني وبينه، ففعل .

فقالت صفية لما خرج إليه الزبير: يا رسول الله، يقتل ابني؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بل ابنك يقتله، إن شاء الله»، فخرج إليه الزبير وهو يقول:

قد علمت خيبر أني زبار ... قرم لقرم غير نكس فرار

ابن حماة المجد، ابن الأخيار ... ياسر لا يغررك جمع الكفار

فجمعهم مثل السراب الختار

ثم التقيا فقتله الزبير.

قال ابن إسحاق: وذكر أن علياً هو الذي قتل ياسراً.

قال محمد بن عمر: وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للزبير لما قتل ياسراً: فداك عم وخال.

ثم قال: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير وابن عمتي»[1].

وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم، والبيهقي: أن مرحباً خرج وهو يخطر بسيفه.

وفي حديث ابن بريدة، عن أبيه: خرج مرحب وعليه مغفر معصفر يماني، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلهب

قال سلمة: فبرز له عامر (أي عامر بن الأكوع) وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر ... شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، وكان سيفه فيه قصر، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، وفي رواية: أصاب عين ركبته، وكانت فيها نفسه.

قال بريدة: فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلهب ... وأحجمت عن صولة المغلب

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ و ١٢٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥١.

فبرز له علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها، وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة   كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرحباً ففلق رأسه، وكان الفتح[1].

وفي نص آخر: أن علياً «عليه السلام» أجاب مرحباً بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة   كليث غابات كريه المنظرة

عبل الذراعين شديد القصورة   أضرب بالسيف وجوه الكفرة

ضرب غلام ماجد حزوَّرة   أكيلكم بالسيف كيل السندرة[2]

وفي حديث بريدة، فاختلفا ضربتين، فبدره علي «عليه السلام» بضربة (بذي الفقار) فقدَّ الحجر، والمغفر، ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وفي نص آخر: سمع أهل العسكر صوت ضربته. وقام الناس مع علي

---

(١) صحيح مسلم ج٥ ص١٩٥ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ و ٣٥١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية بطهران) ص١٧٦ ولباب التأويل ج٤ ص١٨٢ و ١٨٣ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ و ١٨٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها ومعالم التنزيل (ط مصر) ج٤ ص١٥٦ وحياة الحيوان ج١ ص٢٣٧ وطبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٧ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٧.

(٢) تذكرة الخواص ص٢٦.

حتى أخذ المدينة[1].

وفي نص آخر: ضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته.

قال: وما تتام آخر الناس مع علي «عليه السلام» حتى فتح لأولهم[2].

وفي نص آخر: «فخرج يهرول هرولة، فوالله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن.

قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا.

وصاح سعد: اربع يلحق بك الناس.

فأقبل حتى ركزها قريباً من الحصن الخ..»[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٦ و ١٢٥ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢ و ٣٧ و ٣٨ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها، ولباب التأويل ج٤ ص١٨٢ و ١٨٣ ومعارج النبوة ص٢١٩ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ وراجع بعض ما تقدم في: إمتاع الأسماع ص٣١٥ و ٣١٦.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ وراجع: العمدة لابن البطريق ص١٤١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥ والسنن الكبرى ج٥ ص١١٠ و ١٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٥ وعن الإصابة ج٤ ص٤٦٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٠ وفضائل الصحابة لابن حنبل ج٢ ص٦٠٤.

(٣) البحار ج٢١ ص٢٢ عن إعلام الورى ج١ ص٢٠٨ وفي هامشه قال: انظر الإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٥ والخرائج والجرائح ج١ ص١٥٩ و ٢٤٩ والمغازي للواقدي.

وفي بعض النصوص: «أن مرحباً لما رأى أن أخاه قد قتل خرج سريعاً من الحصن في سلاحه، أي وقد كان لبس درعين، وتقلد بسيفين، واعتم بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً، وحجراً قد ثقبه قدر البيضة، ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان، وذكر أن ياسراً خرج بعد مرحب»(١).

ولم يكن بخيبر أشجع من مرحب ولم يقدر أحد من أهل الإسلام أن يقاومه في الحرب(٢).

وزعموا: أن محمد بن مسلمة قتل أسيراً أيضاً(٣).

وعن علي «عليه السلام» قال: لما قتلت مرحباً، جئت برأسه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٤).

قال الدياربكري: قيل هذا ـ أي قتل علي مرحباً ـ هو الصحيح، وما نظمه بعض الشعراء يؤيده، وهو:

علي حمى الإسلام من قتل مرحب ... غداة اعتلاه بالحسام المضخم

وفي رواية قتله محمد بن مسلمة(٥).

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و ٣٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٥٠.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٠.

(٣) إمتاع الأسماع ص٣١٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٧ ومسند أحمد ج١ ص١١١ وتذكرة الخواص ص٢٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦ ص١٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٧.

(٥) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٥ عن جماعة من السفاف والمعاندين ادَّعوا: أن مرحباً قتله محمد بن مسلمة، وادّعوا، وادَّعوا.

وسيأتي الكلام حول ذلك، وأنه مكذوب ومختلق.

ولنا مع هذه النصوص وقفات عديدة، نكتفي منها بما يلي:

قطع رأس مرحب لماذا؟!

بالنسبة لما روي من أن علياً «عليه السلام» قد قطع رأس مرحب، وجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نقول:

أولاً: هو أمر لم نعهده منه «عليه السلام» في مختلف مواقفه الجهادية..

وثانياً: إننا لا نرى مبرراً لتصرف كهذا. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» وكذلك علي «عليه السلام» لم يكونا ممن يرغب في التشفي من الأشخاص، لا في حياة أولئك الأشخاص، ولا بعد مماتهم، بل كانا يريدان دفع الفساد، وإقامة الدين.

ثالثاً: إنه إذا كان «عليه السلام» قد شق رأس مرحب وجسده نصفين حتى بلغ السرج[1]، كما ذكرته بعض الروايات؛ فإن قطع الرأس في هذه الحال يصبح بمثابة جمع أشلاء، وحمل قطع ذات منظر مثير، وهو أمر لا يليق فعله بالإنسان العادي، فكيف بأنبل الناس، وأشرفهم، وأكرمهم؟!

صفية تتدخل لمصلحة ولدها:

وأما قصة الزبير، وأن أمه قد خافت عليه، حين برز لذلك اليهودي. فنحن نشك في صحتها. وذلك لما يلي:

أولاً: إنهم يقولون: إن هذه القضية قد حصلت في بني قريظة، حيث

---

(١) معارج النبوة ص٣٢٣ و ٢١٩.

برز أحد الأعداء، فقال النبي «صلى الله عليه وآله» للزبير: قم يا زبير.

فقالت أمه صفية: واحدي يا رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله» أيهما علا صاحبه قتله، فعلاه الزبير فقتله. فنفله رسول الله «صلى الله عليه وآله» سلبه وقال: السلب للقاتل[1].

ثم نجد الحلبي يشكك في هذه القضية أيضاً، فيقول: فليتأمل، فإني لم أقف في كلام أحد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة[2]

فأي ذلك هو الصحيح؟!.

ثانياً: قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» قد قال للزبير حين قتل ياسراً: فداك عم، وخال.. يثير أمامنا سؤالاً عن السبب في اختيار تفديته بالعم والخال، دون الأب والأم كما هو المعتاد، ومن هو العم المقصود بالتفدية؟! فهل أراد أن يفديه بعمه المشرك أبي لهب، أو بعمه الآخر أبي طالب، الذي يزعمون أنه مات مشركاً أيضاً؟! مع أن دعواهم الثانية في أبي طالب محض افتراء وبهتان، كما أثبتناه في كتابنا: «ظلامة أبي طالب عليه السلام».

ومن هو الخال الذي يقصدونه؟ وهل كان مسلماً أم مشركاً؟!

ولماذا ترك «صلى الله عليه وآله» تفدية الزبير بأبويه، مع أنهم يزعمون أنه كان قد فداه بهما في أحد، وفي بني قريظة[3].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ عن الزمخشري والمغازي للواقدي ج٢ ص٥٠٤.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٥٠٥.

(٣) المواهب اللدنية ج١ ص١١٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢١٧ وراجع ص٣٢٧ و ٣٢٨ كلاهما عن الشيخين.

وقال الترمذي: حديث حسن. والتاريخ الكبير للبخاري ج٦ ص ١٣. =

قال ابن عبد البر: ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبويه مرتين: يوم أُحد، ويوم بني قريظة.

فقال: ارم فداك أبي وأمي[1].

ورغم: أنهم يقولون هذا، فإنهم ينكرونه في موضع آخر فيقولون أيضاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يجمع أبويه لأحد إلا لسعد بن أبي وقاص[2].

ثالثاً: زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال للزبير حين قتل ياسراً: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير وابن عمتي».

مع أنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له ذلك، حين جاءه بخبر بني قريظة[3].

فأيهما هو الصحيح؟ وإن كنا نعتقد بعدم صحة أي منهما أيضاً.

فقد ذكرنا في غزوة بني قريظة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما استخبر عن أمر بني قريظة بواسطة سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فلم

= وقول الزبير الأخير: موجود في السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ و ١٠ وكذا في سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ لكنه لم يصرح ببني قريظة. وحدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٠ عن الصحيحين، وليس فيهما تصريح ببني قريظة أيضاً. وفيه: أنه لما قال له الزبير: أنا، قال: إن لكل نبي حواري، وإن حواريي الزبير. وراجع: صحيح البخاري كتاب أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، باب مناقب الزبير.

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٢١٧ و ٢٢٩.

(٢) السيره الحلبية ج٢ ص٢٢٩ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٨٤.

(٣) المغازي ج٢ ص٤٥٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢١٧.

يكن هناك حاجة لإرسال الزبير.

رابعاً: صرحت بعض الروايات: بأن الزبير كان أيضاً قد طلب الراية يوم خيبر، وأنه كان قد فرَّ بها، وأنه «صلى الله عليه وآله» لم يعطه إياها بل قال «صلى الله عليه وآله»: والذي كرم الله وجه محمد لأعطين الراية رجلاً لا يفر، هاك يا علي[1].

وسيأتي بعض الحديث عن ذلك إن شاء الله تعالى..

الزبير حواري رسول الله ﷺ:

وأما الحديث الذي يقول: لكل نبي حواري، وإن حواريي الزبير، وابن عمتي..

فلا نشك: في أنه مكذوب على الرسول «صلى الله عليه وآله»..

ويكفي أن نذكر شاهداً على ذلك:

أولاً: روى الكشي بسنده عن أسباط بن سالم، عن الإمام الكاظم «عليه السلام» أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواريِّ محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآله»، الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟!

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٤ وراجع: شرح الأخبار ج١ ص٣٢١ والعمدة ص١٤٠ و ١٤٣ وفضائل الصحابة ج٢ ص٦١٧ ح١٠٥٤ و ص٥٨٣ ح٩٨٧ وذخائر العقبى ص٧٣ عن مسند أحمد ج٣ ص١٦ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٥٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٠٤ و ١٠٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١٢ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٢ وينابيع المودة ص١٦٤ ومصادر أخرى تقدمت.

فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر.

ثم ينادي منادٍ: أين حواريّ علي بن أبي طالب «عليه السلام» الخ..؟[1].

ثانياً: ما معنى وما فائدة قوله في الحديث المزعوم: وابن عمتي؟! فهل لم يكن الناس يعلمون: أن الزبير كان ابن عمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وما فائدة كونه كذلك، إذا كان سوف يخالف أمره «صلى الله عليه وآله»، ويخرج على أخيه ووصيه، وابن عمه علي بن أبي طالب «عليه السلام»؟!. وسيخرج زوجته «صلى الله عليه وآله» من خدرها، ويسير بها في البلاد لتعينه على حرب علي «عليه السلام»..

لقد كان ابن نوح أقرب إلى نوح من أي إنسان آخر، ولكن ذلك لم ينفعه، حين آثر الكفر على الإيمان والخيانة على الأمانة..

ولقد كان أبو لهب أقرب الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الزبير، ولكن ذلك لم ينفعه أيضاً، حين اختار أن يحارب الله ورسوله..

---

(١) سفينة البحار ج٢ ص١٩٤ عن رجال الكشي، والبحار ج٣٤ ص٢٧٥ و ج٢٢ ص٣٤٢ والإختصاص (ط النجف) ص٥٥ وروضة الواعظين (ط سنة ١٣٨٦هـ) ص٢٨٢ وراجع: شجرة طوبى ج١ ص٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٦٥ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢١٠ وإختيار معرفة الرجال ج١ ص٤١ وجامع الرواة للأردبيلي ج١ ص١١٠ و ٥٤٥ والدرجات الرفيعة ص٤٣٢ وطرائف المقال ج٢ ص٣٤٠ و ٥٩٣ ومعجم رجال الحديث ج٤ ص١٥٦ وج٩ ص١٩٧ وج٢٠ ص١٠٩ وتهذيب المقال ج٤ ص٢٠٠ والشيعة في أحاديث الفريقين ص٥١٨.

بل إن قرابته هذه سوف تزيد من عذابه في نار جهنم، لأنه يكون بها أشد إساءة إلى الرسول «صلى الله عليه وآله»، وإلى دين الله تعالى، حيث ستكون سبباً في صدود الناس عنه «صلى الله عليه وآله» وعن الدين الذي جاء به.

كما أن هذه القرابة القريبة آكد في إقامة الحجة عليه، بسبب شدة قربه من الرسول «صلى الله عليه وآله»، واطِّلاعه على أحواله، وعلى صدقه وصحة ما جاء به..

ثالثاً: من أين لنا، وكيف يمكن إثبات أن لكل نبي حوارياً؟ فإن القرآن قد صرح: بأن عيسى «عليه السلام» هو الذي كان له حواريون، كما أن الروايات تقول: إن للنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أيضاً حواريين..

ولم نجد مثل ذلك لسائر الأنبياء «عليهم السلام»، سواء أكانوا من أولي العزم، أم من غيرهم.

رابعاً: بماذا استحق الزبير أن يكون حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون سائر الصحابة، ممن كانوا أقرب إليه «صلى الله عليه وآله» منه بمراتب؟!

خامساً: روى هشام بن زيد، عن أنس، قال: سألت النبي «صلى الله عليه وآله»: من حواريك يا رسول الله؟!

فقال: الأئمة بعدي اثني عشر، من صلب علي وفاطمة «عليهما السلام». وهم حواريي، وأنصار ديني[1].

---

(١) البحار ج٣٦ص٢٧١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢١٣ وراجع: كفاية الأثر ص٦٩.

وفي نص آخر: عن أبي المفضل، عن رجاء بن يحيى العبرتائي الكاتب، عن محمد بن خلاد الباهلي، عن معاذ بن معاذ، عن ابن عون، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك، قال:

سألت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن حواريّ عيسى «عليه السلام»، فقال: كانوا من صفوته وخيرته، وكانوا اثني عشر، مجردين، مكمشين في نصرة الله ورسوله، لا زهو فيهم، ولا ضعف، ولا شك، كانوا ينصرونه على بصيرة ونفاذ، وجدٍّ وعناء.

قلت: فمن حواريك يا رسول الله؟

فقال: الأئمة من بعدي اثنا عشر، من صلب علي وفاطمة، هم حواريي، وأنصار ديني عليهم من الله التحية والسلام[1].

لماذا تعظيم الزبير؟!

من الواضح: أن سياسة هؤلاء تقضي بتعظيم كل من ناوأ علي بن أبي طالب «عليه السلام» وحاربه، فمن الطبيعي إذاً أن نجدهم يهتمون بمنح الزبير الأوسمة وأن ينحلوه الكثير من البطولات التي لا يستحقها، بل من الطبيعي أن يختلسوا مواقف أمير المؤمنين «عليه السلام» ويمنحوها لأعدائه الذين أحبوهم لبغضهم علياً «عليه السلام»، والزبير ـ كما هو معلوم ـ قاد جيشاً وحارب علياً «عليه السلام» وتسبب بقتل الألوف من المسلمين والمؤمنين، ولكن الدائرة قد دارت عليه حتى قتل وهو منهزم كما دلت عليه

---

(١) البحار ج٣٦ ص٣٠٩ وكفاية الأثر ص١٠.

النصوص الكثيرة.

وأما بشارته «عليه السلام» لابن جرموز ـ قاتل الزبير ـ بالنار، فإنما هي إخبار بالغيب عما سيؤول إليه أمر ابن جرموز من المروق من الدين، وصيرورته خارجياً، وليس لأجل أن الزبير قد تاب وانصرف عن الحرب. ولو كان لأجل ذلك لكان أقاده به، ولما طلَّ دمه.

وإنما قلنا: إنه قتل وهو منهزم، استناداً إلى نصوص كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١ ـ إنه حينما ذكّر علي «عليه السلام» الزبير بقول رسول «صلى الله عليه وآله» له: «أما إنك ستحاربه، وأنت ظالم له».

رجع الزبير إلى صفوفه، واتهمه ولده عبد الله بالجبن وقال له:

ما أراك إلا جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير: ويلك، أتهيجني على حربه؟! أما إني قد حلفت ألا أحاربه.

قال: كفِّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني.

ثم أنصل سنان رمحه، وحمل على عسكر علي «عليه السلام» برمح لا سنان له.

فقال علي «عليه السلام»: أفرجوا له، فإنه محرج.

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة.

ثم قال لابنه: أجبناً ـ ويلك ـ ترى؟!

فقال: لقد أعذرت[١].

٢ ـ وقد قال همام الثقفي:

أيعتق مكحولاً ويعصي نبيه ... لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق

أينوي بهذا الصدق والبر والتقى ... سيعلم يوماً من يبر ويصدق[٢]

٣ ـ وقد قال النجاشي الشاعر، في رثائه لعمرو بن محصن الأنصاري:

ونحن تركنا عند مختلف القنا ... أخاكم عبيد الله لحماً ملحّبا

بصفين لما ارفض عنه رجالكم ... ووجه ابن عتاب تركناه ملغبا

وطلحة من بعد الزبير، ولم ندع ... لضبة في الهيجا عريفاً ومنكبا[٣]

٤ ـ وروى البلاذري: أن ابن الزبير لما جبَّن أباه وعيَّره، قال له: حلفت ألا أقاتله.

قال: فكفر عن يمينك.

فأعتق غلاماً له يقال له: سرجس. وقام في الصف بينهم[٤].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج١ ص٢٣٤ وراجع: تلخيص الشافي ج٤ ص١٥٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ والفصول المختارة ص١٠٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج٤ ص٥٠٢ والكامل في التاريخ ج٣ ص٢٤٠ و ٢٦١ وتذكرة الخواص ص٧١ والبحار ج٣٢ ص٢٠٥.

(٢) البحار ج٣٢ ص ٢٠٥.

(٣) شرح النهج للمعتزلي (ط سنة ١٩٦٤م) ج٢ ص٨١٩.

(٤) تلخيص الشافي ج٤ ص ١٤٣ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص ١٦٧ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج٤ ص ٥٠٩ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٢٥٤.

٥ ـ و قال عبد الرحمن بن سليمان:

لم أر كـــاليوم أخـــا إخـــوان أعـجب مـــن مـــكفر الأيمـــان

بالعتق فــي معصيـة الـرحـمن

٦ ـ وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكــحولاً لـــصون ديــنه كفــارة لله عـــن يـمينـــــه

والنكـــث قـــد لاح على جبينه[1]

٧ ـ وكتب «عليه السلام» إلى أهل الكوفة يخبرهم بالفتح، ويقول:

«فقتل طلحة والزبير. وقد تقدمت إليهما بالمعذرة، وأبلغت إليهما بالنصيحة، واستشهدت عليهما صلحاء الأمة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين الخ..»[2].

٨ ـ وعن سليم في حديث قال: ونشب القتال، فقتل طلحة، وانهزم الزبير[3].

٩ ـ وعن الحسن قال: إن علياً «عليه السلام» لما هزم طلحة والزبير أقبل الناس مهزومين فمروا بامرأة حامل الخ..[4].

١٠ ـ وذكر الحاكم: أن علياً «عليه السلام» نادى في الناس: أن لا

---

(١) تلخيص الشافي ج٤ ص ١٤٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج٤ ص ٥٠٢ وتذكرة الخواص ص ٧١.

(٢) تلخيص الشافي ج٤ ص١٣٦.

(٣) البحار ج٣٢ ص ٢١٧.

(٤) البحار ج ٣٢ ص ٢١٤.

ترموا أحداً بسهم ولا تطعنوا برمح، ولا تضربوا بسيف، ولا تطلبوا القوم.. إلى أن قال:

ثم الزبير قال لأساورة كانوا معه: ارموهم برشق. وكأنه أراد أن ينشب القتال.

فلما نظر أصحابه إلى الانتشاب لم ينتظروا، وحملوا.

فهزمهم الله، ورمى مروان طلحة الخ..»[1].

وهذا يدل: على أن الوقعة الفاصلة قد حصلت بفعل الزبير نفسه وحضوره، وأن الهزيمة وقعت عليه وعلى أصحابه.

١١ ـ وذكر الطبري: أنه «لما انهزم الناس في صدر النهار نادى الزبير: أنا الزبير، هلموا إليَّ أيها الناس، ومعه مولى له ينادي: أعن حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» تنهزمون؟!.

وانصرف الزبير نحو وادي السباع»[2].

١٢ ـ وذكروا أيضاً: أن كعب بن سور أقبل إلى عائشة، فقال: أدركي، فقد أبى القوم إلا القتال، فركبت، وألبسوا هودجها الأدراع، ثم بعثوا جملها، فلما برزت من البيوت وقفت واقتتل الناس، وقاتل الزبير، فحمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه، ويقول: أتقتلني، يا أبا اليقظان؟

فيقول: لا، يا أبا عبدالله.

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص ٣٧١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج٤ ص ٥١٢.

وإنما كف عنه الزبير لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: تقتل عماراً الفئة الباغية. ولولا ذلك لقتله.

وبينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة.. فقالت: ما هذا؟

قالوا: ضجة العسكر.

قالت: بخير أو بشر؟

قالوا: بشر.

فما فجأها إلا الهزيمة.

فمضى الزبير من سننه في وجهه، فسلك وادي السباع، وجاء طلحة سهم غرب الخ..[1].

أضاف ابن الأثير قوله عن الزبير: وإنما فارق المعركة، لأنه قاتل تعذيراً لما ذكر علي «عليه السلام»[2].

١٣ ـ ونص آخر يقول: «لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، مضى الزبير حتى مرّ بمعسكر الأحنف الخ..»[3].

١٤ ـ وعن محمد بن إبراهيم قال: «هرب الزبير على فرس له، يدعى بذي الخمار، حتى وقع بسفوان، فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي الخ..»[4].

١٥ ـ وفي نص آخر: «هرب الزبير إلى المدينة، حتى أتى وادي السباع،

---

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٣ ص ٢٤٣ وراجع ص ٢٦٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص ٥٠٧.

(٢) الكامل ج٣ ص٢٤٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٥٣٤.

(٤) الجمل ص ٣٨٧.

فرفع الأحنف صوته الخ..»[1].

١٦ ـ وعن أبي مخنف وغيره: مضى الزبير حين هزم الناس يريد المدينة، حتى مر بالأحنف أو قريباً منه الخ..[2].

١٧ ـ ولعل ما ذكره البلاذري إذا ضممناه إلى ما تقدم يصلح بياناً لحقيقة ما جرى.

فقد روى عن قتادة، قال: لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل، فأفضى علي إلى الناحية التي فيها الزبير، فلما واجهه قال له: يا أبا عبد الله، أتقاتلني بعد بيعتي وبعدما سمعت من رسول الله في قتالك لي ظالماً؟!

فاستحيا وانسل على فرسه منصرفاً إلى المدينة، فلما صار بسفوان لقيه رجل من مجاشع يقال له: النَعر بن زمام، فقال له: أجرني.

قال النعر: أنت في جواري يا حواري رسول الله.

فقال الأحنف: وا عجباً!! الزبير لفّ بين غارين (أي جيشين) من المسلمين، ثم قد نجا بنفسه الخ..[3].

فالمراد بانصراف الزبير هو انصراف الهزيمة، لا انصراف التوبة كما هو ظاهر هذا النص إذ لو كان قد انصرف عن القتال على سبيل التوبة، لما احتاج إلى من يجيره.

---

(١) الجمل ص ٣٩٠.

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٢٥٤.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص٢٥٨.

وقد صرحت سائر النصوص التي ذكرناها آنفاً بهذه الهزيمة.

صيغة أخرى لما جرى في خيبر:

قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قال لعلي «عليه السلام» قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله..

ولكن نصاً آخر ذكر تفصيلاً لهذه الوصية يحتاج إلى الكثير من الدراسة والتأمل، فإنه «صلى الله عليه وآله» حين دفع إليه الراية قال له:

«سر في المسلمين إلى باب الحصن، وادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: إما أن يدخلوا في الإسلام، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وأموالهم لهم..

وإما أن يذعنوا للجزية والصلح، ولهم الذمة، وأموالهم لهم.

وإما الحرب.

فإن اختاروا الحرب فحاربهم.

فأخذها وسار بها والمسلمون خلفه، حتى وافى باب الحصن، فاستقبله حماة اليهود، وفي أولهم مرحب يهدر كما يهدر البعير.

فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ثم دعاهم إلى الذمة فأبوا، فحمل عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام» فانهزموا بين يديه ودخلوا الحصن وردوا بابه، وكان الباب حجراً منقوراً في صخر، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور كأنه حجر رحى، وفي وسطه ثقب لطيف، فرمى أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوسه من يده اليسرى، وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى، لأن السيف كان في يده اليمنى، ثم جذبه إليه

فانهار الصخر المنقور، وصار الباب في يده اليسرى.

فحملت عليه اليهود، فجعل ذلك ترساً له، وحمل عليهم فضرب مرحباً فقتله، وانهزم اليهود من بين يديه؛ فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه، فمر الحجر الذي هو الباب على رؤس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر.

قال المسلمون: فذرعنا المسافة التي مضى فيها الباب فكانت أربعين ذراعاً، ثم اجتمعنا على الباب لنرفعه من الأرض وكنا أربعين رجلاً حتى تهيأ لنا أن نرفعه قليلاً من الأرض»[1].

ونقول:

إننا نذكر القارئ بالأمور التالية:

١ ـ إن من ينقض العهود، ويخون المواثيق إنما يعامله الناس بحزم وبقسوة، ولا يعطونه عادة أي خيار، ولا يمنحونه أية فرصة للاختيار، أما إذا تكررت تلك الخيانات، وظهر تصميمه على ممارسة العدوان في أية فرصة تسنح له، فلا يترددون في سحقه، وتدميره، واقتلاعه من جذوره..

ولكن نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»، لم يعامل اليهود بهذه الروحية، بل عاملهم بالعفو وبالتسامح، وبالسعي لمجرد إبطال كيدهم، ودفع شرهم. رغم تكرر خياناتهم له، وإصرارهم على نقض العهود، وإعلانهم الحرب عليه.

---

(١) البحار ج٢١ ص٢٩ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦١ وراجع: إحقاق الحق ج٥ ص٣٦٨.

فها هو يقدم لهم خيارات تمنحهم الحياة، وتعفيهم من العقوبة، بل إن بعض تلك الخيارات يمنحهم حصانة، وحقوقاً، تساويهم مع سائر من هم معه «صلى الله عليه وآله»..

إنه يقول لهم: إن أسلموا حقنوا دماءهم، واحرزوا أموالهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم.

وإن لم يفعلوا ذلك.. فإنه أيضاً لا ينظر إليهم نظرة العدو والمحارب، بل هو يعطيهم فرصة أخرى للعيش بأمن وسلام، وتكون أموالهم لهم، ولهم ذمة المسلمين.

٢ ـ إن اقتلاع باب خيبر كان كافياً لإقناع اليهود بعدم جدوى الحرب، وبأن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووصيه، وأولياءه مؤيدون من الله.. وكان كافياً لأن تستسلم قلوبهم لنداء الضمير والوجدان، ويعلنوا إيمانهم وإسلامهم.

ولكن ذلك لم يكن، بل عكسه هو الذي كان، فقد حملوا على علي «عليه السلام» مرة أخرى..

فحمل عليهم وهزمهم..

٣ ـ ثم رمى ذلك الباب من يده إلى مسافات بعيدة، فكان ذلك يكفي رادعاً آخر لهم عن غيهم، ودافعاً لهم ليثوبوا إلى رشدهم، وليعلنوا إيمانهم. ولكن ذلك لم يحصل أيضاً.

٤ ـ والأغرب من كل هذا وذاك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يغيِّر طريقة تعامله معهم، بل بقي يعتمد سياسة الصفح، والرفق والتخفيف. فهو بعد كل هذا العناد، والتحدي والإصرار على مواصلة الحرب، لم ينتقم

منهم، ولم يواجههم بما يستحقونه، بل قبِل بأن يعملوا له في الأرض، وأن يعطوه نصف ما يحصل منها.. مع أنهم لا يستحقون البقاء على قيد الحياة، فضلاً عن أن يكون «صلى الله عليه وآله» هو الذي يهيء لهم الفرصة للحصول على ما يعتاشون به، ويلبي لهم حاجاتهم.

من سمى علياً عليه السلام بحيدرة؟!

قد تقدم: أن علياً «عليه السلام» قال في مواجهة مرحب:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة   كليث غابات كريه....

وقال ثابت بن قاسم: في تسمية علي «عليه السلام» بحيدرة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحيدرة.

الثاني: أن أمه فاطمة بنت أسد «رضي الله عنها» حين ولدته، كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها. فقدم أبوه فسماه علياً.

الثالث: أنه كان لقب في صغره بحيدرة، لأن «الحيدرة» الممتلئ لحماً مع عظم بطن. وكذلك كان علي[1].

وذكر ذلك الحلبي أيضاً ولكنه لم يشر إلى أن اسمه في الكتب المتقدمة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٦٣ وقال: «وذكره الشيخ كمال الدين الدميري (ره) في شرح المنهاج» وراجع: حياة الحيوان (ط المكتبة الشرفية بالقاهرة) ج١ ص٢٣٧ ولسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج٣ ص٨٤ و ٨٥ ومجمع البحرين ج٣ ص٢٦١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٢.

أسد، فراجع(١).

ثم قال: «ويقال: إن ذلك كان كشفاً من علي كرم الله وجهه، بحيث إن الله أطلع علياً على رؤيا كان مرحب قد رآها في تلك الليلة في المنام: أن أسداً افترسه، فذكَّره علي كرم الله وجهه بذلك. ليخيفه، ويضعف نفسه»(٢).

ونقول:

أولاً: لو صح قولهم: إن لكلمة حيدرة عدة معان، فلماذا يختارون منها ما يوهم الناس بأمور غير محببة؟! حتى لقد قالوا: الحيدرة: الممتلئ لحماً مع عظم بطن، وكذلك كان علي «عليه السلام». أي أنه قد لقب بـ «الحيدرة» لعظم بطنه..

مع أنهم يقولون: إن أمه هي التي سمته بذلك حين ولدته، فهل كان عظيم البطن من حين ولادته؟!

وإذا كان قد صرح هو نفسه: بأن أمه قد سمته بحيدرة وكان ذلك منذ ولادته، فما معنى قولهم: لُقِّب بذلك منذ صغره؟!

فإن اللقب غير الاسم.. والاسم يوضع للمولود من حين يولد، ولحوق اللقب في الصغر قد يتأخر لمدة سنوات.

ثانياً: ما معنى قولهم: كان لُقِّب في سفره بـ «الحيدرة»؟ ألا ينافي هذا قول علي «عليه السلام» نفسه:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه....

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨.

ثالثاً: لماذا لا يذكرون ما قاله ابن الأعرابي: الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس، وما قاله أبو العباس: يعني لغلظ عنقه، وقوة ساعديه؟!

رابعاً: قد ذكر ابن بري: أن أم علي لم تسم علياً «عليه السلام» حيدرة، بل سمته أسداً[1].

لكنه «عليه السلام» لم يتمكن من ذكر الأسد لأجل القافية، فعبر بمعناه وهو: «حيدرة»، فرد عليه ابن منظور بقوله:

«وهذا العذر من ابن بري لا يتم له، إلا إن كان الرجز أكثر من هذه الأبيات، ولم يكن أيضاً ابتدأ بقوله: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة»، وإلا فإذا كان هذا البيت ابتداء الرجز، وكان كثيراً أو قليلاً، كان رضي الله عنه مخيراً في إطلاق القوافي على أي حرف شاء، مما يستقيم الوزن له به.

كقوله: «أنا الذي سمتني أمي الأسد»، أو «أسداً»، وله في هذه القافية مجال واسع، فنطقه بهذا الاسم على هذه القافية من غير قافية تقدمت، يجب اتباعها، ولا ضرورة صرفته إليها، مما يدل على أنه سمي حيدرة»[2].

الصحيح في هذه القضية:

والصحيح هو: ما رواه المفيد عن الحسين بن علي بن محمد التمار، عن علي بن ماهان، عن عمه، عن محمد بن عمر، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، قال:

لما كان يوم خيبر خرج رجل يقال له: مرحب. وكان طويل القامة،

---

(١) لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ.) ج٣ ص٨٤.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص٨٤ و ٨٥.

عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره.

قال: فخرج ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما واقفه قرن إلا قال: أنا مرحب. ثم حمل عليه، فلم يثبت له.

قال: وكانت له ظئر، وكانت كاهنة، تعجب بشبابه، وعظم خلقه.

وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك، وغالب كل من غالبك، إلا من تسمَّى عليك بـ «حيدرة»، فإنك إن وقفت له هلكت.

قال: فلما كثر مناوشته، وجزع الناس بمقاومته، شكوا ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وسألوه أن يخرج إليه علياً «عليه السلام»، فدعا النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، وقال له: «يا علي، اكفني مرحباً».

فخرج إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلما بصر به مرحب يسرع إليه فلم يره يعبأ به، أنكر ذلك، وأحجم عنه، ثم أقدم وهو يقول:

أنـا الـــذي سمتني أمـي مــرحباً

فأقبل علي «عليه السلام» وهو يقول:

أنـا الـذي سمتني أمـي حـيـدرة   كـلـيـــث غـابـات كـريه....

فلما سمعها منه مرحب هرب ولم يقف، خوفاً مما حذرته منه ظئره، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟

فقال: قد تسمى عَلَيَّ هذا القرن بحيدرة!!

فقال له إبليس: فما حيدرة؟

فقال: إن فلانة ظئري كانت تحذرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة، وتقول: إنه قاتلك.

فقال له إبليس: شوهاً لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان

مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء، وهن يخطئن أكثر مما يصبن؟! وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سُدت قومك، وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك، فرده، فوالله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي ضربة سقط منها لوجهه، وانهزم اليهود يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب[1].

إشارات ودلالات:

وقد تضمن هذا الحديث أموراً هامة تحسن الإشارة إليها. والدلالة عليها، وهي التالية:

ألف: سر زعامة مرحب:

قد ذكر الحديث: أن سبب تقديم اليهود لمرحب أمران:

أحدهما: شجاعته.

والثاني: يساره.

نعم.. وهذا هو المتوقع من اليهود الذين لا يفكرون إلا بالمال، وبالدنيا، والذين يسعون في الأرض فساداً، ويثيرون الفتن بين الناس، وكل همهم هو الهيمنة على الآخرين، وإذلالهم، وقهرهم، فإن ذلك هو ما ينسجم مع نظرتهم الاستعلائية إلى كل من هو غير إسرائيلي، لأنهم ـ بزعمهم ـ شعب الله المختار، وقد خلق الله تعالى غيرهم من أجل خدمتهم، وقد

______

(١) البحار ج٢١ ص٩ عن الأمالي للمفيد، وأمالي الطوسي ص٤ ومدينة المعاجز ج١ ص١٧٨.

تحدثنا عن جانب من آرائهم هذه في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

إن تقدم مرحب بينهم لم يكن لأجل عقله، ودينه، ومزاياه الأخلاقية، والإنسانية، بل لأنهم يحتاجون إلى فروسيته وشجاعته، وقوته، ويحتاجون إلى ماله ودنياه أيضاً.

ب: اكفني مرحباً:

وبعد، فما أروع كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا علي، اكفني مرحباً»، فإنه تحدث بصيغة المتكلم وحده «اكفني»، ربما لكي يشير: إلى أنه «صلى الله عليه وآله» هو المقصود الحقيقي لمرحب، وأن همة اليهود منصرفة إلى النيل من شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن لا مشكلة لمرحب مع أحد من الناس إلا معه «صلى الله عليه وآله»..

أما سائر من حضر فلا يقيم مرحب لهم وزناً، وهو قادر على استيعاب كل حركتهم ضده، وليشير «صلى الله عليه وآله» في كلامه هذا: إلى أن الذي يكفيه ويدفعه عنه هو خصوص علي «عليه السلام» دون سواه.

ج: الناس يريدون علياً عليه السلام:

وصرحت الرواية الآنفة الذكر أيضاً: بأن الناس حين جزعوا وعجزوا عن مقاومة مرحب التجأوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وسألوه أن يخرج إليه علياً «عليه السلام». مع علمهم بشدة مرضه «عليه السلام»، وذلك يدل على أنهم كانوا يعرفون طرفاً من جهاد علي «عليه السلام»، وإقدامه وتضحياته في سبيل الله تعالى، ويعرفون أنه لا يتعرض له أحد إلا

هلك، وأن مرضه لا يقصر به عن بلوغ غاياته..

فإن صحت هذه الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها، فهي لا تنافي روايات إرسال غير علي «عليه السلام» بالراية قبله، لجواز أن يكون الناس قد طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» إرسال علي «عليه السلام» بعد فشل الذين كان قد أرسلهم قبل ذلك..

بل قد يكون طلبهم هذا قبل إرسال الآخرين أيضاً، لكن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد آثر أن لا يرسل علياً «عليه السلام» من أول يوم لمصالح رآها..

ولعل بعضها قد اتضح في ثنايا هذا الكتاب.

بل قد يكون قسم من المسلمين، طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يخرج علياً «عليه السلام» لمرحب، مع عدم علمهم بحالته الصحية، فوافق ذلك ما كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد عقد العزم عليه، فأعطاه الراية، وأمره بأن يكفيه مرحباً.

ثم تعجب العارفون برمد عيني علي «عليه السلام»، حين رأوه «عليه السلام» قد حضر بينهم.

وبذلك يتضح: أنه لا تناقض ولا اختلاف فيما بين هذه الرواية ورواية إعطاء الراية لعلي «عليه السلام»، خصوصاً تلك التي صرحت بأنهم قد فوجئوا بعلي «عليه السلام».

د: تمثل أبليس:

وقد يستغرب البعض أن يتمثل إبليس بصورة بعض أحبار اليهود..

ولكن الحقيقة هي: أنه لا غرابة في ذلك، فإن الآيات قد صرحت بأن إبليس كان من الجن.. والجن كما دلت عليه الروايات يقدرون على التمثل، تماماً كما يقدر الملائكة على ذلك.

وقد دلت الآيات والروايات على تمثل الملائكة، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[1].

وكان جبرئيل يتمثل بصورة دحية الكلبي ـ على حد زعمهم ـ.

وقد ذكر الله تعالى: أن إبليس كان من الجن، فقال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[2]

وأشارت الروايات: إلى أن الجن أيضاً يتمثلون بصورة البشر، ويدل على ذلك: ما ورد من أن إبليس قد تمثل لقريش حينما تآمروا على قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأشار عليهم باختيار عشرة من الرجال ـ كل واحد من قبيلة ـ ويبيِّتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويضربوه بأسيافهم ليضيع دمه في القبائل..

فقبلوا مشورته، وحاولوا تنفيذها في ليلة الهجرة، حيث بات علي «عليه السلام» في فراش الرسول «صلى الله عليه وآله»، فنجى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبب ذلك[3].

وقد روي عن الحارث الأعور قال: بينا أمير المؤمنين «عليه السلام»

---

(١) الآية ١٧ من سورة مريم.

(٢) الآية ٥٠ من سورة الكهف.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦٨ والبداية والنهاية ج٣ ص١٧٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٢١ و ٣٢٢.

يخطب على المنبر يوم الجمعة، إذ أقبل أفعى من باب الفيل..

إلى أن تقول الرواية:

إن علياً «عليه السلام» أخبرهم: أن هذا الأفعى هو من الجن قال: «فأتاني في ذلك، وتمثل في هذا المثال، يريكم فضلي الخ..»(١).

فلاحظ قوله: «وتمثل في هذا المثال».

وفي رواية أخرى: أن هاتفاً كلّم النبي، فقال «صلى الله عليه وآله»، له: «اظهَر رحمك الله في صورتك.

قال سلمان: فظهر لنا شيخ أذب، أشعر، قد لبس وجهه شعر غليظ الخ..»(٢).

وفي حديث آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» كان جالساً بالأبطح، وعنده جماعة من أصحابه.. «إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت فأثارت الغبار، وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله..

إلى أن تقول الرواية:

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها.

قال: فكشف لنا عن صورته، فنظرنا فإذا الشخص عليه شعر كثير،

---

(١) الثاقب في المناقب ج٢ ص٢٤٨ ومدينة المعاجز ج١ ص١٤١.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٢ ص٣٠٨ ومدينة المعاجز ج١ ص١٤٤و ١٤٥ والأنوار العلوية ص١٣٣وحلية الأبرار ج١ ص٢٦٨ وج٢ ص٩٥ والبحار ج٣٩ ص١٨٣.

فإذا رأسه طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين الخ..»[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن إبليس لعنه الله قد طلب من ربه أن: «لا يولد لهم ـ أي لبني آدم ـ ولد إلا ولد لي اثنان، وأراهم، ولا يروني، وأتصور لهم في كل صورة شئت»[2].

وفي حديث آخر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان جالساً، وعنده جني يسأله عن قضايا مشكلة، فأقبل أمير المؤمنين، فتصاغر الجني حتى صار كالعصفور الخ..[3].

يضاف إلى ما تقدم حديث يقول: إن جنية من أهل نجران تمثلت في مثال أم كلثوم[4] فراجع.

وأمثال ذلك كثير لا مجال لاستقصائه.. وهو يدل على ما ذكرناه من

---

(١) مدينة المعاجز ج١ ص١٤٨ و ١٤٩ وحلية الأبرار ج١ ص٢٧٠ وج٢ ص٩١٨ وعيون المعجزات ص٤٣ والبحار ج١٨ ص٨٦ وج٣٩ ص١٦٩ وج٦٠ ص٩١ ونوادر المعجزات للطبري ص٥٣ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٦٩ واليقين لابن طاووس ص٢٦١ وحلية الأبرار ج٢ ص٩٨.

(٢) تفسير الميزان ج٨ ص٦١ عن تفسير القمي.

(٣) مشارق أنوار اليقين ص٨٥ ومدينة المعاجز ج١ ص١٤٢ عنه، وحلية الأبرار ج٢ ص١٥ ومجمع النورين ص١٩٠.

(٤) البحار ج٤٢ ص٨٨ والخرائج والجرائح ج٢ ص٨٢٥ و٨٢٦ ومرآة العقول ج٢١ ص١٩٨ وراجع: المجدي في أنساب الطالبيين ص١٧ و١٨ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٠٢ والصراط المستقيم ج٣ ص١٣٠ وسفينة البحار (ط سنة ١٤١٤هـ) ج١ ص٦٨٤.

قدرة الجن ـ وإبليس منهم ـ على الظهور بأية صورة أرادوا..

شكوك حول مقتل عامر:

روى الشيخان، والبيهقي، عن سلمة بن الأكوع، قال: لما تصاف القوم يوم خيبر، وكان سيف عامر فيه قصر، فتناول به ساق يهودي ليضربه، فرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبته، فمات منه.

فلما قفلوا سمعت نفراً من أصحاب محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا أبكي فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لما رآني شاحباً: ما لك؟

قلت: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله.

قال: «من قال»؟

قلت: فلان وفلان، وأسيد بن الحضير الأنصاري الخ..»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٤٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٢ وراجع: الإصابة ج٢ ترجمة عامر بن سنان والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٦١ و ٦٦٢ وعبقات الأنوار ج٣ ص٢٧٨ ومسند أحمد ج٤ ص٤٨ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٧٣ وج٧ ص١٠٨ وج٨ ص٤١ وعن صحيح مسلم ج٥ ص١٨٦ وعن فتح الباري (المقدمة) ص٣٠٣ وج٧ ص٣٥٨ والمعجم الكبير ج٧ ص٣٣ وجزء أحاديث الشعر ص١٠٢ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣٠٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٠ ص٢٤٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٤٧.

ونقول:

إننا نشك في هذه الرواية لما يلي:

أولاً: إن مجرد إصابة ذباب السيف لعين ركبة إنسانٍ لا يقتضي موته، بل هي جراحة بسيطة قابلة للشفاء..

ثانياً: إن هذا النوع من الجراحات ـ لو كان يؤدي بالمجروح إلى الموت ـ لا يوجب الموت مباشرة، فهو ليس مثل ضرب العنق، أو الطعن في القلب، أو شق الرأس. بل هو لا يميت إلا بعد وقت طويل، وتفاعل أمراض، وحصول مضاعفات، مع أن ظاهر الكلام هو: أن عامراً قد مات من ذلك في وقت قصير.

ثالثاً: لماذا يبكي سلمة، ألم يكن يعلم: أن من لم يتعمد قتل نفسه لا يعد قاتلاً لها، ولا موجب لحبط عمله.

رابعاً: إن ما ذكروه في وجه إصابة ذباب السيف لعين ركبة عامر مما يصعب تصوره، إلا في حالة لا تكاد تحصل إلا ممن تعمد فعل ذلك، ولماذا يتعمد فعل أمر يحتاج إلى تكلف وجهد، ما دام أن بإمكانه تحقيق غرضه بضرب نفسه بمواضع من السيف هي أدنى من ذبابه..

شائعات أسيد بن حضير:

قد تقدم: أن الناس قالوا عن عامر بن الأكوع، الذي قتله مرحب ـ حسب زعمهم ـ: قد قتله سلاحه.

وفي رواية: قتل نفسه. أي فليس بشهيد.

وأن سلمة بن الأكوع قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: زعموا أن

أخي عامراً حبط عمله، أو قال: يزعم أسيد بن حضير، وجماعة من أصحابك: أن عامراً حبط عمله، إذ قتل بسيفه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كذب من قال، وإن له لأجرين، وجمع بين إصبعين.

وفي رواية: وإنه لشهيد.

وفي نص آخر: إنه لجاهد، مجاهد قل عربي مشى ـ وفي لفظ: نشأ بها ـ مثله[1].

ونلاحظ هنا:

أولاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أجاب بعبارة تتضمن اتهاماً صريحاً لأولئك القائلين، بأنهم قد كذبوا فيما قالوه. حيث لم يقل: إنهم أخطأوا، أو نحو ذلك.

فوصفهم النبي «صلى الله عليه وآله» بالكذب يدل: على أنهم متعمدون للإخبار عن أمر يعلمون أنه خلاف الواقع، وهذا يؤكد أنهم لا يملكون من الورع ما يحجزهم عن ارتكاب الكبائر ـ ومنها الكذب ـ حتى على إنسان قد نال مقام الشهادة في سبيل الله..

مع أن كل أحد يعلم: أن من لم يتعمد قتل نفسه، لا موجب لحبط عمله.

وقد حاول الحلبي: التخفيف من وقع هذا التعبير النبوي بادعاء: أن

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢ وراجع: الإصابة ج٢ ترجمة عامر بن سنان، وإمتاع الأسماع ص٣١٧.

المراد بالكذب: الخطأ، أي أخطأ من قال[1].

غير أننا نقول له:

أولاً: إن هذا خلاف ظاهر الكلام، إذ كان بالإمكان أن يقول: أخطأ من قال.

ثانياً: لقد وصف سلمة بن الأكوع عامراً في هذه الرواية: بأنه أخوه، مع أنهم يقولون: إن الصحيح أنه عمه، وهذا وجه آخر من وجوه ضعف هذه الرواية..

وأجيب: بأنه من الجائز: أن يكون أخاه من الرضاعة، وعمه في النسب، فجاز له أن يقول: أخي[2].

ونقول:

إن من الندرة بمكان، أن يعدل عن التعبير بالعم إلى التعبير بالأخ؛ لأجل الأخوة الرضاعية بمجردها. بل لم نجد أحداً يفعل ذلك.

بل الإنصاف يقضي: بأن يعدَّ هذا من الأدلة على أن عامراً كان أخاً لسلمة فعلاً، والله هو العالم.

ابن مسلمة قاتل مرحب.. كذبة مفضوحة:

قد تقدم أن هناك من يزعم: أن قاتل مرحب هو محمد بن مسلمة، وليس علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقد روى البيهقي عن عروة، وعن موسى بن عقبة، وعن الزهري، وعن ابن إسحاق، وعن محمد بن عمر عن

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢ وراجع: البحار ج٢١ ص٢ و ٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٤٦.

شيوخه، قالوا: واللفظ لابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال:

خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر، وقد جمع سلاحه يقول: من يبارز؟ ويرتجز:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب   إذا الليوث أقبلت تجرب

إن حماي للحمى لا يقرب

فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أني كعب   مفرج الغمى جريء صلب

إن شبت الحرب تلتها الحرب   معي حسام كالعقيق عضب

نطؤكم حتى يذل الصعب   نعطي الجزاء أو يفيء النهب

بكف ماضٍ ليس فيه عتب

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد:

قد علمت خيبر أني كعب   وأنني متى تشب الحرب

ماض على الهول جريء صلب   معي حسام كالعقيق عضب

بكف ماضٍ ليس فيه عتب   ندككم حتى يذل الصعب

قال: ومرحب: ابن عميرة.

قال جابر: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من لهذا»؟

قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل

أخي بالأمس.

فأمره بأن يقوم إليه، قال: «اللهم أعنه عليه».

(وفي بعض المصادر: وأعطاه سيفه، فخرج إليه، ودعاه إلى البراز، فارتجز كل منهما).

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عمرية (غمرته) من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، فكلما لاذ منه بها اقتطع صاحبه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن.

ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة فقطع فخذيه حتى قتله[1].

قالوا: ونفَّل رسول الله «صلى الله عليه وآله» محمد بن مسلمة يوم خيبر سلب مرحب: سيفه، ورمحه، ومغفره، وبيضته[2].

قال الواقدي: «فكان عند آل محمد بن مسلمة سيفه، فيه كتاب لا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٧ و ١٢٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و ٣٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٥ و ٦٥٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ و ٥١ عن الإكتفاء وعن مسند أحمد ج٣ ص٣٨٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٠ وبغية الباحث ص٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٥ ص٢٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٩٩ عن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ عن مختصر المزني وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٦.

يدرى ما هو، حتى قرأه يهودي من يهود تيماء، فإذا فيه:

هـذا سيـف مـرحـب   مـن يـذقـه يـعـطـب»[1].

ابن مسلمة يقتل كنانة بأخيه:

ويقولون أيضاً: إنه بعد تعذيب كنانة ابن أبي الحقيق دفعه «صلى الله عليه وآله» لمحمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود.

وذكروا في توجيه بشارة النبي «صلى الله عليه وآله» لمحمود هذا بنزول فرائض البنات: أن محمود بن مسلمة كان متمولاً، وكان ماله أكثر من أموال أخيه محمد. فلما سقطت عليه الرحى جعل يقول لأخيه: بنات أخيك لا يتبعن الأفياء، يسألن الناس.

فيقول له محمد: لو لم تترك مالاً لكان لي مال. ولم تكن فرائض البنات قد نزلت.

فلما كان يوم موته، وهو اليوم الذي قتل فيه مرحب أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» جعيل بن سراقة الغفاري، ليبشر محمود بأن الله قد أنزل فرائض البنات وأن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله.

فسر بذلك، ومات في اليوم الذي قتل فيه مرحب بعد ثلاث من سقوط الرحى عليه من حصن ناعم[2].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٦.

(٢) إمتاع الأسماع ص٣١٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٨.

ونقول:

إن هذا الكلام كله غير صحيح، وذلك لما يلي:

أولاً: إن الفاصل بين ما جرى في حصن ناعم حيث قتل محمود بن مسلمة وبين قتل مرحب في حصن القموص كان أياماً كثيرة تعد بالعشرات..

ثانياً: إنه لا ربط بين البشارة بنزول فرائض البنات وبين البشارة بقتل مرحب.

ثالثاً: إن فرائض البنات قد نزلت قبل ذلك بسنوات، ويشهد لهذا: أن الآيات المرتبطة بذلك هي في سور قد نزلت قبل ذلك بزمان طويل..

رابعاً: إن قاتل مرحب هو علي «عليه السلام»، لا محمد بن مسلمة..

وشواهد ذلك كله يجدها المتتبع بالمراجعة.

خامساً: إن رواياتهم في قاتل محمود بن مسلمة مختلفة ومتناقضة.

فهم يدَّعون: أن قاتله هو مرحب.

ثم يدَّعي بعضهم أيضاً: أن ابن مسلمة قد قتل مرحباً بأخيه.

ثم هم يدَّعون: أن علياً «عليه السلام» حين فتح الحصن أخذ قاتل محمود، ودفعه لأخيه محمد بن مسلمة، فقتله به..

ثم يدَّعون أيضاً هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دفع كنانة ابن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلمة ليقتله بأخيه محمود[1].

فلماذا هذا الاختلاف؟! وما هو السبب في هذا التخبط؟!

وقد يقال في دفع هذا التناقض الأخير: إن علياً «عليه السلام» دفعه

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٤٣ وراجع: السير الكبير للشيباني ج١ ص٢١٨.

للنبي «صلى الله عليه وآله»، والنبي دفعه لمحمد بن مسلمة، فصح نسبة ذلك إليه «صلى الله عليه وآله» تارة، وإلى علي «عليه السلام» أخرى..

ونحن لو قبلنا هذا التوجيه، فإنه لا يدفع التناقض الآخر.. ولا يدفع التناقض بين كون القاتل لمحمود هو مرحب، أو كنانة..

كما أن ملاحظة رواياتهم تعطي: أن هؤلاء الناس ليس لهم همٌّ ولا شغل إلا رواية الأحاديث في الإشادة بمحمد بن مسلمة، وتسطير المآثر والبطولات له، وكأن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام» وسواهما متحيرون في كيفية إرضاء ابن مسلمة، وتطييب خاطره، وتلبية طلباته..

سادساً: إن دعواهم تعذيب كنانة بن أبي الحقيق قبل قتله، على يد هذا تارة وذاك أخرى، دليل آخر على كذب هذه الرواية، إذ لا مبرر لتعذيبه.

ويكفي أن نذكِّر الناس بوصية علي «عليه السلام» بقاتله عبد الرحمن بن ملجم، حيث قال:

«ما فعل ضاربي؟! أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن عشت فأنا أولى بحقي، وإن مت فاضربوه ولا تزيدوه»[1].

وفي نص آخر: «احبسوه، وأطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش فعفو، أو قصاص الخ..»[2].

---

(١) المناقب للخوارزمي ص٢٨٠ و ٢٨١.

(٢) الثقات ج٢ ص٣٠٣ والأخبار الطوال ص٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ق١ ص٢٥ و ٢٦ وراجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٤٩٥ و ٥٠٢ و ٥٠٤.

حدث العاقل بما لا يليق له:

وحول دور محمد بن مسلمة في قتل مرحب نضيف إلى ما تقدم ما قاله الحاكم النيسابوري: «على أن الأخبار متواترة بأسناد كثيرة: أن قاتل مرحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

وقال الذهبي: الأخبار متواترة: أن قاتل مرحب علي[2].

وقال الصالحي الشامي:

قلت: جزم جماعة من أصحاب المغازي: بأن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً.

ولكن ثبت في صحيح مسلم ـ كما تقدم ـ عن سلمة بن الأكوع: أن علياً ـ رضي الله عنه ـ هو الذي قتل مرحباً.

وورد ذلك: في حديث بريدة بن الحصيب، وأبي نافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعلى تقدير صحة ما ذكره جابر، وجزم به جماعة، فما في صحيح مسلم مقدم عليه من وجهين:

أحدهما: أنه أصح إسناداً.

الثاني: أن جابراً لم يشهد خيبر، كما ذكره ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وغيرهما، وقد شهدها سلمة، وبريدة، وأبو رافع. وهم أعلم ممن لم يشهدها.

وما قيل: من أن محمد بن مسلمة ضرب ساقي مرحب فقطعهما، ولم

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٤٣٧.

(٢) تلخيص مستدرك الحاكم (مطبوع مع المستدرك) ج٣ ص٤٣٧.

يجهز عليه، ومرَّ به علي «عليه السلام» فأجهز عليه، يأباه حديث سلمة، وأبي رافع، والله أعلم.

وصحح أبو عمر: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل مرحباً، وقال ابن الأثير: إنه الصحيح[1].

وقال ابن الأثير: «وقيل: إن الذي قتل مرحباً، وأخذ الحصن علي بن أبي طالب، وهو الأصح والأشهر»[2].

وقال أيضاً: «الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث: أن علياً كرم الله وجهه قاتله»[3].

وقال الحلبي: «وقيل: القاتل له علي كرم الله وجهه، وبه جزم مسلم (ره) في صحيحه.

وقال بعضهم: والأخبار متواترة به».

وقال أيضاً: «وقد يجمع بين القولين: بأن محمد بن مسلمة أثبته، أي بعد أن شق علي كرم الله وجهه هامته، لجواز أن يكون قد شق هامته، ولم يثبته، فأثبته محمد بن مسلمة. ثم إن علياً كرم الله وجهه وقف عليه»[4].

ثم استدل الحلبي على ذلك بما في بعض السير عن الواقدي، قال: «لما قطع محمد بن مسلمة ساقي مرحب، قال له مرحب: أجهز عليَّ.

فقال: لا، ذق الموت كما ذاقه أخي.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٧ و ١٢٨ وعن أسد الغابة ج٤ ص٣٣١.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص٢١٩.

(٣) شرح مسلم للنووي ج١٢ ص١٨٦ عن ابن الأثير.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨.

ومر به علي فضرب عنقه، وأخذ سلبه، فاختصما إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سلبه.

فقال محمد: يا رسول الله، ما قطعت رجليه وتركته إلا ليذوق الموت، وكنت قادراً أن أجهز عليه.

فقال علي كرم الله وجهه: صدق.

فأعطى سلبه لمحمد بن مسلمة»[1].

وقالوا: لعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الأكوع لمرحب، فلا ينافي ما مر عن فتح الباري[2].

وفي الإستيعاب: «والصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن علياً قاتله»[3].

ونقول:

إن ما تقدم هو محض اكاذيب ولا يصح، والذي قدمناه من النصوص الصحيحة، والمتواترة كاف في إثبات ذلك، ونزيد هنا ما يلي:

١ـ علي عليه السلام يفي بوعده:

رووا: أن علياً «عليه السلام» لما فتح الحصن، أخذ الرجل الذي قتل أخا محمد بن مسلمة، وسلمه إلى ابن مسلمة، فقتله بأخيه..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨. وأشار إلى ذلك في الإمتاع ص٣١٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٦ وراجع: السير الكبير ج٢ ص٦٠٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨.

وفي نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دفع كنانة لمحمد بن مسلمة ليقتله[1].

ولا منافاة بين الروايتين، إذ إن علياً «عليه السلام» لا يورد ولا يصدر إلا عن أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو قد سلمه إليه بعد أن أحرز الإذن منه «صلى الله عليه وآله»..

فيصح أن يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» دفعه إليه، ويصح أيضاً القول: بأن علياً «عليه السلام» فعل ذلك.

٢ـ الإشتراك في قتل محمود:

إن دعوى اشتراك مرحب، وكنانة بن الربيع، والرجل الذي سلمه علي «عليه السلام» لمحمد بن مسلمة ـ إن دعوى اشتراك الثلاثة ـ في قتل محمود بن مسلمة[2] غير مقبولة:

أولاً: لثبوت أن ابن مسلمة لم يقتل مرحباً بأخيه ـ كما زعموا ـ لكي يصح قولهم: إنه قتله بأخيه الذي كان قد شارك في قتله، بل قاتل مرحب هو علي «عليه السلام»..

ثانياً: لما روي: من أن علياً «عليه السلام» قد سلم قاتل محمود إلى أخيه محمد. وهو لم يسلم إليه مرحباً قطعاً.. ولم يسلم إليه كنانة لأجل ذلك أيضاً.

ثالثاً: قيام احتمال أن يكون محمد بن مسلمة قد فرَّ مع الفارين في غزوة خيبر، كما سنرى في الفقرة التالية، فإنه إذا كان قد فر وانهزم، فلا يكون قد

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩.

قتل مرحباً بأخيه أيضاً.

٣ ـ ابن مسلمة يفرّ بالراية أيضاً:

لقد ورد في بعض النصوص: ما يثير بقوة احتمال أن يكون محمد بن مسلمة أحد الذين أعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» الراية وهرب، فقد روى ابن الأثير بإسناده عن بريدة، قال: «لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء، فلما كان من الغد أخذه عمر. وقيل (أخذه): محمد بن مسلمة (أي وهرب)، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

لأدفعن لوائي إلى رجل لم يرجع حتى يفتح الله عليه.

فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاة الغداة، ثم دعا باللواء، فدعا علياً «عليه السلام» وهو يشتكي عينيه الخ..»[1].

فقد دلت هذه الرواية: على أن ابن مسلمة كان هو أو عمر قد هرب في خيبر.

ومما يؤيد ذلك: الرواية التي تقول: إن جماعة طلبوا الراية من النبي «صلى الله عليه وآله» في خيبر، فلم يعطهم إياها، وأعطاها علياً «عليه السلام»، ففتح الله عليه[2].

---

(١) أسد الغابة ج٤ ص٢١ والعمدة لابن البطريق ص١٥٦ وعن المناقب لابن المغازلي ص٨٨.

(٢) تذكرة الخواص ص٢٥ عن أحمد في الفضائل وراجع: مسند أحمد ج٣ ص١٦.

٤ـ الإختصام في سلب مرحب:

ثم إن الحديث عن اختصام علي «عليه السلام» ومحمد بن مسلمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سلب مرحب، مكذوب أيضاً، بدليل:

أنهم قد رووا: أن علياً «عليه السلام» لم يقدم على سلب عمرو بن عبد ود وهوأنفس سلب، وحين طالبه عمر بن الخطاب بذلك قال:

«كرهت أن أبز السبيَّ ثيابه»[1].

قال المعتزلي: فكأن حبيباً (يعني أبا تمام الطائي) عناه بقوله:

إن الأسـود أسـود الغـاب همتهـا ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب[2]

كما أنه «عليه السلام» قال لعمرو بن عبد ود حين طلب منه أن لا يسلبه حلته: هي أهون علي من ذلك[3].

فمن كان كذلك: فهو لا يجاحش على السلب، ولا ينازع أحداً فيه، فضلاً عن أن يرفع الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليفصل فيه.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٧.

(٣) كنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧ والبحار ج٢٠ ص٢١٦.

[illegible]

٣ - [illegible]

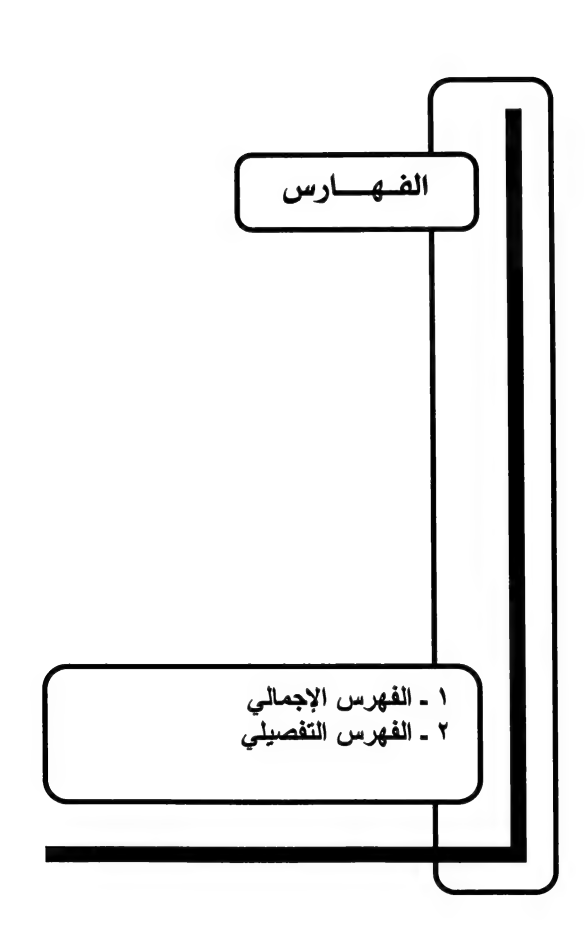
[illegible]

---

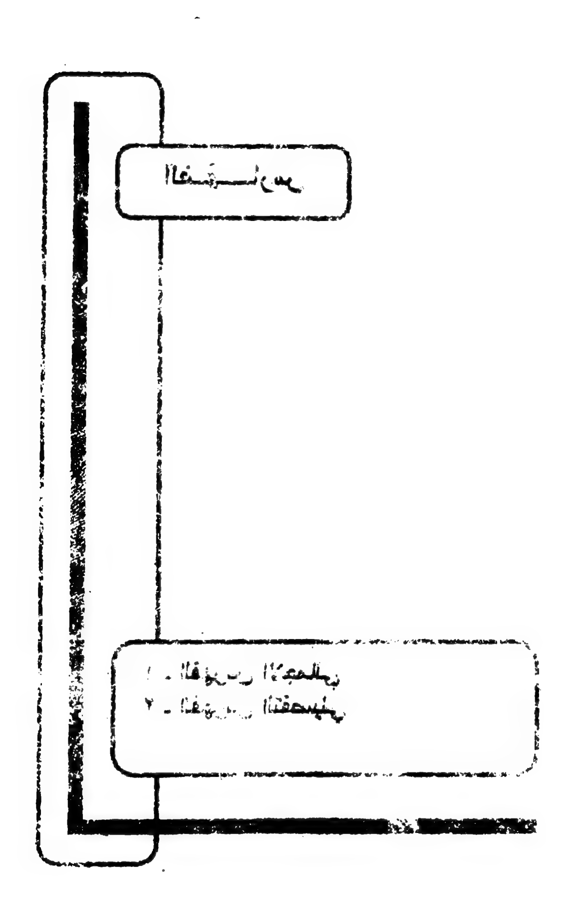
(١) في ظلال القرآن ج ١ ص ٢٢٠ [illegible]

(٢) في ظلال القرآن ج ١ ص ٢٢٢

(٣) [illegible]



الفهــــارس



صدر للمؤلف

١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الرابع: كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس

الفصل الخامس: كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي الثاني

الباب الخامس: حصون خيبر

الفصل الأول: من المدينة.. إلى خيبر..

الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال..

الفصل الثالث: فتح حصن ناعم..

الفصل الرابع: فتح سائر حصون النطاة والشق

الباب السادس: فتح خيبر

الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون..

الفصل الثاني: وقفات لا بد منها

الفصل الثالث: قتل مرحب.. أحداث وتفاصيل..

الفهارس: